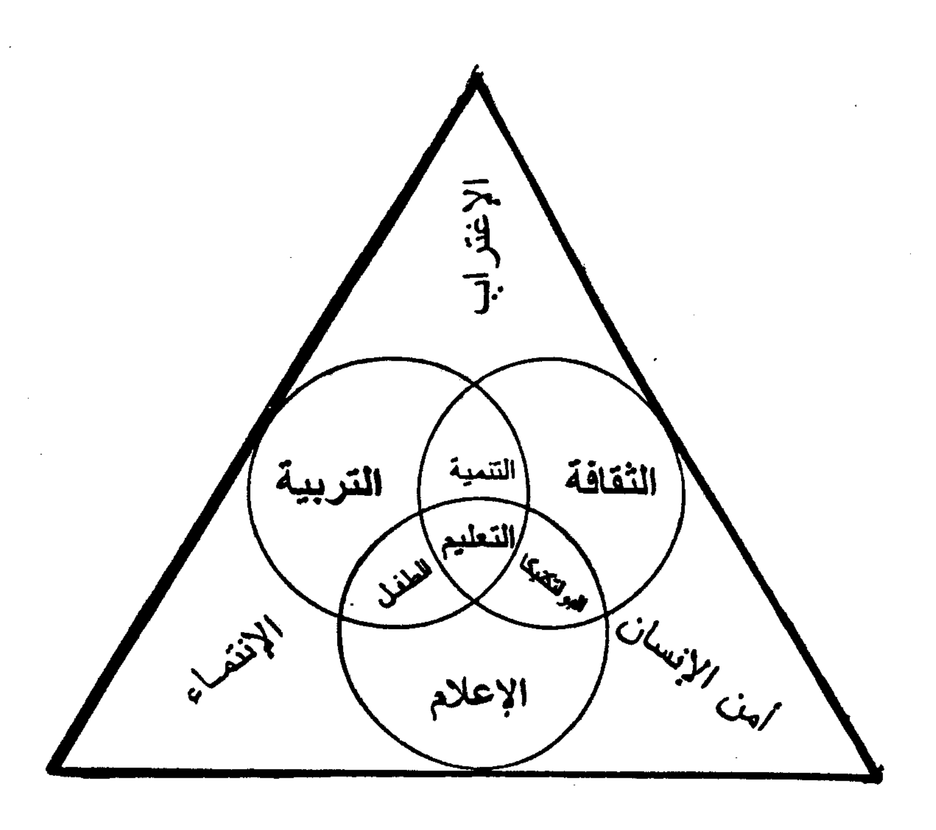
الثلاثيـة العصـرية

الثقافة - الإعلام - التربيـة



تأليف

دكتور / فاروق عبده فليه
أستاذ أصول التربية - كلية التربية
بدمياط جامعة المنصورة

دكتور/ إبراهيم عباس الزهيري
مدرس أصول التربية - كلية التربية
جامعة حلوان

١٩٩٨

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً *

صدق الله العظيم

(النساء -٨٣)

إهداء

إلى كل المهتمين بشئون التربية

إلى المشتغلين بها

إلى كل من يهمهم أن تأخذ التربية مكانها الصحيح في عالم اليوم

وإلى كل من يهمه أن يكون للتربية دورها الفعال في قضايا الساعة

نهدي هذا العمل ....

تقديم

يشهد العصر الحالي ثورة ضخمة وتطور سريع في ميادين السياسة والاقتصاد والثقافة على المستويين المحلي والعالمي ، في الداخل والخارج ، مع تقارب المسافات التي تفصل بين الدول ، بل أنها قد تلاشت مع التطور التكنولوجي في وسائل المواصلات والاتصالات مما جعل العالم يبدو كقرية صغيرة .

وفي الوقت الذي نواجه فيه الانفجار السكاني والأمن الغذائي والمشاكل الضخمة التي تواجه الفرد .. نواجه أيضا انفجار اقوى وهو الانفجار المعرفي الذي تحول الى انفجار إعلامي لمواجهة ذلك المطر المعلوماتي .

ونحن في نهاية القرن العشرين وعلى مشارف القرن الحادي والعشرين ، توجد إشكالية العلاقة بين الثقافة العربية والثقافة الغربية ، والتي تدور حول الرغبة في تحديث المجتمع متمثلة في التكنولوجيا باعتبارها منتجا حضاريا ابدعته الثقافة الغربية من ناحية والاحتفاظ بالهوية القومية من ناحية أخرى . ويظهر دور الاعلام بوسائله المتعددة في هذه العملية بالغ الأهمية ، حيث يساعد على تحديد وتطوير ونشر الأنماط السلوكية مما يؤدي الى التكامل الاجتماعي أو الاغتراب وفقا لكيفية استخدامه .

وتعتبر وسائل الاتصال الحديثة أكثر من مجرد قنوات لنقل

الثقافات ، فهي تشكل التجارب الثقافية ، وتخلق ثقافة جديدة وتقربها الى الجماهير ، وطالما أن وسائل الاعلام قادرة على تحديد الثقافة الوطنية ، لا تستطيع الثقافة أن تنمو بطريقة مرضية بـــدون الاســتعانة بوســائل الاعلام .

وثمة سؤال يفرض نفسه ... وهو : **كيف يمكن إقامة حوار بيـــن المجتمعات المتقدمة والمجتمعات النامية والتي يمثل كل منها مســتوى معين من مستويات الحضارة الانسانية من خلال مواجهة ثقافة كل من هذه المجتمعات ؟ .**

مما يسترعي الانتباه الى الدور المهم الذي تلعبه التكنولوجيات الجديـــدة للمعلومات في بعض الجوانب الرئيسية للتنمية الاجتماعية والاقتصاديـــة والثقافية ، مما يوجب أن تشكل جزءا من الثقافة المتاحة لعامة الشعـــب بوصفها نهجا وثقافة جديدين يتيحان حوارا محسوسا في إطــار التعليـم والتعلم وإدارة المعلومات والتنمية المسرعة للمجتمع .

مما يحتاج الى ضرورة تعزيز التعاون الدولي لتيسـير عمليـة التجديـد والاختبار والبحث حول التطبيقـــات التربويـــة للتكنولوجيـات الجديـدة للمعلومات من أجل الإسهام في معالجة حالات التفاوت بين البلدان مـــن ناحية وصيانة الذاتيات والثقافات واللغات القومية من ناحية أخرى ، مما يوفر المكاسب التالية :

١- توفير المعلومات المناسبة في الوقت الأكثر ملاءمة .
٢- امكانية غير محدودة للوفاء بمتطلبات الإدارة .
٣- دعم وتحسين اتخاذ القرار .

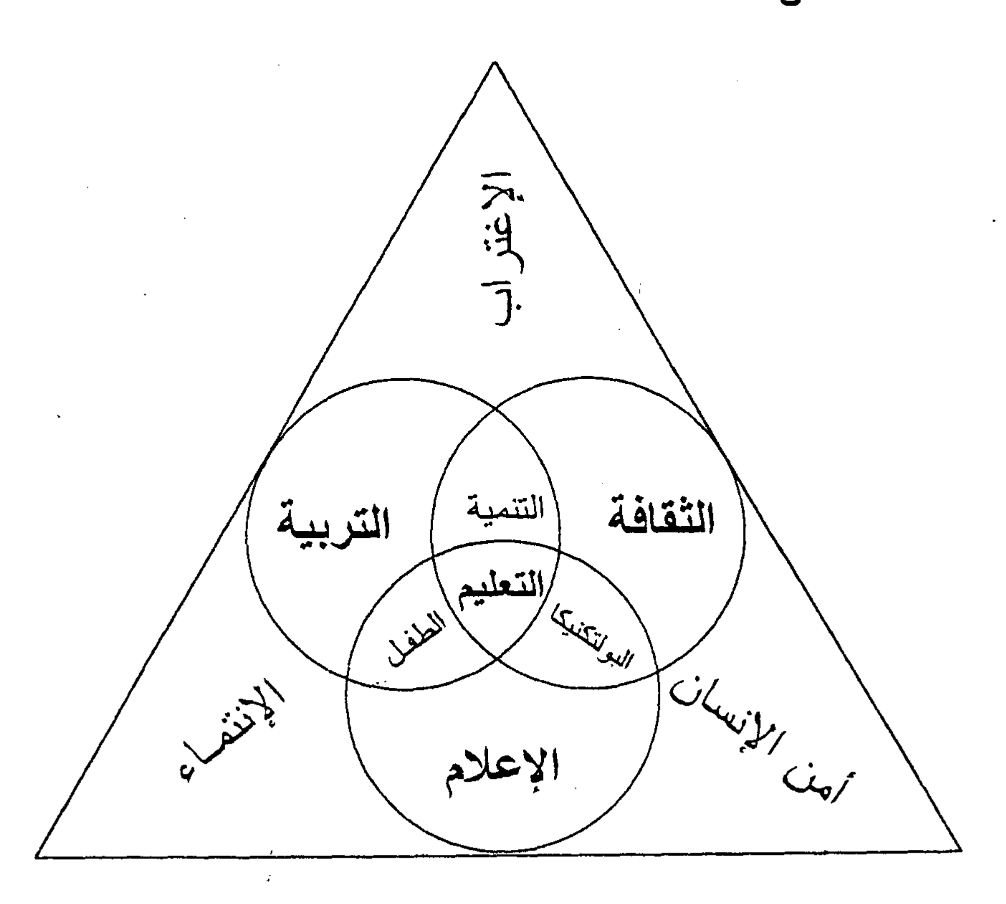
٤- التحسن الكبير في استخدام القوى العاملة والموارد .

٥- تحسين وتنشيط حركة الاتصالات بالمؤسسة .

٦- البيانات المستخدمة أقل ما يمكن وأكثر تكاملا .

ومن ثم يأتي هذا المؤلف في سبعة فصول ، متناولا العلاقة التبادلية التأثيرية بين كل من الثقافة والتربية والاعلام حول كل من :

التنمية ، أمن الانسان ، الطفل ، ثم بوليتكنيكا هذه الثلاثية ، ثم هوية الانسان ، وأخيرا تناول العولمة كحوار بين القوى الثلاث كما يوضحها المخطط التالى :



هذا .. ونأمل أن يعطي هذا الكتاب صورة متكاملة عـــن العلاقـــة بيـــن مكونات ثلاثية العصر والمتمثلة في كل من الثقافة والإعـــلام والتربيـــة آملين أن يسد هذا العمل ثغرة في المكتبة العربية .

القاهرة في ١٩٩٨

والله ولي التوفيق

المؤلفان

فهرست الموضوعات

الفصل الأول

التنميـــــة

بيـن

الثقافة والتربيـة والإعلام

مقدمة :

تعني الثقافة طريقة الحياة الكلية أو الأسلوب الكلي لحياة الجماعة فهي تتضمن الإنجازات المادية ، المعايير والمعتقدات والمشاعر والأخلاقيات وقواعد السلوك ، كما تتناول أسلوب تناول الطعام وارتداء الملابس وطريقة التفكير وطريقة العمل ، واستخدام اللغة والسير في الطرقات وأسلوب الزواج ودفن الموتى وممارسة الرياضة .

فالثقافة عملية شخصية تنشأ داخل عقول وأفعال الناس ، والسلوك الإنساني الذي يعني التفكير والعمل ، هو أيضا جزء من الثقافة إلا أن هذا السلوك لا يصير جزءا من الثقافة إلا إذا تناقله أفراد المجتمع وتقبلوه وأصبح عمومية من عموميات الثقافة . فالثقافة إذا ذات شقين :

شق مادي : ويتناول كل ما بناه الإنسان وأرساه من أشياء مادية كالمباني والمؤسسات والمصانع والآثار والمتاحف ... الخ ..

وشق غير مادي : يتصل بالأنماط الثقافية التي تتصل بالعقائد والمثل العليا واتجاهات المجتمع وقيمه وأهدافه .

والثقافة عملية مكتسبة ، شئ يكتسبه الإنسان من خلال معايشته للمجتمع ، فهو يتعلم الثقافة من خلال علاقاته بالآخرين بالتفاعل والتقليد وللثقافة صفة الانتقال بين أبناء الجيل الواحد ، ومن جيل إلى جيل ، ويتم هذا الانتقال عن طريق الوساطة الثقافية ، وعملية الوساطة هذه تقوم بها العديد من المؤسسات الاجتماعية مثل الأسرة وجماعة الأقران والنادي والمسجد والكنيسة والمدرسة ..

وتتم عملية نقل التراث عن طريق المحاكاة والتقليد والخبرة المباشرة ،

ولكن تعقدت الحياة في المجتمعات وتعقدت الثقافات تحت ضغوط الانفجار العرفي والتكنولوجي وتداخل الثقافات وخروج المرأة للعمل .

إن ثقافة أي مجتمع مثل وحدة عضوية متكاملة ، وأي تحول في جزء منها يؤدي إلى تغيرات في الأجزاء الأخرى ، فالثقافات البدائية كانت توصف بأنها متجانسة ومحافظة ، والتغيرات فيها بطيئة ، ولهذا كان من السهل على الفرد فيها أن يتوقع ما سوف يأتي به الغد ، وما سيكون عليه المستقبل ، فقد كان الطفل يدرك ما سوف يكون عليه مستقبله من خلال رؤيته للكبار والراشدين حوله ، وكان الراشد يؤكد خبراته الماضية على أساس أنها صالحة لسد حاجاته الحاضرة ، ومعينه له في أداء دوره . وعلى العكس من ذلك ، فإن المجتمعات الحديثة لا توصف بالتغير السريع فقط ، بل والتغير المنظم المقصود أيضا ... والتغير التكنولوجي سخر لخدمة الإنسان في صورة أجهزة ووسائل للاستعمال في حياة الناس وخدمات وخلافه .

وتعقيد الثقافات وتداخلها وعدم الاتفاق فيما بينها وعدم الاتفاق في التغير الثقافي أحدث تشققات وصراعات في ثقافة المجتمعات ، خاصة تلك التي تقدمت تقدما تكنولوجيا كبيرا .

ويختلف التغير الثقافي في سرعته من مجتمع إلى آخر حسب فلسفة هذه المجتمع ، فبينما نجده بطيئا في المجتمعات الرأسمالية التي تخطط للتغير التكنولوجي أو المادي بصفة عامة ، فإننا نجده أقل بطئا في المجتمعات الاشتراكية التي تخطط للتغير المادي والمعنوي أيضا .

ومن هنا تظهر الصعوبات أمام النشء حيث يجد نفسه تائها بين تعدد الثقافات وتداخلها ، ما المفيد منها وما الضار ؟ وإلى أي مدى تؤثر هذه الثقافات في تقدم البشرية ؟ هل هذه المداخن والمؤسسات وناطحات السحاب وغير ذلك مما توصل إليه العلم تحمل للبشرية نعمة أم نقمة ؟

لقد شهد العصر ثورة ضخمة وتطور سريع في ميادين السياسة والاقتصاد والثقافة المستويين المحلي والدولي ، في الداخل والخارج ، وقد تقاربت المسافات التي تفصل بين الدول بل أنها قد تلاشت مع التطور التكنولوجي في وسائل المواصلات والاتصالات . الآن أصبح التطور الهائل في تكنولوجيا وسائل الاتصال وفي الكميات الضخمة من الأخبار التي تبث في جميع أنحاء العالم يمثل تحديا لوسائل الإعلام ونجاحها من دولة لأخرى .

فاليوم ونحن نواجه الانفجار السكاني والأمن الغذائي والمشاكل الضخمة التي تواجه الفرد .. نواجه أيضا انفجار أقوى وهو الانفجار المعرفي الذي تحول إلى انفجار إعلامي لمواجهة ذلك المطر المعلوماتي ويقصد به كمية الأخبار والأنباء والأفلام والكلمة المكتوبة والكلمة المرئية والكلمة المسموعة والكلمة المصورة ، تنتجها وتبثها وتوزعها وسائل الإعلام والاتصال المختلفة ، بسرعة خارقة على شكل كتب وصحف وأفلام وإذاعات بطرق مختلفة وبدقة وصدق متناهيين في جميع أنحاء العالم وفي وقت واحد ، محطمة بذلك فروق الزمان وحدود المكان وهي في بثها تتعرض لجميع مشاكل الحياة سواء اقتصادية أو تكنولوجية أو سياسية أو ثقافية ... وأصبحت جميع مصادر الأخبار متاحة للجميع ،

الفقير والغني ، الطالب والأستاذ ، الدارسين والعلماء ، وذلـــك بعـد أن كانت حكرا على فئة معينة من الخاصة الذيـــن يســتطيعون أن يدفعـــوا المقابل المادي لها . والأكثر من ذلك أن تصل إلينا في منازلنا وفي مكان عملنا وفي أي مكان نحن فيه وبأقل التكاليف .

ويستطيع أن يؤدي الإعلام دورا خطيرا في عملية التثقيف ، لأنـــه بقدرته عل زرع قيم أو تطعيم قيم أو تطوير قيم أو إعادة تشكيل قيـــم ، قادرا على أن يؤدي وظيفة إيجابية في عملية التثقيف وبالتالي في التربية

المشكلات الخاصة بمدلول الثقافة :

لا نجد اتفاقا عاما حـــول مدلـــول الثقافة إذ يستطيع الباحث أن يجد داخل العلوم الإنسانية وحدها قدرا هائلا من الاختلاف في تحديد مدلول الثقافة ، وطرقة استخدام هذا المصطلح . هناك الكثير من المؤلفات التي خصصت لفحص هذا المصطلح ومناقشة التعريفات العديدة التي صدرت بصدده ، وتعكس بعض هذه تباين وجهات نظر المدارس الفكرية المختلفة حول الطبيعة المتميزة للثقافة ، ومع ذلك يمكن أن نجد شبه اتفاق حول مدلـــول هـــذا المصطلـــح بيـــن علمـــاء الانثربولوجيا الثقافية الذين يرون أن الثقافة إنما تعني عامـــة " أســـلوب الحياة السائد بين شعب من الشعوب " .

أما الذين يحملون الثقافة فهم مجموعة من الأفراد يشكلون تجمعـــا معينا نطلق عليه " مصطلح الجماعة " أو " المجتمع " ، ومن أهم نتـــائج هذه الصياغة أن الثقافة والمجتمع ليس شيئا واحدا وذلك رغم ما بينـــهما من صلات وثيقة .

لذلك ينبغي التمييز بين الأنماط الثقافية التي تشكل سلوك الناس وبين بناء النظم الاجتماعية ، على الرغم من الاعتماد والتساند المتبادل بينهما .

فهناك من يرى أن الثقافة تتضمن عنصر تنظيم الخبرة الإنسانية التي يشارك فيها أعضاء المجتمع فيذهب إلى أن الثقافة تعني " تلك المستويات التي يصوغها أعضاء المجتمع للإدراك والتنبؤ والحكم والسلوك " .

ومعنى ذلك بعبارة أخرى أن الثقافة تعني كافة الأساليب الاجتماعية المقننة لإدراك العالم الخارجي وللتفكير في ظواهره وكذلك لفهم العلاقات بين الناس والأشياء والحوادث وتحديد التفضيلات والأهداف وتوجيه التصرفات والأفعال ، فإن ثقافة شعب من الشعوب أو أية جماعة اجتماعية هي كل شئ يجب أن يتعلمه المرء ليسلك طرقا معرفا بها ويمكن التنبؤ بها بالنسبة لهذا الشعب أو تلك الجماعة .

فأعضاء كل مجتمع إنساني إنما يشتركون معا في بعض أنماط وأساليب السلوك المتميزة فلكل مجتمع إذن ثقافته الخاصة التي تختلف عن ثقافة أي مجتمع آخر وإن كانت تشترك معها في عدد من العناصر . ويكون مجموع هذه الثقافات " التراث الحضاري للإنسانية " وقد حدد كلاكهون Kluckon مفهوم الثقافة في ضوء ذلك بأنها تعني : "كل أساليب الحياة التي أنتجها الإنسان خلال التاريخ الظاهرة والكامنة ، والرشيدة وغير الرشيدة ، والتي توجد في وقت معين بوضعها موجهات لسلوك الإنسان .

ويوضح هذا التطور للثقافة مدى تنوع السلوك الإنساني . حينما ندرك أن

لكل وضع إنساني ثقافته الخاصة وأساليب الحياة التي طورها ونقلها إلى الأجيال المختلفة .

وحينما نحدد مفهوم الثقافة يجب أن نشير إلى أن التيار الثقافي العام الذي يتصف بالشمول ويتخلل كافة الثقافات المحلية الأخرى ، يتعين في الوقت ذاته أن نعترف بما يعرف اصطلاحا باسم " تعددية الثقافات المحلية " بوصفها كيانات كلية وظيفية منظمة .

ويرى مالينوفسكي في مقالته عن الثقافة في دائرة معارف العلوم الاجتماعية (١٩٣١) أن الثقافة وحدة متكاملة وظيفية وفعالة ويمكن تحليلها إلى عناصرها المكونة في علاقة هذه العناصر بعضها البعض ، وصلتها بحاجات الكائن العضوي واتصالها بالبيئة ، سواء كانت بيئة إنسانية ، أي من وصنع الإنسان ، أو بيئة طبيعية ، وتتضح هناك هذا القصور للثقافة يحظى بالموافقة العامة ويمثل الذوق العام أو الحس المشترك . Common Sense .

وهناك اتجاهين في التعريفات التي تناولت الثقافة ، يتنافسان على التفوق ، أحدهما ينظر للثقافة على أنها تتكون من القيم والمعتقدات والمعايير والتفسيرات العقلية والرموز والأيديولوجيات وما شاكلها من المنتجات العقلية ، وآخر يراها تشير إلى النمط الكلي لحياة شعب ما والعلاقات الشخصية بين أفراده وكذلك توجهاتهم .
ويعرفها إدوارد تايلور Edward Tylor كلاسيكيا حين كتب يقول : الثقافة أو الحضارة بمعناها الواسع بأنها " كل مركب يشتمل على المعرفة

والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من الإمكانيات أو العادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضو في مجتمع ".

أما روبرت برستد Robert Bierstedt فيعرفها بأنها : " هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه أو نقوم بعمله أو نتملكه كأعضاء في مجتمع "

والمتأمل في كلا المفهومين يجب أن الأول أبرز العناصر اللامادية لحياة الناس في جماعة كالأخلاق والقانون والعرف والتي تنشأ نتيجة للتفاعل الاجتماعي وتأخذ جانبا إلزاميا إلى جانب العنصر المادي للثقافة بجانب العلاقات بين الناس وبين العناصر المكونة للثقافة ، وهو بذلك لا يقيم تفرقه حاسمة بين التنظيم الاجتماعي والنظم الاجتماعية من جهة وبين التصور العام للثقافة من جهة أخرى .

في حين أبرز التعريف الثاني الصيغة التآلفية للثقافة بحيث تصبح ظاهرة مركبة تتكون من عناصر بعضها فكري وبعضها سلوك والآخر مادي وثمة ثلاث ظواهر أو عناصر مرتبطة بعضها بالبعض في الكل المركب للثقافة وهي :

١- **التميز الثقافي** : Cultural bias وتشمل القيم والمعتقدات المشتركة بين الناس .

٢- **العلاقات الاجتماعية** : Social relations وتشمل العلاقات الشخصية التي تربط الناس بعضهم ببعض .

٣- **نمط الحياة** : Way of life وهو الناتج الكلي المركب من الانحيازات الثقافية والعلاقات الاجتماعية .

وعند فهم نمط الحياة Way of life لا تعطي أولوية في السببية للتحيز

الثقافي Cultural bias على العلاقات الاجتماعية Social relation أو العكس ، وإنما كل منهما لا غنى عنه للآخر ، حيث توجد بين العلاقات والتحيزات علاقة تبادلية وكل منها مع الأخرى وتقويتها ، وذلك لأن الالتزام بأنماط معينة للعلاقات الاجتماعية يولد طريقة متميزة في النظر الى العالم ، كما أن رؤية العالم بطريقة معينة تبرز نموذجا منسجما معها للعلاقات الاجتماعية . مع ملاحظة أن كلا من التحيزات الثقافية والعلاقات الاجتماعية مسئول عن الأخرى دون الدخول في قضية من جاء أولا .

ويعتمد استمرار نمط الحياة في المجتمع الانساني على استمرارية العلاقة التبادلية والتساندية بين التحيزات الثقافية وبين العلاقات الاجتماعية التي يتكون منها نمط الحياة ، ومن ثم بقاء نمط الحياة رهن بطبع أفراده بطابع الانحياز الثقافي الذي يبرز هذا النمط أو بمعنى آخر يعتبر نمط الحياة هو قناة الاتصال التي تربط بين الفكر والسلوك ويكون الحكم على السلوكيات بأنها مرغوبة أو غير مرغوبة بناء على مدى توافقها وانسجامها مع القيم والمعتقدات .

وفي ضوء نظرية الاستحالة Impossibility Theory توجد علاقة ارتباطيه بين قابيلة أنماط الحياة للنماء والانسجام بين العلاقات الاجتماعية والتحيزات الثقافية مع وجود زعم آخر بوجود خمس أنماط للحياة وهي " التدرج والمساواتية والقدرية والفردية والاستقلالية " وكلها تتسق مع القابلية للنماء .

وتتنوع الثقافات بتنوع الأمم ، الجماعات العرقية ، الشركات ، النوادي ،

وسائر التجمعات الأخرى بين الناس التي تفكر بطرق مختلفة ولو قليلا عن غيرها ، وتستخدم رموزا متباينة إلى حدا ما أو التي تعبر ممارساتهم وصنائعهم المعتادة عن شئ ما خاص بهم ، فالثقافة الفرنسية تختلف عن الإنجليزية والأمريكية ، وكل منهم يختلف عن العربية ، وهو ما يعرف بخصوصية الثقافة .

*** ماهية الثقافة :**

الثقافة من أكبر الكلمات تداولا ، وهي في نفس الوقت من أشدها غموضا وهناك معنيين أساسيين يحددهما فؤاد زكريا في كتابه " خطاب إلى العقل العربي " وهما :

١- الثقافة كما يستخدمها علماء الاجتماع : تعرف بأنها : " ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة والاعتقاد والفن والقانون والخلاق والعرف وأية قدرات وعادات أخرى يكتسبها الإنسان بوصفه فردا في المجتمع " . وهو هنا متفق مع إدوارد تايلور في تعريفه للثقافة ويقترب ذلك من التعريف الوارد في قاموس أكسفورد من أنها " الاتجاهات والقيم السائدة في مجتمع معين ، كما تعبر عنها الرموز اللغوية والأساطير والطقوس وأساليب الحياة ومؤسسات المجتمع التعليمية والدينية والسياسية .

٢- الثقافة بالمعنى الإنساني الرفيع : تعرف بأنها " صقل العقل والذوق والسلوك وتنميته وتهذيبه ، أو أنها " ما ينتجه العقل أ الخيال البشري لتحقيق هذا الهدف "

وهنا يرتبط المعنى بالأصل اللغوي لكلمة Culture في اللغات الأجنبية

وهي كلمة تعني تعهد النبات وحرثه ورعايته حتى يثمر (ومنها جاءت كلمة Agriculture زراعة)

وهنا تكون الثقافة عملية رعاية وإعداد مستمر للعقل والروح والبشرية (أما معناها بأنها منتج يؤدي هذه الوظيفة فلم تكتسب إلا فيما بعد) .

وحول هذين المعنيين نرى أن المعنى الأول اجتماعي أو جمعي بطبيعته ، لأن الثقافة هنا توصف بأنها سمة المجتمع نفسه ، أو " صفة لا يكتسبها الفرد إلا بحكم انتمائه لمجتمع معين " ويكاد يقول علماء الاجتماع أن الثقافة هي " ما يميز الجماعة البشرية عن أي مجتمع حيواني لأن الإنسان وحده هو الذي يصنع رموزا وأنظمة تنعكس على قيمه واتجاهاته ، وكما يقول كاسيرر " الإنسان صانع الرمز ومستخدمه " .

أما المعنى الثاني فهو فردي بطبيعته لأن عملية الصقل والتهذيب تتعلق بالفرد أو بمجموعة من الأفراد يتسم كل منهم بشخصيته المستقلة .

كما أن الناتج الثقافي بمعناه الرفيع مرتبط ارتباطاً عضوياً بالفرد الذي أبدعه ، على عكس الناتج العلمي الذي يفقد ارتباطه بشخص مكتشفه بمجرد أن يشيع ويعترف به على مستوى ونطاق واسع .

والثقافة في المعنى الأول بطيئة الحركة تعتمد على التوارث الآلي بل أنها تكاد تكون راكدة ساخنة ، وبخاصة في المجتمعات التقليدية ، أما الثقافة الرفيعة أو النتائج العليا للثقافة فهي سريعة الحركة لأن قوامها هو صقل الذات وسعيها الدائم إلى التنقل إلى مستويات أعلى .

ويرى فؤاد زكريا أن هناك معنى ثالث للثقافة وهو ما يمكن أن نطلق عليه ثقافة شعبية ، ويمثل مكانه وسطية بين المعنيين السابقين .

وهذه الثقافة الشعبية منتشرة على نطاق واسع ، ففي مصر على سبيل

المثال : يعجب المواطن المصري العادي - بمسرحيات عادل إمام مثلاً أو ينصت لها بخشوع مثل أحاديث الشيخ الشعـــراوي او يتابعـــها مثـــل كتابات - مصطفى محمود ، أو يستمتع بها مثل غناء شخص ما " وهذه الثقافة الشعبية تختلف في معناها عن الثقافة بالمعنى الاجتماعي ، لأنـــها تتعلق بنواتج وأعمال ثقافية يقوم بها متخصصون ، مهما كان مستواهم ، وليســت مقتصرة على القيم والعادات وأساليب التفكير التـــي يتلقاهـــا المرء تلقائياً من المجتمع هذا من ناحية ، وهي مختلفة من ناحية أخـــرى عن الثقافة الرفيعة لأنها ترضي ذوقا شعبيا واسع النطاق وتتعلق بنواتـــج ثقافية تحتاج في إبداعها وتذوقها إلى جهد يقل كثيراً عن ذلك الذي تحتاج إليه الثقافة الرفيعة .

والثقافة بطبيعتها جهد إيجابي خلاق ، لا يكتفي بتأمين الناس مـــن شئ أو إبعاد غائلة خطر عنهم ، وإنما يقدم إليهم محتوى متجدداً يـــثري حياتهم ويزيدها امتلاء ، ومن جهة أخرى فإن طريق الثقافة لا نهاية له ، ولا معنى " لحد أدنى " يتم توفيره للناس في حالة الثقافة ، وذلك لأن من طبيعة الثقافة أن تفتح أبواباً لا تنتهي ، فالمثقف الحقيقي لا يعرف الشبـــع ولا يتوقف عند لحظة معينة لكي يقول " لقد أخذت كفايتي "

الثقافة إذن ، بطبيعتها إيجابية لا تصد عن العقول شيئاً ، أو تبعد خطراً كما أنها عملية مستمرة لا تقف عند حد أدنى تكتفي بتوفيره للناس والمثقف يمكن أن يكون هو المبدع أو المبتكر ، ويمكن أن يكـــون هـــو المتذوق المتلقي الواعي ، لذلك الإبداع ، ويفترض في المثقف إذا كـــان متلقياً أن يكون قادراً على التميز بين الإنتاج الرفيع والإنتاج الهابط ، ولا

يكون مثقفاً بالمعنى الصحيح إذا اقتصر في تذوقه واستمتاعه على النوع الأول فحسب .

الطبيعة البشرية بين التربية والثقافة :-

يعتقد أنصار المساواة أن الإنسان يولد خيراً ولكنه يتعرض للفساد بسبب المؤسسات الشريرة وهو ما يتفق مع مقولـــة " روســـو Rousseau الشهيرة في مطلع كتابه " العقد الاجتماعي " Social Contract حيث يقول " يولد المرء حراً ولكنه مقيد بالأغلال في كل مكان " وأيضاً كلمته فـــي افتتاحية كتابه " إميل Emile " يخلق الله الأشيــاء كلــها خــيرة ، ولكــن الإنسان يتطفل عليها فتصبح شريرة .

فمن منظور مساواتي ، فالطبيعة البشرية ليست خيرة فحسب بل أيضـــاً طيعة ، وتلك هي التفاؤلية التي جسدتها نبوءة تشـــارلز رايـــخ Charles Reich في كتابه " تخضير أمريكا " The Greening America ، بأن " مـــا سيأتي ليس سوى طريقة حياة جديدة ولإنسان جديد " .

وكما يمكن أن تصبح الطبيعة البشرية سيئة للغاية بفعل مؤسسات شريرة كما اعتقد روسو يمكن أن تصبح جيدة أيضاً للغاية مـــن خـــلال بناء مجتمع غير قهري يتسم بالمساواة ، هذه الرؤية التفاؤلية للطبيعـــة البشرية، تعد جوهرية لقابلية العلاقات الاجتماعية المساواتية للنماء .

وهناك الفرديون الذين يرون أن الطبيعة البشرية شأنها شـــأن الطبيعيـــة المادية ثابتة بشكل غير عادي ، حيث يرون أن الكائنات البشرية علـــى شاكلة واحدة في جوهرها .

بينما التدرجيون فيعتقدون أن الكائنات البشرية تولد ومعــــها الخطيئـــة ،

ولكن من الممكن تخليصها منها بواسطة مؤسسات خيرية ، وهو ما يتعارض مع المساواتية في رؤيتها للطبيعة البشرية . أما القدريون فيرون أنه لا يمكن التنبؤ بالطبيعة البشرية ، حيث لا يعرفون أبداً ماذا سيفعل الغير ، ويكون رد الفعل عندهم هو عدم الثقة في رفقائهم من البشر ، وهذه النظرة المتشككة للطبيعة البشرية تبرر قبولهم بشكل قدري بأن يكونوا مستبعدين من أنماط الحياة الثلاثة الأخرى .

ويقول روسو " لا يهمني إن كان تلميذي قد أعد ليكون من رجال القانون أو الدين أو الجيش " فقبل أن يختار له والده مهنته ، اختارت له الطبيعة مهنته وحرفته الأولى ، أن يكون إنسان ، ومن ثم ينبغي أن يكون هدف التربية المثلى أن ينبغ كل فرد في هذه " المهنة " مهنة الإنسانية ، التي يتساوى الناس جميعا في نصيبهم من بذرتها الأولى .

كما يقول روسو عن إميل في تربيته " واسع الأفق رحب التفكير ، لا عن طريق المعلومات والمعارف التي تلقاها وإنما عن طريق قدرته على اكتسابها في الوقت المناسب ، وهو ذكي وصريح متأهب لكل احتمال ويكفيني منه أنه يعرف " أسباب" ، عقائده ، " مقاصد "، تصرفاته . فإن هدف تربيته ليس حشو رأسه بجميع المعارف الممكنة ، بل تعليمه طريقة الاهتداء إليها في أوانها في الوقت الذي يحتاج فيه إليها ، والهدف الثاني أن أعلمه كيف يزن تلك المعارف ويقدرها بقيمتها الحقيقية التي تستحقها وأخيراً .... أن يحب الحق فوق كل شئ .

• الكتاب والثقافة والوعي:

إن الوعي المنبثق على أساس المطالعة في سبيل التثقيف

والمعرفة نجده عقلانيا في تفسير الأحداث ، لأن الإنسان المثقف دائما يبني ، فالآراء والتحليلات التي يوحي بها وسائل بناء إيجابية صادقة معتمدة على منهجية تجريبية ، ولكن ممكن الخطر يكون في غير المثقفين من الجاهلين وأنصاف المتعلمين الذين يطلقون أحكامهم العشوائية دونما رؤية أو منهجية أو معرفة ، فيكونوا أكثر إيلاماً ومدعاة للسلبية في معناها المطلق .

وأشد ما يحز في النفس أن يكون الواعون في أمة أقلاء ، عندما يضيع العقل النابه في زحمة الركام ، فيلقي أولئك الواعون أصناف الاضطهاد ، فإذا نظرنا لأوروبا التي نراها اليوم قمة من قمم التقدم والازدهار - لقد مر عليها ردح من الدهر كان المفكرون فيها يسامون سوء العذاب .

يقول روسو في كتابه " آراء روسو الحية " : أولئك الذين يعلمون قليلون والرعاع كثيرون ، فإذا ما حاول الواعون البوح بأفكارهم ، استغربها الرعاع فديسوا بالأقدام ، لذلك يجب علينا أن نثقف أنفسنا أولا لنبحث عن البينة والحقيقة لأمور كثيرة ، لأن الكتب الراقدة على رفوف المكتبات تبقى ميتة لا حراك فيها إلا إذا أخذتها يد باحثة وأعمل فيها فكر ثاقب لاستخلاص نتائج إيجابية مستقبلية ، وهذا دور المطالعة والقراءة في تنمية الوعي والخروج بمخزون المعارف لتنير الفكر بتجارب السابقين .

وليس هناك وعي ما لم يكن هناك تعلم ، فالتعليم هو القاعدة الأساسية ورأس المال الثابت الذي نكتسب عليه الأرباح ، ومعنى ذلك الزمان الذي يستطيع المرء فيه أن ينقطع للمطالعة والتثقيف انقطاعاً

كاملاً لأن مهام الحياة العصرية تستوجب على كل فرد أن يعمل ، ونتيجة للتخصص الدقيق في العمل والتقنين ، يكون الرجل المناسب في الموقـــع المناسب . وبذلك يتخلص المجتمع من مشاكل العمـــل ويتفـــرغ الفـــرد للرياضة الذهنية فيغدوا أكثر قدرة على اكتساب الوعـــي عـــن طريـــق الإطلاع واكتساب الخبرة ، وتعود الأيام التي كان الفرد فيها يحيط بكـــل فن من طرف .

ولقد بلغ العلماء المسلمين شأناً بعيداً في التثقيف الواعـــي لدرجـــة أنهم لم يكتفوا بالإحاطة من كل علم بطرف ، بل إلى درجة الاختصاص في علوم شتى مثل " ابن سينا " ، وابن الهيثم ، والرازي ، والبـــيروني ، والخوارزمي ، والإدريسي ، وابن حيان ، وغيرهم كثيرون فكان هؤلاء الأفذاذ موسوعيين ، دوائر معارف متحركة .

التلوث الثقافي :

ولكن نريد بيئة ثقافية وتربوية أنقى ينطلق الشـــاب والنشء من خلالها إلى القراءة والثقافة والإطلاع ، لأن الإنســـان فـــي الثلاثين عاماً الأخيرة يفطن إلى الأخطار الناجمة عن تلوث مياه البحـــار والمحيطات بمختلف الصناعات المعدنية والكيمائية والبترولية التي تلقي بها المؤسسات الصناعية والورش دون أدنى مبالاة ، وبدأ الإنسان قبـــل ذلك بقليل يفطن إلى الآثار القاتلة للغبار والغازات والأبخرة السامة على صحة الأجيال الحاضرة والمستقبلية والتي تنفثها مداخن المصـــانع فـــي المدن والقرى وتنبه الإنسان حديثاً إلى تلوث البيئة وامتلائها بـــالضجيج

والضوضاء وخطورة ذلك على الجهازين العصبي والتنفسي وعلى حيوية الإنسان بوجه عام .

فكان نتيجة كل هذا أن عقدت المؤتمرات في كل مكـــان تناقش تلــك المخاطر المحدقة بحياة الإنسان وحيويته وهنائه وأثر ذلك فـــي مســتقبل الأجيال القادمة . وتبنت الأمم المتحدة تلوث البيئة وكرست جزءاً غـــير قليل من جهودها واهتمامها لبحث المشكلات المترتبة على تلــوث البيئــة واقتراح الحلول الكفيلة بالعلاج .

ولكن كما يبدوا لنا فإن نفس هذا الإنسان الذي فطن إلـــى تلــوث بيئتــه البحرية والجوية ، لم يفطن بع إلى المخاطر الناجمة عن تلـــوث البيئــة التربوية والثقافية للإنسان وجود مؤثرات غير مرغوبة في الوسط الـــذي يعيش فيه الإنسان ويتعامل معه . وهذه المؤثرات من شأنـــها تعطيــل النمو السليم للإنسان من النواحي النفسية والعقلية والقيميـــة والأخلاقيــة وتوجيه حياته وسلوكه وجهات لا يرضاها المجتمع ولا يشعرها لأن فيها خطراً على كيانه واستقراره وتطوره وتقدمه .

ولكن من أين يأتي تلوث البيئة التربوية للإنسان ؟ وما مصادره ؟

من أجل الإجابة عن هذين السؤالين فإننا نقول أن المســئول الأول عــن تربية النشء هي الأسرة ، ثم المدرسة ، إنهما شركاء في مسئولية واحدة وهي خلق تكوين مواطنين صالحين منتجين شرفاء ، غير أنه لا ينبغـــي أن يغيب عن أذهاننا وجود مؤسسات وأجهزة أخرى في المجتمع تســـهم في تشكيل شخصية الإنسان وتربيته حتى ولو لم تفطن إلى حقيقة الـــدور الذي تلعبه إننا نقصد بذلك في الدرجة الأولى لأجهزة الإعلام المختلفة من

صحافة وإذاعة وسينما ومسرح وتلفزيون ، إن ما تبثه هذه الأجهزة وما تنشره يومياً قد تسلل إلى كل أسرة ويتعمق أثره في نفوس الناشئة والكبار ، ولم يعد هناك مجال لأنكار هذا الأثر أو التقليل من خطورته .

بقاء الميراث الثقافي :

من الأمور التي تدل على تقدم وتحضر أي مجتمع هو مدى اهتمامه بالعلم والتعليم والكتب والمؤلفات وتوفر المكتبات التي تتيح فرص الإطلاع على المؤلفات بسرعة وسهولة فالكتب تجمع وتنظم وتعمل على نشر الأفكار والمعلومات في تناول جميع أفراد المجتمع بالتساوي ، وقد كانت المكتبة في القديم هي الطريقة الوحيدة لنشر التعليم . فأهداف المكتبة الجامعية تختلف عن أهداف المكتبة العامة وأهداف مكتبة الوزارة والدائرة تختلف عن أهداف وغايات مكتبة المسجد . ولكن جميعاً تلتقي في هدف عام ألا وهو خدمة المجتمع لتثقيف جميع فئاته على حد سواء . فحتى يكون دوراً كاملاً وحيوياً فإن المكتبة لها دورها والمدرسة لها دورها ولأسرة لها دورها في بناء الإطار الثقافي والمعرفي للفرد والذي يمثل حصناً مانعاً ضد أي اتجاهات مغرضة أو تريد أن تنول من تراثنا وثقافتنا .

فالواقع أن الفهم الدقيق لمفهوم الثقافة يحتاج من الباحث إلى ضرورة تبني المنظور التاريخي ، ذلك أن دراستنا لماضي الإنسان تكشف لنا بوضوح عن حقيقة مؤداها إنه برغم ما أصاب بعض المجتمعات من ركود وانتكاس من حين إلى آخر ، إلا أن التراث الاجتماعي للإنسان استمر ينمو كما وليس هناك شك في أن يستمر هذا

النمو ما بقى الإنسان محتفظاً بالاستعدادات العقلية الراهنة ، وربما كان استعمال اللغة عاملاً من أعظم العوامل أهمية في دفع عجلة التقدم الثقافي وإيصالها إلى وضعها الحالي ، واللغة إدارة لكل من الفكر والاتصال ومن حيث هي أداة للاتصال لعبت أهم أدوارها في بناء التراث الاجتماعي الإنساني ، فتساعد على نقل الأفكار بدقة وسهولة ولولا قيامها بهذا الدور لما استطاعت الثقافة كما نعرفها – أن تظهر إلى الوجود واللغة شكل من أشكال السلوك المتعلم المعقول وعلى الفرد أن يكتسب هذا الشكل بالطريقة ذاتها يكتسب بها أي مادة أخرى من مواد الثقافة التي ورثها ، وعلى كل حال فاللغة دائماً من أول المواد التي يتعلمها الإنسان وحينما يكتسبها تصبح مفتاحاً له سائر مغاليق الثقافة .

فالثقافة في جوهرها ظاهرة اجتماعية نفسية تحتل مكانها في عقول الأفراد ولا تجد تعبيراً عن نفسها إلا عن طريق الأفراد ، ولكن الثقافة تختلف عن الشخصية الفردية في نواحي عديدة فهي لا تضم على الإطلاق الوظائف العقلية التي تشير إلي عمليات التفكير والاستدلال الفعلية فهذه عمليات لا ثقافية ، ولذا كان من المستحيل تفسير أية ثقافة تفسيراً يعتمد كلية على النفسية الفردية .

ففي الثقافة يلتقي المجتمع والفرد ويسهم كل منهما بنصيبه فيها ، فمعنى ذلك بعبارة أخرى أن الثقافة تتكون من أنماط مجردة للسلوك وهذه الأنماط المجردة توصف بأنها ثقافية إلى المدى الذي يتم فيه اكتسابها وتعلمها بصورة مباشرة أو غير مباشرة خلال التفاعل الاجتماعي أي أننا عند الشروع في أي بحث عن الثقافة علينا أن ندرك أنها شئ يقع

خارج نطاق الظواهر الطبيعية ، فشكل الثقافات ومحتواها وحتى وجودها كل ذلك لا يمكن استخلاصه إلا من السلوك الذي ينشأ عن هذه الثقافات ، وكلمة السلوك مستخدمة هنا في أوسع معانيها لا تضم فحسب الأعمال العادية ، وإنما لكي تشمل أيضاً الأشياء المصنوعة التي قد تنشأ عن سلسلة معينة من الأفعال وكذلك لتوضيح الثقافة ونشرها عن طريق الكلام .

فالثقافة نفسها شئ غير ملموس ولا يمكن حتى للأفراد اللذين يشتركوا في خلقها أن يستوعبوها عن طريق الإحساس المباشر .
فمن الخصائص الأساسية للثقافة قدرتها على الدوام والاستقرار عبر الزمن ، يقول " رالف لينتون " في ذلك " تتضح الصفات التي تسموا فيها الثقافة فوق مستوى الفرد في قدرتها على تخليد نفسها وعلى البقاء بعد افتراض أي من الشخصيات التي تسهم فيها أو جميع الشخصيات التي سبق أن أسهمت فيها في أي نقطة معينة من تاريخها .

وربما ترجع قدرة الثقافة على ذلك نتيجة للدور المسيطر الذي تقوم به في تكوين وتشكيل شخصية الأفراد الجدد الذين وقعوا تحت تأثيرها . فجانب هام الشخصية الإنسانية يمثل التفاعل بين العناصر الفطرية التي تولد مذودين بها ، وبين البيئة الخارجية والتعبيرات الظاهرية التي توجد في مجتمع من المجتمعات . وذلك بدوره يخلق في شخصية الطفل مركبا ثقافياً مميزاً من الصلات والقيم العاطفية والعادات أو أن الطفل يكتسب ثقافة المجتمع الذي تربى فيه . ثم يقوم هو نفسه

بعد ذلك بنقل هذا المركب الثقافي للآخرين .

فمع أن الثقافة تخرج تماماً عن نطاق التركيب الفطري للفـــرد إلا أنـــها تصبح خلال مراحل نموه جزءاً لا يتجزأ من شخصيته ، ومعظم عناصر الثقافة تنفذ إلى أعمال شخصيته وتتحد اتحادا كلياً مع العناصر الأخـــرى حتى أنها تقع دون مستوى الإحساس الفردي فتحرك سلوك الفرد وتوجهه دون أن يشعر بذلك .

وربما كان المثال الذي يقدمه علماء الانثربولوجيا على ذلك هو التفرقـــة بين ما يسمى بالثقافة الكامنة أو المضمـــرة Implicit Culture والثقافـــة الظاهرة أو الواضحة Explicit Culture الأولى تشير إلى أن فرداً معيناً أو مجموعة من الأفراد يتمثلون عناصر ثقافيـــة أو مركبـــاً ثقافيـــاً دون أن يكونوا على وعي أو إدراك واضح لجوانب هذا المركب ، فالطفل مثـــلاً يستخدم اللغة يعبر بها عن أفكاره وتعد بالنسبة له وسيلة أساسية للاتصال بالآخرين . دون أن يكون على معرفة ببناء اللغة . ولهذا يطلـــق علـــى المعرفة الأخيرة أنها ثقافة ظاهرة أو واضحة ، طالما أن الذين يحملـــون هذه الثقافة على وعى كامل بكل جوانبها وعناصرها .

كذلك تبرز هذه التعريفات للثقافة أنها : كيان كلي مركب ومعنـــى ذلك أنها تشتمل على عدد كبير جداً من الملامح والعناصر التي أوضحها تعريف " تايلور " ويؤدي ذلك إلى الحقيقة التي مؤداها أنه لا يمكن لأي فرد أبداً أن يلم بالمجموع الكلي لمحتوى ثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه ، حتى في أبسط أشكال الثقافات تجد أن المحتوى الثقافي أغنـــي مـــن أن يستطيع عقل واحد بمفرده أن يستوعبه كاملاً ، ولـــهذا كـــانت تجربـــة

الأنشطة والتخصص فيها هي التي تمكن الفرد من أداء وظيفته أداءاً ناجحاً دون أن لم إلماماً كاملاً بمحتوى الثقافة ، فهو يتعلم ويمارس نواحي معينة من المجموع الكلي للثقافة ويترك النواحي الأخرى ليتعلمها أفراد آخرون غيره ، كذلك يظهر تعقيد الثقافة في التفرقة التي يمكن إقامتها بين :" العناصر الثقافية وبين ما يمكن أن نطلق عليه مصطلح الثقافات الفرعية Sub-Cultures وتشمل الفئة الأولى من تلك الأفكار والعادات والاستجابات وأنماط السلوك التي تشترك فيها جماعات معينة من الأفراد تحظى باعتراف المجتمع ولكن لا يشترك فيها المجموع الكلي للسكان .

فالثقافة مصطلح يشير إلى طائفة من الظواهر والوقائع يمكن تلخيصها فيما يلي :

١- الثقافة بالمعنى العام تشير إلى أساليب الحياة التي تنتشر في كافة المجتمعات الإنسانية خلال فترة زمنية معينة ، وقد تكون أساليب الحياة هذه عامة في مجتمع بأكمله أو قاصرة على جماعة فرعية من هذا المجتمع ولكنها لا تنفصل عن الثقافة العامة انفصالاً كاملاً .

٢- الثقافة تجريد للسلوك لا يجب أن نخلط بينها وبين الأفعال الفردية أو ما يعرف بالثقافة المادية أو بالأشياء المصنوعة التي تترتب على أنماط معينة للسلوك .

٣- أساليب السلوك التي يتم تجريدها مباشرة من خلال ملاحظة ومشاهدة للسلوك الفعلي للأفراد يطلق عليها أنماط ثقافية . Cultural Patterns وهذه الأنماط قد تكون مثالية ، أي تشير ما يجب أن يكون عليه

السلوك أو واقعية وتعبر عن تصرفات إزاء مواقف معينة .

ويستطيع الإنسان أن يحقق التوازن من خلال الثقافة مع البيئة المحيطة والظروف الاجتماعية التاريخية ، وتفسير ذلك أن الثقافة تفهم على أنها تمثل استجابات توافقية لمثل هذه الظروف ، ذلك أن البيئة الخارجية والمؤثرات التاريخية هي من العوامل العديدة التي على الإنسان أن يتعامل معها بواسطة الثقافات التي يطورها . وهذا التوافق يتطلب التمييز الواضح بين القيم الثقافية وأنماط التوافق الموقفية إلا التي تقتضيها ظروف معينة ، ذلك أن القيم الثقافية تتضمن المثاليات والأهداف والغايات والمستويات الجمالية والأخلاقية ومعايير المعرفة والحكمة التي تجسدها هذه القيم وتتعلمها الأجيال وتنقلها بعضها بعضا بعد أن تسهم فيها إسهاماً يعكس الخبرة الخاصة لكل جيل من الأجيال . ومن المسلم به أن هذه القيم لا تظهر أو تتجلى ببساطة على سطح الحياة اليومية ، وإنما هي تتصل بالخبرة والسلوك بطرق متعددة وغير مباشرة والقيم هي لب الثقافة وأساس التفضيل الذي يبني عليه الناس مواقفهم .

فقد عرض كلامن كروبير وكلود كلاكهون عرضاً ممتازاً لنظرية الأنماط الثقافية حينما كان بصدد استعراض وتحليل المفاهيم والتعريفات الخاصة بالثقافة لهذه النظرية ، وذلك حينما حاولا أن يناقشا هذه التعريفات مناقشة نقدية ويتضح ذلك من النص التالي :

" تتألف الثقافة مع أنماط ظاهرة وكامنة للسلوك المكتسب والمنقول بواسطة الرموز ، مكونة بذلك الانجاز المتميز للجماعات الانسانية ويشمل ذلك ما تجسده هذه المنجزات من أشياء مصنوعة . ويتمثل جوهر

الثقافة في الأفكار التقليدية التي يتم استخلاصها تاريخيا وبخاصة ما يتصل بها من قيم ويمكن أن نعتبر النسق الثقافية من ناحية نتاج للسلوك ومن ناحية أخرى سببا في ظهور أنماط سلوكية جديدة .

فهذا التعريف يجعل الثقافة أكثر ثراءا من التعريفات التي تعتبر الثقافة مجرد سلوك متعلم أو مكتسب أو تتناقله الأجيال مضيفة اليه تجربتها الخاصة .

فقد لاحظ كرويد وكلاكهون أنه على الرغم من أن مفهوم الثقافة يعتمد أساسا على السلوك ، و يجعل الأنماط السلوكية المختلفة مفهومة ومستوعبة إلا أن الثقافة ليست سلوكاً فهناك جانب من الثقافة يشمل المعايير أو القيم وقواعد السلوك ، بينما هناك جانب آخر يتألف من الأيدلوجيات التي تبرز أنماط سلوكية معينة ، أو تضع الأساس العقلي لهذه الأنماط ، وكل ثقافة تتضمن بالضرورة مبادئ عامة للاختيار والتنظيم هي في حقيقة الأمر عامة جداً ، إذ في ضوء هذه المبادئ يمكننا صياغة الأنماط الثقافية المختلفة التي تعد بدورها عبارة عن تعليمات تصف على أساسها عدد كبير من المحتويات الثقافية وتخضعها إلى نظام محدد .

والتكيف الاجتماعي الثقافي لا يعادل السلوك المتعلم والذي ينتقل اجتماعياً عبر الأجيال وذلك بالرغم من أن هذا السلوك يعد شرطاً ضرورياً لإقامة الثقافة .

وتختلف الأنماط الثقافية باختلاف الأنماط السياقات الاجتماعية التي تظهر

فيها ومن ثم فإنها تختلف في درجة تعقيدها وفي نوعيتـــها ، فالأنمــاط البسيطة هي تلك الأنماط الظاهرة والموضوعية للسلوك التي تتجسد فـــي العادات والتقاليد والملابس والأشياء المصنوعة ، ولدينا أنماط ثقافية أكثر تعقيداً وهي التي تتعلق بالتنظيمات الاجتماعية والسياســية والاقتصاديــة والنظم الدينية واللغوية والقانونية والفلسفية والعلمية والفنية .

ويميز " كروبير " بين الأنماط الثقافية الرئيسية وهي التي تحقق دواماً واستمراراً قد يمتد إلى آلاف السنين بوصفها سمات ثقافية متماسكة وذات قيمة وظيفية . وبين الأنماط الثقافية الثانوية وهي على الأقل دواماً وأكثر تغيراً وتبايناً .

فالثقافة العامة في المجتمعات الإنسانية ككل تنطوي على جانب نمطـــي يحدد الإطار العام للثقافات الفردية ويعبر عن مظـــهر تـــاريخي لتلـــك الثقافات التي عزلت نفسها بوضعها تشكيلات ثقافيـــة تاريخيـــة متمـــيزة ويطلق على هذه التشكيلات اسم " الأنماط الثقافية العالمية " والتي يمكـــن اكتشافها بواسطة الدراسات التاريخية المقارنة التي تنطلق مـــن منظـــور شامل يستوعب دراسة مختلفة لمستويات الثقافة في المجتمع البشري ككل ولا يعني هذا أن هناك تطوراً مطلقاً للثقافة العالمية . أو حدوداً طبيعيـــة للدراسات الثقافية التاريخية .

فالأنماط الثقافية نتاج يخلفه الأفراد والجماعات وهي تتفاعل معهم مثل البيئة التي تتعامل معهم أيضاً ، وهذا التفاعل وهو الذي يؤثر تأثيراً كبيراً في إحداث النمو الثقافي .

فذلك النمو الثقافي عملية تاريخية ، إذ تعبر الثقافة عن متغير وسيط بين

الإنسان والبيئة ومهمة العالم الثقافي هي أن يتتبع طريقة تكوين الأنماط الثقافية ، ويقوم بمقارنتها وتصنيفها ومعرفة صلتها باكتساب الثقافات وبناء الشخصية الإنسانية .

الثقافة والتغير الثقافي :

اتجه علماء الاجتماع اتجاهات مختلفة عند تحديدهم لعوامل التغير الثقافي وأسبابه فمثلاً ذهب " أوجبرن " ومدرسته إلى أن الثقافة المادية بما تشمله من اقتراحات ومكتشفات هي العامل الرئيسي في التغير ، ويركز أوجبرن بصفة خاصة على أثر التكنولوجيا والاختراعات وإن كان لا ينكر عوامل أخرى كالعوامل البيئية والطبيعية والبيولوجية وغيرها من العوامل التي تساهم في ظاهرة التغير . فكان من رأي " كمبول يونج " أن التغير الثقافي يرجع إلى عوامل الاختراع واستخدام التصنيفات التكنولوجية .

وتختلف وجهات نظر المفكرين عند تناولهم لعوامل التغير ويمكن القول بأن العوامل التي تؤدي إلى التغير كثيرة ومتعددة ولكن آثارها تختلف باختلاف المجتمعات وباختلاف الزمان بحيث لا يمكن تعميم أي منها على كافة المجتمعات ، فالتكنولوجيا وإن كانت دراسة للوسائل الفنية لمجموعة كبيرة من العناصر المادية التي تؤدي إلى الثقافة . إلا أن التقدم التكنولوجي له تأثيراته على أساليب التفكير والعلاقات الاجتماعية وتنظيم المجتمع وتطور القانون . فتعدد الهيئات والوظائف يؤدي بالمجتمع إلى الترابط والتضامن الحيوي الذي يؤدي إلى حياة اجتماعية وثقافية جديدة تقوم على الهيئات الاجتماعية المختلفة المستحدثة في هذا المجتمع وعلى

أساس من وظائفها التي تخصصت أو تخصص فيها .

فالنظر إلى ثقافة المجتمع من وجهة بنائية ومن خلال مجاراتـــــها الوظيفية وفي الإطار الكلي الذي يحدد مشخصاتها الذاتية فإن هذا يـــؤدي بنا إلى أخذ الثقافة في المقام الأول على أنها المعطى الاجتمـــاعي فـــوق العضوي الذي يكسب المنشطات الاجتماعية الشعور بالوحدة الفكرية الذي يجعلها تصل إلى المستوى التكنولوجي القادر على صياغة الجانب المادي وفق قدرتها على الســـيطرة على مواردها البشرية والمادية لصالح تقدم البناء وإشباعا لمتطلباته واحتياجاته المتجددة .

المدنية والثقافة :

المدنية أو الحضارة بمقتضى تصورنــــا الشــامل للثقافة تعتبر عنصراً هاماً وأساسياً فيها وخاصة في العصــــر الحديـــث ، فالمدينة أو الحضارة تعني هذه العناصر المستمدة مـــــن الثقافـــة والتـــي يتناولها الإنسان بالتهذيب والتفكير وحولها إلى وسائل لتحقيـــق غايـــات ملموسة واضحة وتنتقل المدنية بجهد أقل مما تنتقل به الثقافـــة . ذلـــك لأن عناصر الثقافة من قيم واتجاهات عقلية وارتباطات عاطفية تنتقل بين الأفراد والجماعات إذا ما تشابهت أصولها الجغرافية والتاريخية وخبرتها الاجتماعية ، وما نكتسبه من الثقافة بعناصرها الاجتماعية يصبح جـــزءاً من شخصياتنا . وقد يصعب علينا تغييره أو التحول عنه إلـــى عنـــاصر اجتماعية أخرى دون عناء أو صراع داخلي في نفوســـــنا ، والعنـــاصر المادية التي تكون المدنية ، والمتمثلة في الأدوات والمخترعات الماديـــة قد تكون وسيلة لنقل العناصر الاجتماعية دون أن تغـــــير منـــها تغـــيراً

ملموساً .

فالمدينة هي المستوى المرئي للثقافة والذي عبر عن تقدمها وما أخضعه الإنسان لفكره وابتكاره ولهذا نجد العلاقة المرتبة أو المتصلة بينهما ، فجميع العناصر التي تقع في مجال المدينة تحمل جانباً ثقافياً ولو بدرجات مختلفة ، كما أن عناصر الثقافة تحمل بلا حدود الصفة الخاصة بعناصرها المدنية والأنظمة الاجتماعية تعبر عن العلاقة بين الثقافة والمدنية في المجتمعات البدائية والمتقدمة على السواء .

فقد تكون هذه العلاقة القائمة على التأثير والتأثر بين المدينة والثقافة هي التي تفسر ما ينشأ من مقارنة وصراع في حياة الجماعة ، فقد يزداد الأخذ بالآلات الحديثة ويزداد استخدامها في مجالات الحياة دون أن تعمل الجماعة أو قطاع كبير منها على تغيير ما عندها من تقاليد وعادات ومفاهيم بما ييسر تقبلها لها وتنظيم حياتها على أساسها .

فالثقافة من ناحيتها تتأثر بنوع المدينة التي نعيش فيها وبما توفره من أدوات ، ووسائط فنية ومن ذلك تأثير الطباعة ووسائل الاتصال الفكري من إذاعة وسينما وتلفزيون على الفن والأدب والقراءة . فعن طريقها انتشرت اللغة الواحدة إلى جهات أخرى وفي مجتمعات مختلفة وانتشرت عادة القراءة بين الناس وسهل تبادل الفكر والرأي . ومن هنا فإن وسائل المدينة والأخذ بها تؤثر على أفرادها من حيث الإعلان عن أنفسهم بالرأي والفكر وإذاعتها ، كما تعنيهم مع مشاركة غيرهم في قيمهم وعاداتهم وأفكارهم والتأمل فيها . ومن هذا كله يمكن للجماعة أن تنظر إلى ثقافتها في مجال أوسع ومن منظور أرحب إذ ترى نفسها في

ضوء الثقافات فتحددها وتغير فيها .
ويمكن القول أن المدينة هي الثقافة المادية التي تعكس مستوى التقدم التكنيكي للمجتمع في مرحلة معينة من نموه ، ومستوى الإنتاج والمهارات الفنية وخبرات الناس في إنتاج الثروة المادية ، وهي تعبر عن درجة سيطرة الإنسان على الطبيعة . والثقافة المادية هي كل شيء اتخذ فيه العمل الإنساني صورة مادية في مجرى النمو الاجتماعي فالثقافة تعني أشياء كثيرة يصعب تصور الحياة الإنسانية بدونها ، وهي الأساس الذي نميز في ضوءه بين حياة الإنسان وحياة غيره من الكائنات الحية كالحيوانات والنباتات ، فحياة الإنسان في الثقافة وتشربه لعناصرها وتحقيق حاجاته عن طريق نظمها وما فيها من علاقات تتضمن قدرة الفرد على الإفادة من الماضي بما فيه من تراث ومواجهة للحاضر بما فيه من مشكلات ومقابلة المستقبل بما فيه من تراث واحتمالات ، ولهذا يمكن القول أن الثقافة تعبر عن الذكاء القابل للانتقال من جيل إلى آخر . فهي تتضمن من ناحية الأشياء والأنظمة التي يقوم بواسطتها أفراد المجتمع بعمليات المعيشة الجماعية وهي من ناحية أخرى توجد في هؤلاء الأفراد الذين يعيشون معاً كمجتمع أو في طبقات في هذا المجتمع .

والفرد عند مولده لا يكون أكثر من مجموعة امكانات غير منسقة ويبدو عاجزاً عن الاكتفاء بنفسه ولهذا يعتمد على الجماعة بالضرورة لا للحماية والتغذية فقط وإنما كذلك لاكتساب لصفات التي تجعل منه إنساناً متجاوباً متفاعلاً مع شخصيات مجتمعه إذ ليس لديه غرائز بالمعنى

الفطري الذي يوجد لدى الحيوانات التي يشترك معـــها فـــي الحاجـــات العضوية البيولوجية إلا أنه يمتاز عنها بالمرونة والقدرة علـــى الملاءمـــة والتكيف ، وهاتان الصفتان تتضمنان قدرته على التعلـــم والتغـــير مـــن سلوكه في خبرات حياته المختلفة التي يعيش فيها وسط جماعة . ولمـــا كان هذا التكيف عملية تعليمية فإن هذه العملية لا تكون كاملة كمـــا هـــو الحال في الحيوانات أو تكون جامدة أو محددة ، وإنما هي عملية مستمرة تقوم على تعلم مستمر فتمكن الإنسان من أن يعيد تكيفه فـــي الظـــروف المتغيرة كما يمكنه من ظروف بيئته . ثـــم أن الإنســـان يختلـــف عـــن الحيوانات في بعض الخصائص البيولوجية مما يســـاعده علـــى تكويـــن الثقافة وإبداعها ، وتميز الإنسان عن الحيوان بقدرته على التعلم والتفكير والتذكر والتنبؤ جعلته ينفرد بتكوين الثقافة وابتكار عناصرها ونقلها مـــن جيل إلى جيل ومن عصر إلى عصر وتعلمها وتعليمها .

فالثقافة بهذا المعنى الواسع تشمل كل عناصر الحياة العامة لشعب من الشعوب بما يسود ذلك الشعب من عقائد وعادات ونظم تربط الأفراد بروابط القربى وضروب التسلية والمتعة وكل ألـــوان الفنـــون والآلات النافعة كأدوات الصناعة وأنواع الصناعات وغير ذلك ممـــا تختصـــره بالقول وكل ما من شأنه أن يشكل استعداداً لا ينتهي عنـــد حـــد معلـــوم استعداداً . كما يقول ابن خلدون يميز الإنسان تميزاً واضحاً عن ســـائر ضروب الحيوان ، فلا يسع الإنسان إلا أن يعبر عن نفسه مـــهما تكـــن الظروف التي يعيش فيها فقد خلق على نحو يحتم عليه أن ينتـــج لنفســـه ثقافة ما تمكن له أن يعيش مع الآخرين في جماعة واحدة بحيـــث يفـــهم

بعضهم بعضا .

فالثقافة الحية لابد وأن تظل في حركة دائمة وتغير لا يقف وكـــل ثقافة لها صفات فريدة في ذاتها على الرغم من اشتراكها مـــع الثقافـــات الأخرى في عناصر علمة . والتنوع الكبير الذي يوجد بين الثقافات وفي السلوك الإنساني في المجتمعات وداخل المجتمع الواحـــد يرجـــع إلـــى العوامل المادية ، فالثقافة في المجتمع الرأسمالي تختلف عن الثقافة فـــي مجتمع اشتراكي بل وفي داخل المجتمع الواحد توجد ثقافات فرعية ، وقد يرجع اختلاف الثقافات إلى اختلاف في درجة ما تحظى به المجتمعـــات من تقدم في التكنولوجيا ، فالعنصر الأساسي في التكنولوجيا هو المعرفة والتقدم فيها وبهذا تعتبر الثقافة أساساً للوجود الإنســـاني بالنســـبة للفـــرد والمجتمع الذي ينتمي إليه فهي توفر للفرد صـــورة الســـلوك والتفكـــير والمشاعر التي ينبغي أن يكون عليها .

كما أن الثقافة المشتركة تنمي في الفرد شعوراً بالانتماء والـــولاء فتربطه بالأفراد الآخرين في شعور واحد ، غير أن تشكيل الثقافة للفـــرد على هذا النحو لا يعني إلغاء فرديته إذ بواسطتها تنمو إمكاناته وتتحـــرر قواه ويكتسب قدراته التي نسميها عقلاً وذكاء ومن ثم يصبح قادراً علـــى الاختيار والتمييز الواعي .

فالإنسان يكتسب حريته وقدرته على التفكير عن طريق نشاطـــــه وجهده في الثقافة التي يعيش فيها وعن طريق اكتســـابه معانيـــها . ثـــم استخدام هذه المعاني كقوة يفهم بها العالم المحيط ويميز في ضوءها بين الجيد والردئ ويفسر الأحداث والعوامل والعناصر ، وهذا كله يمكنه من

السيطرة على بيئته وتوجيهها وتوجيه نفسه فيها .

فالقول بأن الثقافة لها كل هذا التأثير على الفرد لا يعني أن التأثير يتم ويحدث تلقائياً بغير حساب ، أو دون وسيط ثقافي ، فالمعروف أنه لا ثقافة بدون مجتمع ولا مجتمع بدون أفراد وأنظمة ومؤسسات ، وهذه الأنظمة والمؤسسات تعبيرات ثقافية وجملة الثقافة هم هؤلاء الأفراد عن طريقهم يتم النقل الثقافي للأجيال الوافدة ونحن لا نرى الثقافة في ذاتها وإنما نراها في سلوك الأفراد فهم يتصرفون في أغلب الحالات وفق توقعات عامة ترد جانباً كبيراً من الجماعة . فنحن نرى الناس يأكلون ويشربون ويتعلمون ويتزوجون ويتعاونون ونراهم في صور أخرى متعددة من التفاعل الاجتماعي ، وعندما نفحص هذه الأنواع من النشاط نجد أنها ليست عشوائية أو ذات صفة فردية وإنما نجدها متأثرة ولو بدرجات مختلفة بأنماط عامة من التقاليد والعادات والقيم ومجموعة من المعاني كذلك تعكس عوامل اقتصادية واجتماعية .

وهذه التقاليد والعادات تنقل عن طريق الكبار والمؤسسات المختلفة التي تلعب دوراً في نقل هذه الأشياء للصفات على سائر الجوانب وعدم تخصص وقت كاف من جانب الأباء والأمهات لإرشاد الصغار وتوجيههم وخاصة بعد خروج المرأة والأم إلى العمل ، فكان تعلق الصغار بوسائل الإعلام وخاصة الراديو والتليفزيون والسينما يكتسبون منها التقاليد والعادات والقيم وأنماط السلوك في المواقف المختلفة ومن هنا تبرز خطورة هذه الوسائل .

التنمية .. مقولة نهضوية :

لقد شق هذا المصطلح طريقه إلى الأيديولوجيا العربية ابتداء من الستينات - فرض نفسه بسرعة باهرة في مجال التداول الفكري والثقافي محاطاً بهالة لظهرته وكأنه مصطلح معرفي ثلاثي الأبعاد .

ومصطلح التنمية .. أولا :- إذ فرض نفسه كبديل عن مصطلح التطور رغم أن المصطلحان يترجمان عن كلمة واحدة **Development** ، بدا أكثر مطابقة للواقع وأكثر قدرة على تلبية الضرورة النظرية من حيث أنه يكرس تدخلاً إرادياً في التاريخ ، فتطور المجتمع العربي لن يأتي عفو الخاطر وبطريقة تلقائية ، بل أن التنمية هي على العكس ، المرحلة الأولية القصدية والإرادية التي لا مناص من المرور بها عن سبق تصميم وتخطيط لإطلاق آلية التطور التلقائي في المجتمع ولوضعه عن طريق التقدم الذاتي .

ثانيا : لقد بدا المصطلح بأدواته الإجرائية من أرقام وجداول وإحصائيات وكأنه ينتصر للغة العصر ، لغة العلم والدقة الرياضية على حساب لغة الميتافيزيقيا السديمية المفهومية في مجتمع أحوج ما يكون إلى تقديم اللغة الأولى على الثانية .

ثالثا:- بدا وكأنه يطعم الأيديولوجيا العربية ، أسيرة التهويمات الميتافيزيقيا بعنصر جوهري من عناصر الحداثة ، العقلانية الاقتصادية ، التي تكاد تختصر بمفردها ماهية التقدم الحضاري المعاصر المتمحور حول الاقتصاد والصناعة الإنتاجية سواء في مجتمعات الغرب الرأسمالية أم مجتمعات الشرق الاشتراكي .

إن استدخال مصطلح التنمية يمثل مكسباً سيكولوجياً أكيـداً ، فالمفـهوم الضدي الذي تميل إليه التنمية هو" التخلف "

ولكن ليس صحيحاً أن التنمية مقولة سحرية ، كلمة " سمسم " نفتح بـها مغارة العصر والحداثة بدون أن نتكلف جهداً أو ننز عرقاً ، بـل علـى العكس تماماً هو الصحيح ، فالتنمية تعني أول ما تعني وضع حد للتعامل السحري مع الواقع والانعتاق من أسر كلمات السر والمفاتيح السـحرية وترسخ الوعي بأن للأشياء تكاليفها وأن ضريبة العمـران الحديـث ، وكل عمران ، هي تراكم الجهد والعرق والانخراط الجماعي فـي دورة الإنتاج المادي والفكري ، كذلك ليست التنمية حقنة نحقن بـها المجتمـع المتخلف فيستعيد في الحال صحته وتقدمه ، فكما أنه ما من تنمية بـدون ثمن وبلا تضحية ، كذلك فإنه ما من تنمية فورية تؤتي أكلها حالاً .

والتنمية ليست عملية استزراعية ، فالتكنولوجيا لا تنقل والتقـدم الصناعي لا يستورد ، فالتنمية ممارسة محلية وتخلق ذاتي ، ومهما تكن من تجارب الآخرين مفيدة في هذا المجال ، فإن الاعتماد علـى النقـل والاستيراد من شأنه أن يلق وضعية مضادة للتنمية ولروحية التنمية .

والتنمية أخيراً ، ليست آلية جزئية بالمعني الضيـق للكلمـة ، أي أنها ليست محض مقولة اقتصادية أو تقنية فهي مشروع كلـي ونجاحـه مرهون بفاعليته وراجعيته على مختلف بنى المجتمع ، اجتماعا وتربيـةً وثقافة ، علاوة على ذلك - بطبيعة الحال - على الاقتصاد والسياسة .

ومن ثم فالتنمية والمشروع التنموي ليس أمامه سوى خيار واحد وهو إلا أن قومياً .

وتعتبر التنمية الشاملة عملية مجتمعية واعية ودائمة Sustained موجهة وفق إرادة وطنية مستقلة من أجل إيجاد تحولات هيكلية وإحداث تغييرات سياسية - اجتماعية - اقتصادية - تسمح بتحقيق تصاعد مطرد لقدرات المجتمع المحلي وتحسين مستمر لنوعية الحياة فيه ، وقد عرضها برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (التنمية البشرية =عملية التنمية المرغوبة) وهي " عملية توسيع نطاق الخيارات المتاحة للناس " .

ويعتبر البعد الثقافي من بين أبعاد التنمية الشاملة والذي يتضمن كل أبعاد الثقافة المادية والمعنوية ، وتتطلب شمولية التنمية ، التفاعل مع الثقافة التقليدية ، ومن حيث التركيز على جوانب الثقافة التقليدية التي تدعم برامج وأهداف التنمية وتفريغ الجوانب المعوقة من مضمونها القيمي ، مع دعم نماذج ثقافة بديلة ويتصل هذا الجانب بالمعتقدات والفلسفات القائمة وبالعمق التاريخي للسمات والمركبات الثقافية ، وبطبيعة بناء السلطة والقوة داخل المجتمع ، من حيث الأهداف والفلسفة والأساليب والتصور الاستراتيجي للمجتمع .

• معوقات التنمية :

تنقسم هذه المعوقات إلى نوعين أساسيين هما :

١- المعوقات البنائية العامة : وتتمثل في متغيرات الاستغلال والتبعية .

٢- المعوقات الوظيفية : وتتمثل في متغيرات العوامل السلوكية والمعيارية والقيمية والثقافية الكامنة في مجتمع أو جماعة أو أفراد .

وهناك أربعة عوامل رئيسية مؤثرة في عمليات التنمية في مصر وهي : الأمية - النمو السكاني غير المستثمر - الجوانب السلبية للنسق

القيمي – الدافعية .

• أهمية الوعي الثقافي ودوره في التنمية :

يتفاعل كلا الجانبين

المادي والمعنوي بشكل اجتماعي وثيق في الممارسة الاجتماعية ، وينبغي أن تكون هناك موازاة في الجهد المبذول لتنمية الأساس المادي مع الجهد المصاحب لتشكيل الوعي الثقافي وترقيته ، حيث يعتبر ذلك مطلباً من أجل التنمية ، بل هو أحد مكونات عملية إعادة بناء المجتمعات المتخلفة .

والوعي الثقافي هنا يشير إلى كل القيم الإيجابية التي تشمل إلغاء استغلال الإنسان للإنسان ، إقامة علاقات اجتماعية إنتاجية عادلة وتدعيم ممارسة الديمقراطية وزيادة معدلات المشاركة الاجتماعية والسياسية وحفز الدافعية للإنجاز .

ويعتبر محو الأمية الوظيفية بين مختلف فئات الشعب ، عماد الوعي الثقافي وبخاصة في المجتمعات التي ترتفع فيها معدلات الأمية ولا يتحقق ذلك إلا من خلال برنامج محدد للعمل الأيديولوجي والسياسي والتربية الثقافية .

ويتم ذلك على نحو يجعل الجماهير في هذه المجتمعات مدركة تماماً وبوضوح كاف ، أهداف التقدم الاجتماعي ، كما أن هذه التربية الثقافية ينبغي أن تجعل كل فرد قادراً على فهم القوانين والقواعد العليا للمجتمع وتاريخه والمشاركة بوعي في تشكيل مصيره عبر تقدم المجتمع إلى مراحل جديدة .

وتعتمد برامج تنمية الوعي الثقافي على تحديث كل ما هو جدير بالاهتمام بشكل خاص في الحياة الثقافية لمصر في الماضي ، وكل ما هو انعكاس لنضال شعبها في سنوات طويلة من أجل التحرر الوطني والاجتماعي وفي ذلك بالطبع تأصيل للقيم المصرية العربية ، حيث يوفر أساساً خصباً لربط التقليد بالتجديد ويجعل من التقليد الوطني شرطاً لازماً يعتمد عليه التقدم الثقافي اللاحق ، والأخذ في الاعتبار التفاعل مع الثقافات العالمية الأخرى ، الذي يعد مصدراً أساسياً من مصادر تطوير الثقافة القومية وتقدمها حيث لا يمكن أن تتطور أي ثقافة قومية بمعزل عن العمليات الثقافية الأخرى التي تجري في العالم .

كما أن الثقافة القومية تسهم في تطوير الثقافة العالمية ، وليس هناك ما يؤدي إلى التطور الكامل لكل ثقافة سوى التبادل المستمر للقيم بين الثقافات القومية .

ورسالة الثقافة ، التي تعبر عن لعالم الفكري لكل شعب معين ، وذكائه وقدراته الإبداعية تسهم أكثر في أي وقت معنى في خلق مناخ عالمي للتفاهم المتبادل والتعاون والسلام وفي النضال ضد استخدام القوة أو التهديد بها ، وضد سياسة السيطرة الإمبريالية والتدخل في شئون البلدان الأخرى .

ولكي تنمو وتنتشر القيم الثقافية الإيجابية التي تعتمد عليها تهيئة نسق القيمة السائد في المجتمع لتقبل التجديدات يتعين أن توضع خطة متكاملة للتنمية الثقافية .

• المثقفون كأداة للتنمية :

أوضح العديد من علماء الاجتماع أن

الحقائق التاريخية والخبرة التنظيرية تكشف عن أن فئة المثقفين تعد هي الفئة الأكبر تأهيلاً لدفع المجتمع الإنساني نحو التقدم . وبهذا الصدد رأى " مارتينال " أن الافتراضات الأساسية للنظرية الاجتماعية السلكية المتعلقة بالتغير الاجتماعي والثقافي يمكن تحديدها على النحو التالي :

أولا : أن جميع عمليات التغير الاجتماعي والثقافي هي من عمل الأفراد

ثانيا : إن الأحداث الجسام في التاريخ البشري تتمثل في تشكيل وتدمير المجتمعات والحضارات.

ثالثا : وبسبب دورهم في تشكيل وتدمير المجتمعات والحضارات فإن المثقفون يمثلون هدفاً هاماً لدراسة هذه العمليات .

وقد اختار " مارتيندال " Martindale Done فكرته عن أهمية نشاطات المثقفين عبر خمس حضارات : الصين القديمة ، الهند القديمة ، مملكة يهوذا ، اليونان القديمة ، المجتمع الغربي منذ النهضة .
ويرى أن التغير الذي يتمثل في تكوين وهدم الأشكال والأنساق الاجتماعية يرتبط إلى حد كبير بالنشاطات الخالقة للأفراد .

وبالرغم من أن أي فرد يحتمل أن يكون مبتكراً أو مجدداً فإن المبتكرين الأساسيين هم مثقفو المجتمع أو الحضارة ، فالوظائف الخاصة للمثقفين تكمن في نشاطاتهم الابتكارية أو المحافظة في المجتمعات

والحضارات وهم الأشخاص الأساسيون فيما يتعلق بإعادة تكوين المؤسسات الرئيسية وتحويلها إلى نسق أكثر شمولاً .

ويؤكد شيلز Shills, Edward على أهمية دور المثقفين في التحديث حيث يرى " أن جودة فئة مثقفة خالقة يعتبر عنصراً أساسياً لا يمكن أن يتخلى عنه أي مجتمع يشق طريقه نحو التحديث " حيث يعد المثقفون روح التحديث الذي يتم في بلادهم وهم القائمون على تنفيذه ، ولا يمكن للتحديث أن يتم بدون مشاركتهم النشطة والفعالة وهم الذين يتولون المهن التي تعد عاملا مكملا للاقتصاد الحديث والتي تعد عاملا أساسيا للمؤسسة العسكرية الحديثة والتي تعد أخيرا عاملا ضروريا لتأدية وظائف الدولة والمجتمع .

وكما لاحظ ميلسون Milsson أن المثقفين قد قاموا في الوطن العربي خلال الثلاثينات والأربعينات بقيادة النضال من أجل الاستقلال ، كما كان للكثيرين منهم دور فعال في الأحزاب السياسية والبرلمانية .

وقد ساهم مثقفو الطبقة المتوسطة المصرية الجديدة بالنصيب الأكبر في قضايا التغيير الاجتماعي في أواخر القرن التاسع عشر ، و أوائل القرن العشرين ، وفي تحرير المرأة والحياة النيابية .

ولقد كان المثقفون المصريون هم قادة التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية طيلة النصف قرن الأخير منذ طلعت حرب المؤسس الحقيقي لبناء الرأسمالية الوطنية في مصر وصاحب كتاب (علاج مصر الاقتصادي عام ١٩١٠) .

وبرغم انشغال المثقفون خلال العشرينات والثلاثينيات بالمسائل الثقافية ، إلا أنهم بعد ذلك كان يحدوهم الاهتمام بالعدالة الاجتماعية والمساومة الاقتصادية والحرية السياسية بالإضافة إلى مقاومة الحكم والنفوذ الأجنبية والتي اقترنت بفكرتهم عن النضال من أجل التحرر السياسي والاقتصادي من الطبقات الحاكمة المحلية التي كانت تتمثل في الوقت بزعامة الأحزاب السياسية المختلفة .

ويعبر كولمان Colman عن أهمية المثقفين بالقيام بدور تنموي بقوله :

" إن التحول التاريخي في الدول النامية يعتبر إلى حد كبير نتاج القلة المتعلمة تماماً كما هو عليه الحال في أماكن أخرى وفي فترات تاريخية أخرى حيث لعبت القلة المتعلمة دوراً طليعياً مماثلاً " .

فقد ركز طه حسين على التعليم في تطوير المجتمع بأبعاده المختلفة ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً وعسكرياً وسياسياً وهو الدور الذي لخصه في قوله " الحضارة التي تقوم على الثقافة والعلم والقوة التي تنشأ عن الثقافة والعلم والثروة التي تنتجها الثقافة والعلم " . فالتكنولوجيا الجديدة تتطلب توفير مستويات معينة من التعليم والمهارات التي لا يتم اكتسابها إلا عن طريق التدريب وتغيير وتعديل القيم والاتجاهات والعادات . فرفع مستوى إنتاج الفرد يتوقف على صحة العمال وملبسهم ومسكنهم واتجاهاتهم نحو العمل وإحساسهم بالمسئولية في تنمية مجتمعهم والرقي به ، وأضحى من الواضح لمفكري وقادة بعض الدول النامية أنه لابد من إعداد البناء الاجتماعي وتأهيله لتقبل تكنولوجيا زيادة الإنتاج

وذلك بخلق أنماط سلوكية تنموية تنبع من انتقاء وتطوير ما هو صالح من ثقافة المجتمع وتراثه ورفض مالا يتواءم مع متطلبات التنمية وتكنولوجيا الإنتاج .

وليس معنى ذلك أن تتبنى الدول موقف الحتمية الثقافية التي تدعي أن الوعي الثقافي والفكري وحده هو أساس التنمية وأنه يجب الاهتمام بداية بترقية هذا الوعي . لأن هذا موقف مثالي تماماً ، ذلك لأن تغير الفكر - إلى حد بعيد - نتاج للوجود المادي وكلاهما يتفاعل مع الآخر . ولهذا يجب أن يواكب الاهتمام بتغيير الواقع المادي اهتمام بترقية الوعي الثقافي وتهيئة النسق القيمي ، بمعنى الاهتمام بقدر متساو بكلا الجانبين المادي والمعنوي للحياة الاجتماعية ، وعندما نبذل جهداً لتنمية الأساس المادي ، ينبغي أن يوازي ذلك جهد مصاحب لتشكيل الوعي الثقافي وترقيته ، فذلك مطلب ضروري من أجل التنمية .

مراجع الفصل الأول

١. أحمد عابد عاصم الطنطاوي : إشكالية العلاقة بين التعليم والتنمية الاقتصادية جملة التربية والتنمية ، السنة(١٣) ،العدد(٨) ، فبراير ١٩٩٥ القاهرة .

٢. الفاروق زكي يونس : نظرية الثقافة ، الكويت ، عالم المعرفة ، العدد (٢٢٣) يوليه ١٩٩٧ .

٣. حلمي مراد : العقد الاجتماعي وكتب أخرى ، القاهرة ، دار مصر للطباعة والنشر ١٩٩١ .

٤. فؤاد بكري : التنمية الثقافية والثقافة الجماهيرية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العمة لقصور الثقافة ، مكتبة الشباب رقم (١٦) ١٩٩٢ .

٥. فؤاد زكريا : خطاب إلى العقل العربي : القاهرة ، دار مصر للطباعة والنشر ١٩٩٠ .

٦. صلاح الدين جوهر : نحو بيئة تربوية أنقى للإنسان العربي ، جامعة قطر ، حولية كلية التربية ، السنة الثانية ، العدد(٢) ١٩٨٣ .

٧. على عبد الرازق جلبي : المجتمع والثقافة الشخصية ، بيروت، دار النهضة العربية ١٩٨٤.

٨. لويس عوض : ثقافتنا في مفترق الطرق : بيروت ، دار الآداب ، ج١، ١٩٧٤ .

٩. محمد أحمد إسماعيل علي : دور المثقفون العرب في التنمية ،

٩.محمد أحمد إسماعيل علي : دور المثقفين العرب في التنمية ، المغرب ، مجلة الوحدة ، المجلس القومي للثقافة العربية ، السنة الرابعة ، العدد(٤٥) يونيه ١٩٨٨ .

١٠.محمد أنيس ،السيد رجب حراز : ثورة ٢٣ يوليو وأصولها التاريخية ، القاهرة ، دار النهضة العربية ١٩٦٩ .

١١.محمد عزت عبد الموجود وآخرون : أساسيات المنهج وتنظيماته ، د.ت.

١٢.محي الدين صابر : دور التعليم العالي في التنمية الذاتية الثقافية : قطر ، مجلة التربية ، العدد(٥٠) يناير ١٩٨٢ .

١٣. ميشيل تومبسون وآخرون (ترجمة : على السيد الصاوي) : نظرية المعرفة ، الكويت مجلة عالم المعرفة ، العدد(٢٢٣) يوليه ١٩٩٧ .

١٤.هشام شرابي : مقدمات لدراسة المجتمع العربي ، بيروت ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٧ .

15 -Edward Tylor : Primitive Culture, London, John Murry ,1971

16 - James, S . Colman : Education And Political development, In "Colman , James, S.(Ed). Education And development, Princeton University, Princeton, 1965

17 - Robert Bierstedt : The Social Order, New York, McGraw Hill 1963.

18 - Martindale, Don : Social life and Cultural change , Nostrand Company , I N C- , New York , London, 1962 .

19 - Vatikiotis , P.J. : the History of Egypt from Muhammad Ali to Sadat , Widen feld and Nicolson , London, 1980.

الفصل الثاني

أمن الإنسان

بين

الثقافة والتربية والإعلام

مقدمة :

يعد العصر الحديث عصر المعلومات ، وقد أثــر بخصائصـــه تأثيرا كبيرا على وظائف التربية ، فتغيرت تلك الوظائف من مجرد نقل التراث الثقافي والمحافظة عليه الى وظائف جديدة تمثلت في قيادة التغيير والتجديد في المجتمع ، مع التأكيد على نوعية هذا التغــير مــن خـــلال الاختيار الذكي لهذا التغيير قبل تطبيقه ، خاصة وأن التغيير السريع الذي نشهده في هذا العصر ما هو إلا مقدمة لتطور أسرع وأشمل تبعا لتغــــير كم المعلومات وتبعا لزيادة معــدل التراكم المعلوماتي فـــي المســتقبل القريب .

والتجديد التربوي لم يعد مجرد إدخال بعض المتغيرات الروتينيــة على نظم وأساليب التعليم ،وإنما أصبح ضــــرورة تقتضيـــها متغــيرات العصر والعلاقات الجديدة في عالم يتغير بسرعة أكــبر مــن أي زمــن مضى .

لهذا أصبح من أهداف التربية ، تنمية الفرد علـــى معالجــة المشكـــلات الجديدة واستحداث أساليب جديدة لمواجهتها ، والمشاركة الفعالـــة فـــي حل المشكلات المجتمعية .

• الإعلام والثقافة الجماهيرية :

وسط المتغـــيرات العالميـــة التـــي تجتاح عالمنا المعاصر ، أصبح التقدم العلمي والتكنولوجي يشكل إحـــدى الركائز الثابتة في التقدم الاقتصادي والاجتماعي في الدول المتقدمة ، بل

أصبح الحاضر والمستقبل يعتمد الى حد كبير على السبق العلمي والتكنولوجي ، لذلك أصبح من الضروري الاهتمام بتنمية مواهب أفراد المجتمع الى القصى ما تؤهله لهم قدراتهم الطبيعية واكتشاف ذوو المواهب المتميزة لرعايتها اجتماعيا ونفسيا وتعليميا على أسس علمية سليمة ، وهو ما دعى الولايات المتحدة الأمريكية الى رفع شعار " أمة معرضة للخطر " Nation at Risk ، عندما استشعرت أن رعاية المتفوقين مصدرا من مصادر الخطر ، ومما دعى الى تبني المؤسسات التعليمية استراتيجية من أهم ركائزها العمل على إعداد جيل من العلماء ، يكفل التقدم التكنولوجي وتحقيق التنمية الشاملة والتقدم الاجتماعي ورفع مستوى المعيشة ، فالعلم والديموقراطية لا ينفصل أحدهما عن الثاني ، وكلاهما يحرك الآخر ، فالديمقراطية تحرك العلم والعلم يحرك الديمقراطية .

ومن ثم حظيت عمليات إصلاح المدرسة باهتمام كبير في معظم دول العالم وحظيت الجودة بجانب كبير من هذا الاهتمام ، ففي الولايات المتحدة الأمريكية تزايد الاهتمام من قبل المؤسسات الصناعية والخدمية وجماعات رجال الأعمال Busines Group مثل زيروكس Xerox ، IBM و متورولا Motorola بزيادة جودة التعليم في المدارس ، وذلك باعتبار أن الوظائف أو الأعمال أصبحت أكثر إلحاحا وتعقيدا بينما منتجات المدرسة School Product (الطلاب) أقل أعدادا وتأهيلا ، فصدر الإعلان السابق عبر كل وسائل الاعلام والاتصال على الشعب الأمريكي.

فمن الواضح أن إصلاح التعليم او تجويده يتطلب مشاركة الجماهير في

مناقشة هذا التجديد أو الإصلاح ، وذلك عن طريق المؤتمرات العلمية والندوات والمحاضرات وتأليف اللجان ووسائل الاعلام والاتصال المختلفة واستغلال خصائص الاعلام الحديث في هذا الجانب.
حيث لابد أن يتم فهم متطلبات الرأي العام من التجديد التربوي ، إذ أن دعم الرأي العام لهذا التجديد أمر ضروري لنجاحه . ومن ثم فإن هناك أهمية للإعلام في أي خطة تعليمية أو تجديد تربوي ، حيث يعد الدعامة الأساسية التي تقوم بتجميع المعلومات الواقعية عن الواقع الفعلي لمجال التطبيق التجديدي أو المستحدثات التربوية مما يعطي معلومات ذات أهمية لمتخذي القرار التربوي .

وعلى جانب آخر توجد الثقافة الجماهيرية ، التي تمثل عناصر الثقافة التي تنمو في مجتمع غير متجانس كنتيجة للتعرض لوسائل الاتصال الجماهيرية والتي تعتبر جزء من عملية التوحيد المشترك للقيم والاتجاهات الثقافية بين أعداد السكان في الوحدات الاجتماعية القومية . كما أنها " الثقافة التي تميز المجتمع الجماهيري الذي يصاحب المدنية الحضرية والصناعية الحديثة " ، ويتخذ وصف الثقافة الجماهيرية وتصبيرها صور متعددة ،ولكن المهم الجماهير التي تستهلك وتستمتع بثقافة تختلف اختلافا جوهريا عن الثقافة التي كانت محل استمتاع (في الحاضر والمستقبل) الصفوة في البناء الاجتماعي ، والاختلاف هنا يمتد الى المضمون والكيف معا لأن عناصر " موضوعات " الثقافة الجماهيرية تنتقل وتنتشر من خلال وسائل الاتصال الجماهيرية الحديثة ، كما أنها تتأثر في جوانب هامة منها بالقدرة على تسويقها وكذلك حجم

السوق الذي يستهلكها ويستمتع بها .

فالثقافة الجماهيرية "كرسالة" هي سمة العصر ، تكتسب طابعها الجماهيري عندما تشع ثقافة قومية شاملة بين المواطنين جميعا تتمثل في الوحدة الوجدانية والفكرية للجماهير فتحقق إنسانية الإنسان ، أي تحقق تحريره وتنويره وتطويره ، فهي الوسيلة لجعل التطور الفكري والوجداني لجماهير الشعب مسايرا للتطور المادي الذي تستحدثه الثورة العلمية .

* الاعلام * الثقافة * التربية :

إن بناء الانسان في أي مجتمع من المجتمعات وإن كان وظيفة معاصرة ، إلا أن هناك روافد عديدة تشاركه في عملية البناء هذه ، والتي تبدأ من الأسرة وما يتلقاه الطفل من قيم وسلوك ، وبالميراث الحضاري للأمة التي ينتمي إليها الفرد ، وبالتربية التي تقدم له نمطا من التعليم والسلوك ، ثم حركة المجتمع الثقافية وأهمها تأثيرا هو الدين والتنظيمات السياسية القائمة في المجتمع ، ولكن نظرا للتأثير اليومي والحركة المتجددة والصوت الأعلى لوسائل الاعلام في حياتنا المعاصرة ، والتي تحمل وسائل الاعلام والاتصال مسئولية بناء الإنسان العصري في المجتمعات الحديثة .

ومن ثم يمكن رصد مجموعة من الوظائف للإعلام المعاصر فيما يلي :

١- وظيفة الخدمات العامة : والتي تتمثل في النشرات الجوية وأحوال الطقس ومواقيت الصلاة ،والاستشارات القانونية والطبية والتعاون .

٢- **وظيفة إخبارية** : حيث يمثل الخبر العمود الفقري في الخدمة الاعلامية ، وبدون الأخبار لا نستطيع أن نفهم ما يجري من حولنا في عالمنا المعاصر .

٣- **وظيفة تسويقية** : لم يعد خافيا على أحد أهمية هذه الوظيفة للبائع والمنتج وهم أطراف السوق .

٤- **وظيفة تربوية** : حيث تقوم وسائل الاعلام بدور تعليمي وتثقيفي مباشر عن طريق البرامج التعليمية ، أما الدور التربوي الرئيسي والمستمر لوسائل الاعلام فيتمثل في أنها تمثل جامعة للذين تركوا الدراسة وأن التعليم فيها مستمر طوال الحياة ، وأصبح رجال الاعلام في المجتمع يقومون بدور المعلم في المدرسة وبالتالي تتمثل الوظيفة التربوية لوسائل الإعلام بالمعنى الشامل لمفهوم التربية

لقد أصبحت وسائل الاعلام والاتصال تقوم بالدور التربوي من تعليم وتهذيب وحماية للتراث الثقافي للأمة ونقله من جيل الى جيل ، وساعدت العملية الاعلامية في ذاتها على تحقيق ذلك .

ومن ثم تقوم وسائل الاعلام بدور الرقيب الاجتماعي ، ورغم اختلاف وسائل الاعلام عن وسائل التربية فإن هناك تقاربا في معظم الوجوه بين أهداف التربية وأهداف الاعلام .

٥- **وظيفة التثقيف** : وهي وظيفة تقوم بها جميع وسائل الاعلام حيث تعبر الثقافة عن الفكر الانساني وتنمية هذا الفكر بمختلف الوسائل المتاحة في المجتمع .

وبالتالي أصبح من الضروري الجمع بين الاعلام والتربية والثقافة

التنسيق والتكامل بين مؤسسات كل منهم لتحقيق الأهداف التي من أجلها أوجد المجتمع هذه المؤسسات ، ويؤكد على ذلك مجموعة من الاعتبارات هي :

١- أن التعليم والاعلام في الأصل عملية تفاهم واتصال .

٢- يهدف التعليم الاعلامي الى :

أ - مساعدة الفرد على التكيف مع ظروف الحياة .

ب - تغيير سلوك الأفراد .

ج - تحقيق وظيفة رئيسية لهما وهي التربية الثقافية وتنشئة المواطنين لشتى مجالات الحياة في المجتمع .

٣- للإعلام قيم تربوية وتأثير في التكوين الفكري للأفراد .

٤- أن الاتصال الشامل في المجتمع الحديث يولد الانطباع بأن الوصول الى المعرفة أصبح الآن ميسورا وأن من السهل القضاء على العوائق الاجتماعية التي تحول دون الوصول الى هذه المعرفة .

٥- من مظاهر الترابط بين الاتصال والتربية ، التدريب على حسن استخدام الاتصال ويجعل نظام التربية قادرا على تحرير المعرفة من سيطرة بعض الأفراد أو الهيئات أو المجتمعات وتبرير اختيارات الأفراد لمختلف طرق الاتصال .

٦- أن للإعلام دور فعال في التربية البيئية بين جمهور المتلقين مع الأخذ في الاعتبار وضوح المشكلات البيئية في أذهان المخططين والمنفذين للبرامج من حيث مضامينها التربوية (العلمية والاجتماعية والاقتصادية ، محليا وعالميا) .

وفي مجال استخدام التكنولوجيات الجديدة للمعلومات في التربية - عقد

مؤتمر دولي بمقر اليونسكو بباريس في الفترة بين ١٢-٢١ أبريل ١٩٨٩ تحت عنوان التربية والمعلوماتية - نحو تعزيز التعاون الدولي حضره (٤٠٠) فردا ممثلين (٩٣٠) بلدا و (٢٩) منظمة ، وأسفرت عن :

١- القناعة الوطيدة بأن المعلوماتية مدعوة لاحتلال مكان دائم لها في إعداد الأدوات القادرة على تحسين الفاعلية الداخلية والخارجية للنظم التربوية مع الإدراك العميق مما قد ينطوي عليه إدخال التكنولوجيا الجديدة للمعلومات في التربية من خطر تعميق حالت التفاوت في هذا المجال داخل البلدان وفيما بينها ما لم نبادر بتبني تدابير كفيلة بتدارك واقع الحال على المستويين الوطني والدولي .

٢- توجيه الانتباه نحو الدور المهم الذي تلعبه التكنولوجيا الجديدة للمعلومات في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المتاحة لعامة الشعب .

٣- الإقرار بتعددية الأدوار التي تلعبها التكنولوجيا الجديدة للمعلومات لا على أنها أداة تعليمية فحسب ، بل بوصفها أيضا نهجا وثقافة جديدين يتيحان حوارا محسوسا في إطار التعليم والتعلم وإدارة المعلومات والتنمية المسرعة للمجتمع .

٤- إعلان اتفاق مشترك عن الالتزام بإجراء حصر لمجالات التعليم التي تكون فيها التكنولوجيا الجديدة للمعلومات أقدر على زيادة عائد التعليم وتأويج ثمراته .

٥- تشجيع التدفق الدولي للمعلومات بواسطة شبكات الكترونية دولية ووسائل اتصال أخرى .

٦- يمكن تعزيز التعاون الدولي باستخدام هذه التكنولوجيا عن طريق :
أ - صيانة الذاتيات والثقافات واللغات القومية .
ب - تبادل المعلومات في إطار اجتماعات ونـدوات ودروس وزيارات ومؤتمرات وغيرها من وسائل الاتصال .
ج - القيام بمشروعات وأعمال بحث مشتركة ترمي الى تحديد استراتيجيات لاستعمال التكنولوجيات الجديدة في التربية مع إجراء الدراسات الضرورية لكشف وتطوير الوسائل الكفيلة بتامين قابلية النقل والتكامل وقابلية التركيب والمواءمة للبرمجيات والمعدات والنظم وشبكات الاتصال الإلكترونية المستعملة في التربية .

*** الأمن الثقافي القومي :**

إذا كان الأمر كذلك ، فالملاحظات الظاهرية تؤكد أن هناك خطرا يهدد الثقافات الوطنية ، حيث دقت أوربا ناقوس الخطر من الغزو الثقافي الأمريكي ، فما أحرانا نحن بلاد العالم النامي أن نحمي هويتنا الثقافية ، بالتأكيد على الجوانب الأصولية في المناهج التعليمية وزيادة جرعاتها باختلاف المراحل العمرية كنوع من أنواع الأمن الثقافي القومي ، ولكي تتحقق المواجهة ينبغي أن تتعاون أجهزة الاعلام بالدول العربية لوضع استراتيجية عربية إعلامية اسلامية ، والتعاون في انتاج برامج إعلامية جذابة وبثها عبر القنوات الفضائية .

إن قضية الاستيعاب الثقافي للتكنولوجيا الحديثة وتأثيرها على الثقافة تحتاج الى دراسات كيفية على المدى الطويل ، للتوصل الى فهم

قريب عن تأثيرها في القيم والمعايير والقوانين ،والأخلاق في المجتمعات المختلفة ، وهي عملية صعبة للغاية ، وذلك لتشابك عناصرها وتداخلها مع الكثير من فروع العلم وأيضا للطبيعة الديناميكية للنظم الاجتماعية والثقافات المحلية .

* الديمقراطية وتربية الانسان بين النزعتين الفردية والجماعية

إن الديمقراطية هي الإطار الطبيعي لممارسة حقوق الانسان ، لا الإنسان المجرد الفرد فحسب ، بل الإنسان المتضامن المنصهر في الواقع الاجتماعي والعمل اليومي ، وبهذا المعنى فإن التربية من أجل الديمقراطية تشمل أهداف التربية في مجال الانسان مع التركيز – فضلا عن ذلك – على تعلمه سلوكيات التعايش والعمل المشترك بين الأفراد وبين الجماعات وبين الدول .

ومما يميز سلوك التعايش الديمقراطي على المستوى المحلي والوطني والدولي ما يلي :-

١- الاعتراف بالآخرين كأفراد : أي عدم الاكتفاء بإبداء ذلك النوع من التسامح المتعالي إزاء الآخرين (أفراد وجماعات ومعتقدات وثقافات) الذي يشبه اللامبالاة ، بل الاعتراف بدلا عن ذلك بتساوي الجميع في الكرامة وبشرعية الآراء التي لا نعتنقها ، فالتسامح الفعال يفترض بذل جهد لمعرفة الآخر وفهم اختلافه واحترام هذا الاختلاف .

٢- الانفتاح : وذلك بتوسيع نطاق اهتمامات الانسان الى ما وراء

محيطه المباشر ، الأسرة ، الحي ، المجتمع المحلي ، وتفهم كل فرد ما يمس بلده أو العالم إجمالا ، يمس أيضا الحياة الشخصية لكل إنسان .

٣- الإرادة : القدرة فيما يتعلق بالمشاركة النشيطة والواعية والمسئولة في حياة مجتمع يدرك في ظل الأفراد والجماعات على حد سواء أنهم يمتلكون جزءا من السيادة . هذا بجانب قدرة الفرد على أن تكون له انتماءات متعددة يختارها بحرية ، وذلك دون اعتبار أن قاعدة الأغلبية تسمح بإنكار مصالح الأقليات أو على نقيض ذلك ، إن تأكيد الذاتيات الخاصة ينبغي أن يعلو على أوجه التضامن الجماعي أو التطلعات المشتركة .

ولكن كيف يمكن أن تتحقق هذه المتطلبات ، على الرغم من الاختلافات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ،حيث يستند كل مواطن الى نزعة ذات شقين او الى نزعتين ، أي إلى الانتماء الى الجماعة أو الذاتية الفردية .

فالكائنات الحية تتباين فيما بينها بميلها نحو السلوك في الجماعات ، فثمة كائنات حية يتعاون أفرادها لأداء الوظائف وتكاد تكون متطابقة ، وذلك بفضل التشابه والتطابق الشديدين في تكوينها ومقوماتها مما يدفع أفرادها إلى انتهاج نفس النشاط فإذا ما لاحظنا واحدا منها فيما ينحو ويتطلع إليه فإنك تلاحظ وتراقب جميع أفراد الجماعة ، فالكل منها والواحد منها يمثل الكل .

وحيث أن الانسان يمثل قمة التطور في كل شيء ، فهو ذروة

التطور في جانبه الفردي وكذلك جانبه الاجتماعي ، ومن هنا فإن الانسان شديد الفردية وقابل للجماعية في نفس الوقت ، فبقدر إحساسه الشديد بنفسه ككائن حي فردي قائم بذاته بقدر إحساسه بالمجموعة التي ينتمي إليها .

وثمة فرق واحد بين شيئين هما إمكانية التحقق والتحقق بالفعل أو بين القوة والفعل ، وكما قال أرسطو فالبذرة شجرة بالقوة والشجرة شجرة بالفعل ، الخشب نار متأججة بالقوة والخشب المشتعل بالفعل ، وعلى نفس النحو نستطيع آن نقول أن التربية يمكن أن تكون علما بالقوة وأن تكون علما بالفعل تجاه الأزمة النزعية الفردية والنزعة الجماعية ، وهو ما تسعى لاستقرائه هذه الدراسة النظرية الفلسفية .

وهنا نتساءل :

- هل تربية الانسان تنحو الى النزعة الفردية أم النزعة الجماعية ؟
- وما حدود الأزمة بين النزعتين ؟
- وما السبيل للخروج من الأزمة ؟
- وما واقع المدرسة المصرية للخروج من الأزمة ؟

أولا : الأزمة بين النزعتين :

(١) التربية والأزمة بين النزعتين :

التربية والانسان شيئان متلازمان ، فوجود الانسان هو وجود للتربية بمعنى أنه لا وجود للتربية من غير وجود ذلك الانسان ، عن طريق التربية يمكن أن يزداد تحقيق عملية

التربية أو علمية التربية فالانسان بما هو كائن عليه الآن هل استطاعت التربية أن تصنع منه هدفا لتحقيق أماني لرفعة هذا الفرد الانساني أم لا ؟ أو نجد الانسان عن طريق التربية انسانا فرديا أو انسانا جماعيا ؟ أي انسان ينتمي الى الفردية أو ينتمي الى الجماعية .

وما نريد تأكيده هنا أن القائمين على التربية (المربين) لا يستطيعون زرع شيء في الانسان ما لم تتوافر لديه الاستعدادات لهذا الشيء ، وكأن التربية هي مجرد اخراج ما في طيات هذا الانسان الى حيز الوجود ، وحتى على المستوى البيولوجي ، فإن علماء الوراثة يقولون أن كل ما يظهر لدى الانسان من خصائص جسمية في أي مرحلة من مراحل النمو ، إنما يكون له إرثات في المقومات الوراثية لدى الفرد التي تظهر لديه تلك الخصائص .

وعلى نفس النحو فإن النزعتين الفردية والجماعية لا تخلقان خلقا تحت تأثير الضغوط الاجتماعية المحيطة به في بيئة ، وإنما هي استعدادات قائمة في داخل الانسان ولا تكون مهمة المؤثرات البيئية والتربوية إلا العمل على إخراج تلك الاستعدادات من حيز الواقع ، وبقدر توافر المؤثرات البيئية المناسبة لكل من الفردية والجماعية بقدر ما يتسنى تلبس الفرد بالفردية والجماعية في حياته وعلاقاته ..

ونزيد على ما سبق ذكره بأن الأفراد – وحتى الشعوب – تتباين فيما بينها من حيث الاستعدادات الموروثة في جملتها من حيث انتمائها الى كل من الفردية والجماعية ، فثمة أفراد وأيضا ثمة شعوب ، أكثر

ميلا بالفطرة الى الفردية من أفراد شعوب أخرى ،وعلى العكس فإن هناك أفرادا وشعوبا أكثر ميلا بالفطرة الى الجماعية - إذن ما هو موقف التربية من فطرة هذه الشعوب ؟ - ولكن ينبغي ألا ننسى في نفس الوقت ما للعلاقات الاجتماعية السائدة والظروف الحضارية واحتكاك الشعوب بعضها ببعض ووسائل الاتصال الحديثة السائدة وتأثير التعليم والاعلام في كل من هاتين النزعتين الفردية والجماعية . ولا ننسى أيضا تأثير الفلسفة التي يأخذ بها المجتمع نفسه والقيم الدينية السائدة به ، وما يؤثر في التأكيد على أحد هذين الاتجاهين أو عليهما معا مما يكون له بالغ الأثر في إخراج الكثير أو القليل من الاستعدادات الموروثة الى ساحة الواقع الاجتماعي . فكل مجتمع فلسفة معينة ينتهجها لتأكيد الفردية والجماعية أو الاثنين معا ، فهناك الفلسفات المثالية والواقعية البراجماتية ، ولكل فلسفة من هذه الفلسفات تأكيدات معينة على دراسة الانسان من حيث فرديته وجماعيته .

والاتجاهات السياسية هي الأخرى لها تأثير في تعضيد أحد هذين الاتجاهين ، بل نقول أنه في ظل أحد الأنظمة السياسية فإن الفردية والجماعية مرتبطان بالديمقراطية والديكتاتورية ، فالديمقراطية تنحو الى النزعة الفردية وقيمة الفرد ، والديكتاتورية تشجع الجماعية . بيد أننا نستطيع القول ايضا أن الديمقراطية ديمقراطيات والديكتاتورية ديكتاتوريات ...

وبعض نظم الحكم الديمقراطية أكثر تشجيعا للفردية من نظم ديمقراطية أخرى ، ومن جهة أخرى فإن بعض نظم حكم الديكتاتورية

أكثر ميلا الى الجماعية من نظم ديكتاتورية أخرى ، على أننا نستطيع القول بأن الديمقراطية في أوجها ترجح كفة الفرد على الجماعة لدرجة أنها تحارب تدخل المجتمع في الشئون الفردية وتشجع الأفراد على أن يتخففوا من الضغوط الاجتماعية بقدر الإمكان ، أو من جهة مقابلة فإننا نجد أن الديكتاتورية في أشد حالاتها تنحاز تماما الى المجتمع وتجعل له قواما مقدسا يفوق تماما قوام الأفراد بل أنها تطحن الأفراد وتحضهم وتحملهم على نقص شخصية المجتمع . وهذا وهم يدعونه ، أنهم ينحازون الى " الحزب " أو الحاكم ، وفرق بين هذا وذاك وبين المجتمع .

وتأكيدا لفكر فرويد وتعبيرا عن رأيه فإن الديكتاتورية تشجع النحن وتعمل على محق الأنا في شخصية الفرد ، على عكس الديمقراطية التي تعمد الى تشجيع الأنا وتمحق النحن في الكيان النفسي للفرد ، وهاتان السياستان هما ما نراه على الصعيد العالمي . مهما كانت اتجاهات الفكر في أي من دول العالم المتقدم أو النامي . وإن كان هناك ما يؤكد وجود النزعة الفردية والجماعية معا . إذن ما نوع التربية المناسب للوصول الى الحل الوسط ؟

ونجد في مجال التربية نفسه المتحمسين للفردية ويقولون أن مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ واجب وفرض على العملية التعليمية أن تراعيه ، بل أنهم يجعلون التربية بمثابة توفير مثيرات بيئية منتقاه وغزيرة بحيث لا يكون يعني فرضها على الأطفال ولا تكون مهمة المربي هي قسر الطفل على أن يتطبع بطابع معين معد من قبل ، بل

توفر فرص التفاعل المستمر حتى يخرج ما هو بالقوة الى حيز الفعل ، وحتى تتوافر للطفل فرص تحقيق ذاتيته بما يتراكم فيها من استعدادات موروثة . وعلى نقيض ذلك نجد أن التربية تتحيز للجماعية وقد أخذت بالاحذية التي تقوم بصب جميع التلاميذ الواقعين في مرحلة عمرية واحدة أو الذين ينتمون في صف دراسي واحد في قالب واحد أعد لهم من قبل

ومجال التربية يعطينا نوعين من التربية لما سبق ذكره عن الاتجاهين السابقين ، هنا التربية الميكانيكية والتربية الديناميكية ، والنوع **الأول** من التربية يعمد الى **تحريك الطفل من الخارج** وطبعه بما يريد الكبار من مثل وقيم ومعايير أو قوالب مجهزة من قبل يريدونه أن يصب فيها نفسه ويصوغ وفقها سلوكه ، وهذا النوع من يميل الى الجماعية . والنوع **الثاني** من التربية وهي التربية الديناميكية تستهدف **تحريك الطفل من الداخل** وليس من الخارج ، والواقع أن هذا يمكن أن يفسر بطريقة أخرى بأن التربية الميكانيكية تربية تحمل الطفل على أن يكون سلبيا متقبلا لما يقدم إليه من مقومات خبرية ، كما يمكن تفسير التربية الديناميكية بأنها تربية تشجع إيجابية الطفل وتحمله على المشاركة بإيجابية في كل المناشط التي يراد الانخراط فيها .

والواجب على التربية أن تحقق توازنا بين النزعتين الفردية والجماعية ، فالتكامل النفسي والتوافق الاجتماعي لا يمكن أن تتحققا بالشخصية إلا إذا توافرت لها النزعتان الفردية والجماعية معا ، وبالقدر المناسب في المواقف والظروف المتباينة على أنه من واجب التربية أن تضع في حسبانها ما توفر لكل طفل من استعدادات فردية وجماعية ،

وأن تقدم إليه المؤثرات التربوية المناسبة لاستعداداته الفطرية . والخطأ كل الخطأ أن نطلب من طفل ما نشاطا ليس لديه رصيد فطري للنهوض به وممارسته والخطأ أن نهمل امكانية فطرية عند الطفل وأن نوجه اهتمامنا لما ليس عنده . فما ليس موجودا لدى الطفل لا نطلبه وما هو موجود لا نهمله .

وعلى هذا فإن المسئولين عن تربية الطفل يجب أن يعمدوا الى متابعة الطفل والوقوف على حقيقته ، وحقيقة الطفل معناها المعرفة بإمكاناته في كل مرحلة عمرية وبلوغ نوع التربية المناسب هل تربية ميكانيكية أم تربية ديناميكية ؟ فكل مرحلة عمرية لها الفردية والجماعية في نفس الوقت ، ولكن تغلب إحداها على الأخرى ويكون هنا الدور للتربية والعملية التربوية التي تقدم للطفل لعمل التوازن بين هاتين النزعتين . ولو أن كل طفل نال التربية التي تتناسب وإمكاناته واستعداداته إذن لاستطاع أن يتفوق ولن يثبت وجوده سواء بالمبادرات الفردية وشق طرق جديدة لم يسبقه أحد إليها ، أم عن طريق العلاقات الاجتماعية واتخاذ موقعا ممتازا في نطاق المجموعات التي يلتحق بها وينجح بشكل منقطع النظير في تحقيق التواؤم بينه وزبين الجماعة التي يلتحق بها أو يصير عضوا فيها .

(٢) المدرسة والأزمة بين النزعتين :

والسؤال هنا هل للجماعة التي

يلتحق بها الطفل فعلا توائمه – أم أنه نظام معمول به يدخله التمييز دون أن يحدد نوع الجماعة التي يتلاءم ويتوامم معها ؟ والمدرسة على أية

حال هي التي تحدد نوع الجماعة التي ينبت فيها الطفل - المدرسة بجميع اشكالها ومراحلها - وعليها أن توفر الفرص والمثيرات الخصبة والمناشط التي تحقق الفردية من جهة والجماعية من جهة أخرى - فهل هذا يتحقق أم لا ؟

وواقع مدارسنا أنها لاتعرف ما تقوم به ، فلا هي توفر الفرص الفردية للبزوغ والظهور والتبلور ، ولا هي توفر الفرص للجماعية لكي تتبدى ولكي يتقمص الطفل شخصيته الجماعية . فنظامنا المدرسي يعمد الى رصد التلاميذ في فصول بحيث يحتل كل تلميذ مكانا على مقعد حيث يجاوره تلاميذ آخرون .كما انه نظاما يحول في نفس الوقت دون إقامة علاقات ديناميكية منظمة بين كل تلميذ والتلاميذ الأخرون الموجودين بالفصل الواحد ، فعلى كل تلميذ آن يقاطع جميع الزملاء في فصله وأن يلتفت لشرح المدرس أثناء الحصة .

وأكثر من هذا فليس هناك عمل دراسي مشترك يضطلع به أكثر من تلميذ واحد في وقت واحد ، فكل تلميذ يعمل وحده . بل أن الكراهية تمتد الى قلوب التلاميذ بعضهم ببعض ، وذلك لأن تفوق الواحد منهم معناه الطعن في قدرة الآخرين والحكم عليهم بأنهم متخلفون بالنسبة للطفل والتلميذ المتفوق ، ومن جهة أخرى فإن هذه النزعة الأنانية يحكمها إطار جماعي على جميع التلاميذ والمدرس نفسه أن يصبوا أنفسهم فيها ، ونعني بهذا المنهج أو المقرر المتمثل في الكتاب المدرسي والذي لا يعطي أية فرصة للفردية الابتكارية .

وحتى أولئك التلاميذ الذين يحصلون على معلومات خارجية يقرؤونها في المجلات والكتب والقصص لا يستطيعون الإفادة منها في الامتحانات أو في المناشط الدراسية المتباينة . ذلك لأن تقييم التلاميذ مرهون بما يتواجد بالكتاب المقرر بغير زيادة . فالزيادة التي يوردها التلميذ على ما ورد بالكتاب المقرر لا تحسب له ولا تضيف إليه شرفا ، أما النقص عما ورد به يحاسب عليه وينتقص من درجاته ، ولا اعتبار لما يمكن أن يمتاز به طفل عن طفل آخر فيما يتعلق بتنظيم كراس الإجابة أو تنظيم الأفكار أو التأنق في الكتابة أو اختفاء روح الفن على ما يقوم بكتابته ، المهم هو الالتزام بالإطار الذي يصب فيه التلاميذ جميعا وهو المنهج والكتاب .

والمعلم هو الآخر الذي أعد إعدادا واحدا وجامدا ، فالدفعة الواحدة من المعلمين لا تمايز بينهم إلا القليل ، ومن هنا يكون إعداد التلاميذ إعدادا واحدا وبالتالي إعداد المجتمع إعدادا واحدا . وهذا لا يتوقف على سمة الإعداد للتلاميذ من قبل المعلم – لكن المعلم يستطيع أن يحدث عند التلاميذ ما يسمى " بصدمة المدرسة " – فالمعلم يعتبر أحد العوامل التي تؤدي الى " صدمة المدرسة " بالنسبة للطفل ، بالإضافة الى بعض العوامل والتي تعتمد على حرمان الطفل من بعض ما تعود عليه ، وحدوث المرة الأولى لأن يترك الطفل المنزل ، والمرة الأولى التي يتعامل فيها مع معلم أو معلمة لا يعرفان اسمه .

وحتى إذا زعمت المدرسة أنها تدرك الفروق الفردية بين تلاميذها فهي لا تدرك الفروق الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية بينهم ،

لذلك تقدم منهجا بطريقة واحدة ومستوى واحد للملايين المنتظمين داخلها دون إدراك للتمايزات الاجتماعية والفروق الفردية بينهم ،ومعظم مدارس العالم تعكس وجهة نظر الطبقة المتوسطة في السلوك والأخلاق والتصرفات والتفسيرات ، وقد لا تتناسب مطالب المدرسة ومواعيدها مع البعض ، فتلاميذ الفئات المحرومة مطالبون بالبحث عن لقمة العيش قبل المدرسة وبعدها ومن ثم لا يتوافر لهم الوقت والجهد الكافيين للدرس والتفوق .

وتلاميذ الأحياء الفقيرة تطالبهم المدرسة بواجبات وأنشطة يعجز أولياء أمورهم عن أدائها ، والذي يزيد الأمر تعقيدا أن بعض المعلمين ينظر لأبناء المحرومين بحذر وشك وإهمال وعدم ثقة ، وأحيانا يتعامل معهم بخشونة وغلظة باعتبار أن هذا الأسلوب هو الوحيد الصالح للتعامل معهم وبذلك يتعرض أبناء المحرومين لضغط من الجانبين ، أولهما ضغط وحرمان خارج المدرسة مع واجبات ثقيلة وعقاب صارم داخلها يؤدي الى عجز عن المنافسة في التحصيل وأداء الواجبات ، ومن ثم تعرضه لمزيد من العقاب مما يؤدي الى الحرمان والصد وبذلك تزداد فرص انصرافه عن المدرسة وتسربه مها .

وفي بعض المجتمعات التي تمارس التفرقة العنصرية – الدينية واللغوية – قد يجد الطفل نفسه وسط مجموعة معادية له ، استجابتها تتسم بالنفور والعدوان ، ومن هنا تصبح المدرسة ليست مجرد صدمة نفسية بل فرصة لإظهار مشاعر التمييز العنصري والديني ، والصدمة لا تقف عند التفرقة بين التلاميذ من الجنس والدين ولكن يحدث نوع من التفرقة

والتمييز الطبقي داخل المدرسة وداخل الفصل الواحد .
فعند توزيع الطلاب على الفصول يكـون المعيـار الـترتيب الأبجـدي لأسمائهم دون النظر الى تقارب المستويات الاجتماعية والثقافية وكذلـك هنا نوع من التعليم يلتحق به القادرون وهـو التعليـم الخـاص ، إلا أن وزارة التربية والتعليم أعطت هذا النوع اهتماما خاصا وأنشأت مدارس " اللغات التجريبية " وهذا النوع من التعليم يعطي تمايزا طبقيا واجتماعيا .

فالتربية إذن لم تأخذ في اعتبارها ما يمكن أن يصدر عن الطفولة من سمات خاصة فردية ، كما أنها لم تضع في حسبانها أيضـا تشجيـع المناشط الجماعية ، ونتيجة لذلك فإنك تجد أنه على المسـتوى الشعبـي باعتبار أن الكبار وعامة الناس هم ثمار التربية التي يتلقونها . إن الأنانية والغش حتى في الامتحانات قد تفشت من جهة أخرى . وأن روح التكافل والتضامن قد تزايلت وأن التسيب وعدم الشعور بالتضامن الاجتماعي من جهة تشكل السمات الشائعة التي تثمر ثمارا رديئة على المستوى الفردي والجمعي في نفس الوقت .

وبالنسبة للأنشطة الاجتماعية التي تشجع روح الجماعة فإنها آخذة في التلاشي بسبب انكماش الأفنية واختفاء الملاعب تدريجيا بـالمدارس بما في ذلك المدارس الخاصة والتي كـانت أمثلـة واضحـة للنظـام المدرسي المثالي . فقد لهثت وراء الكسب السـريع مـن وراء العمليـة التعليمية وذلك بإنشاء حجرات دراسية في كل مكان بالمدرسـة وذلـك بسبب التزاحم عليها والاقبال الزائد على التعليم بها ، وبـذا فـإن روح الجماعة التي كان يجب توافرها للطفولة لم تعد متوافرة بسبب المضمار

ناهيك عن عدم إيمان كثير من المعلمين وأولياء الأمور إلا بالمواد الدراسية وبما تسفر عنه الامتحانات من نتائج ، لأن نتائج الامتحان هو عنق الزجاجة للعملية التعليمية في كل مرحلة من مراحل التعليم المختلفة

وكما أن المجتمع المدرسي ليس سوى مجتمع صغير تنطبق عليه جميع الصفات والخصائص التي يتصف بها المجتمع الأم وهو المجتمع الكبير ، فيمكننا أن نتخيل إمكان قيام مجتمع مدرسي لا يعتمد اعتمادا كبيرا على الناحية الاقتصادية أو يكون للاقتصاد نصيب ذو بال في العلاقات القائمة بين أفراده ، لأن المدرسة مصنع يتخرج منه التلاميذ . وإذا لم تتوافر لدى هذا المصنع الامكانات اللازمة لإقامة نوع من النظام التعليمي الذي يريده المجتمع فلا داعي لهذا المصنع ، أي لا داعي لإقامة المدارس ، والمدرسة كإحدى مؤسسات المجتمع لابد أن تتوافر لديها الامكانات المادية والبشرية لأنها السبيل الوحيد لإقامة مجتمع على درجة معينة من الثقافة .

وإن كان هدف المدرسة واضحا وبينا حتى بين أزمة النزعتين - أي النزعة الفردية والنزعة الجماعية - إلا أنه لا تتحقق إمكانية حل الأزمة عن طريق المدرسة إلا إذا توافرت لديها المدخلات التعليمية التي تساعدها على أداء وظائفها ومنها حل هذه الأزمة . ولا يجدر بنا إلا أن نقول أن المدرسة وعلاقاتها بالنزعة الفردية والنزعة الجماعية هي " البذرة شجرة بالقوة " كما قال أرسطو فإننا نطلب من المدرسة أكثر من طاقتها ، ولذا فإن المدرسة تكون على وفاق لحل هذه الأزمة .

ثانيا : الخروج من الأزمة :

(١) التربية والخروج من الأزمة :

تمثل الطفولة مرحلة حرجة في حياة الإنسان ، لذا تقف المجتمعات إزاء هذه المرحلة موقف الحرص ورسم السياسة التي تنحو الطفولة الى بر الأمان ، بل أنهم يرسمون أهدافا سيأخذونها في تربية الأطفال ، فهم يرسمون أهدافا أو غايات في تربيتهم للطفولة زاعمين أن الأهداف والغايات هي التي تصل بالناشئين الى ما يرونه مناسبا لهم . وكأن الناس من حول الطفل قد شكلوا في أذهانهم صورة مكتملة لما ينبغي أن يصير إليه الطفل في المستقبل القريب والبعيد على السواء وعلى التربية أن تراعي جوانب النمو المختلفة للطفولة .

(أ) *الجانب الروحي* :

والمجتمعات تختلف فيما بينها بما يتعلق بالأهداف التي ترسمها التربية في تنشئة أطفالها ، وطبيعي أن أهداف المجتمع في التربية وفي تنشئة الأطفال ترتكز أساسا على ما يؤمن به المجتمع من قيم ، فإذا كان المجتمع آخذا بصفة أساسية بالقيم الدينية وأخذ يعطي هذه القيم أوزانا في رسم سياسة تنشئة الأطفال فإن غاية التربية هنا هي روحية . ويتبع هذا التأكيد تفسير طبيعة الطفولة وطبيعة النمو في ضوء القيم والمعايير ، ومن هنا فإن الأزمة بين النزعة الفردية والنزعة الجماعية يكون المخرج منها هو وضع القيم والمعايير الدينية وسطا لحل هذه الأزمة . ولهذا فإن الجانب الروحي جانب ذو شقين فردي وجماعي.

(ب) *الجانب الجسمي :*

ولقد ننظر الى طبيعة الطفولة من الناحية الجسمية فيكون التركيز على صحة الطفل وتنشئة بدنه التنشئة السليمة . ففي هذه الحالة تكون التربية أكثر نجاحا وفاعلية إذا ما استطاعت أن تخلص الناشئة من الأمراض وإزالة الضعف في أجسامهم وتزويدهم بمقومات القوة ومتانة الجسم واتساق الحركات والتمتع بجميع مقومات الصحة ، فالاهتمام في مثل هذه الحالة يكون بالجانب البيولوجي من كيان الانسان وتكون بؤرة الاهتمام في تنشئة الطفولة بؤرة صحية بيولوجية . وعلى الفرد أن يعرف جيدا أن الصحة العامة له متوقفة على صحة المجتمع ككل . فالمجتمع صحيح الأبدان يعطي أطفالا أصحاء والعكس صحيح ، ومن هنا نجد أن الجانب الجسمي يتطلب النزعة الجماعية ثم النزعة الفردية .

(جـ) *الجانب الوجداني :*

تتسم المشاركة الوجدانية بجانب التعقل والتفكير والترتيب في أمور الحياة وما يتعلق بمراعاة شئون الآخرين والحث على مشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم ، وهي تظهر كناحية وظيفية مواقف الحياة الاجتماعية . والمشاركة الوجدانية تعد من مسئوليات التربية والرعاية الاجتماعية التي تكفل للطفولة . فالتربية توفر الجو المناسب لنمو الجانب الوجداني ، ولكن إن كانت التربية تغفل هذا الجانب فعليها أن تعيد النظر مرة أخرى في هذا الجانب والذي يعد من أهم جوانب الشخصية وتكوين شخصيات أطفالنا في البحث عن السبل المتباينة التي

تعمل على تحقيق تلك التربية والمسارعة الى الاستقامة وتطبيقها من الأهمية بمكان توفير التربية السليمة الفعالة . ومن هنا نجد أن الأزمة بين النزعتين الفردية والجماعية من الجانب الوجداني هي جماعية بالدرجة الأولى ثم الفردية .

(د) الجانب الاجتماعي :

أو ما نطلق عليه التوافق الاجتماعي ونعني به التكامل في المواقف الاجتماعية المتباينة من جانب الفرد ولا يمكن تحقيق التكامل الاجتماعي للأطفال إلا إذا حققنا لهم أولا تربية جسمية وتربية نفسية سليمة وتربية اجتماعية مناسبة لفرد والمجتمع الذي يوجد فيه أيضا.

ومن أهم المقومات التي يجب أن تتوافر بالتربية الاجتماعية التي نصبوا إليها أن تكون تربية متنوعة . ليس بكاف أن نصب حياة الأطفال في مجموعة محدودة وضيقة النطاق من المواقف و المناشط الاجتماعية بل يجب أن تستهدف التربية الاجتماعية السليمة الغزارة فيما يتوافر للأطفال من مناشط ومواقف اجتماعية . وكما سبق ذكره والملاحظ على التربية أنها تصب الأطفال في إطارات اجتماعية ضيقة النطاق الى أقصى حد .

وهو ما نشاهده اليوم لدى كثير من شبابنا عن الانخراط في ركب الحياة بشيء من الخوف والهيبة في مواجهة المواقف المتباينة .

ومن هنا كان الجانب الاجتماعي من أهم الجوانب التي تعمل التربية في إكسابها للفرد ، فتوافق الفرد اجتماعيا من مقوماته المجتمع

المتوافق اجتماعيا وكذلك المجتمع المتوافق اجتماعيا من مقوماته الفرد المتوافق اجتماعيا .

(هـ) الجانب الثقافي :

الطفل بطبيعته ينمو من خلال تفاعله مع أفراد المجتمع ، ولذا ما يكتسبه الطفل حتى يشب ويبح مكونا شخصيا يكون قد اكتسب الكثير من ثقافة مجتمعه ، وجميع الخبرات التي تقدم للطفل هي مكونات المجتمع الثقافية من قيم وعادات وتقاليد وسلوكيات ، والخط التربوي السليم أو الفلسفة التربوية الحقيقية هي فلسفة الخبرات المهضومة وليست فلسفة المعرفة المحفوظة ، والسبيل الى ذلك يتأتى أولا بإيمان المربين واستنارتهم بهذه الحقيقة أو بهذا الهدف أو بهذه الفلسفة التربوية وإقبالهم عليها وعدم التنازل عنها ، وإذا كنا نعتقد أن الخبرات تبدأ بميلاد الطفل فإننا نستطيع إذن أن نقول أن إحاطة الطفل بالخبرات الكثيرة والمناسبة لمرحلة نموه يكون هو السبيل الآمن لإمكان حدوث التفاعلات واكتساب الأطفال لثقافة مجتمعهم هي انتماء هذا الفرد للجماعة ، أي تكون التربية من أجل ثقافة المجتمع أي الاتجاه الى النزعة الجماعية والمرحلة التالية بعد الاكتساب والتشبع هي التفاعل مع هذه المكونات بالحذف والإضافة أي إضفاء النزعة الفردية عليها .

(٢) المدرسة والخروج من الأزمة :

من الواضح أن عملية التربية كنشاط اجتماعي متخصص أو كنوع من التعليم الرسمي لم يكن لها وجود

في المجتمعات البسيطة ، وكانت تقوم على تقديمها للأجيال الجديدة ، كما تتم أيضا من خلال مشاركة الفرد الفعلية في الحياة اليومية للمجتمع . ولكل مجتمع سواء كان مجتمعا صغيرا أو مجتمعا كبيرا طابع اجتماعي عام يتصف به ، والواقع أن المجتمع المدرسي ليس سوى مجتمع تنتسب عليه جميع الصفات والخصائص التي يتصف ويختص بها المجتمع الكبير .

والمدارس والمعاهد المختلفة هي وسائط النظام التربوي في المجتمعات الحديثة ، وأساليب التربية المطبقة فيها من أهم أساليب الضبط الاجتماعي ، والنظام التربوي هو (مجموعة منسقة من القواعد أو المبادئ والمعايير والأهداف التي تحكم النشاط في ميدان التعليم الرسمي وتحدد الأساليب المتبعة فيه وتحكم العلاقات بين المشتركين في العملية التربوية) ، والنظام التربوي لا يوجد في فراغ ولكنه يوجد في مجتمع له بناء محدد ، وبالتالي فإن ما يشتمل عليه من قواعد ومبادئ ومعايير وما يتضمنه من أهداف يختلف باختلاف الأبنية الاجتماعية .
كما أن النظام التربوي يرتبط ارتباطا وثيقا غيره من النظم الاجتماعية وبخاصة النظامين السياسي والاقتصادي ، ولا يجب أن نغفل حقيقة وسائط الضبط الاجتماعي التربوية وعلى قمتها " المدرسة " فأكثر هذه الوسائط تكون ملكا للدولة وتعمل تحت إشرافها ، حتى المدارس الخاصة تكون ملكا لأفراد أو مؤسسات وتعمل وفقا لتوجيهات ومبادئ معينة يحددها لها أصحابها وذوو النفوذ والرأي في المجتمع ، كما تخضع أيضا لنوع من الإشراف الحكومي ، وينظم ذلك كله قوانين رسمية

ولوائح مكتوبة وأعراف متبعة .
وتتفق النظم التربوية في مختلف المجتمعات ذات النظم الاقتصادية والسياسية المختلفة ، في أنها تهدف جميعا الى تشكيل المواطنين طبقا للمثل السائدة ، ومن هنا تظهر أهمية الدور الذي تقوم به المدرسة كمؤسسة اجتماعية .

فعندما يبدأ الطفل في الذهاب الى المدرسة فإنه عادة ما يصبح لأول مرة تحت إشراف أفراد ليسوا من أقاربه ، وبالتالي فهو يتحرك من وسط تسوده الروابط الشخصية الى وسط آخر غير شخصي ، وتلعب المدرسة دورا أساسيا في تقليل اعتماد الطفل عاطفيا على أسرته عن طريق إتاحة فرص الاتصال مع المدرسين في الفصل ، ومع زملائه من التلاميذ أيضا ، وعلى ذلك فالمدرسة هي التي تربط الطفل بنظام اجتماعي أوسع ، وهي المنظمة الرئيسية التي يوكلها المجتمع من أجل تقليل روابط الطفل بوالديه والوصول به الى ممارسة النزعة الفردية في وسط المجتمع المدرسي .

وتأخذ المدرسة على عاتقها حاليا في المجتمع الحديث تهيئة الصغار تهيئة اجتماعية ، ونقل ثقافة المجتمع إليهم ، ورغم أن الأسرة لا تفقد أهميتها بالطفل حتى حين يبلغ سن الدراسة ، ففي معظم الأحوال يستمر الوالدان والأخوة والأخوات والأقارب في إحداث تأثيرات قوية للتهيئة الاجتماعية إبان تربية الطفل تربية مدرسية ، ثم الى مدى أقل بعد ذلك . إلا أن المدرسة تلعب ولا شك دورا مؤثرا ومستقبلا في التهيئة الاجتماعية ، وربما يمكن فهم هذه العلاقة القائمة بين الأسرة والمدرسة

في ضوء أن الأسرة هي التي تعتبر عادة مسئولة عن التهيئة الاجتماعية الخاطئة ، وكن هذا لا يجعل واجب المدرسة أكثر سهولة ، فقد بلغت الحال بالمجتمع الحديث أن يتوقع من المدرسة أن تنقل الى الطفل ثقافة معقدة تعقيدا شديدا تشتمل على الأسس الأيدلوجية لتراث المجتمع الثقافي

وللمدرسة الدور الهام في اكتساب الاتجاهات والمفاهيم والمعتقدات المتعلقة بعمليات النظام السياسي بينما قد يفهم البعض أن الأسرة تسهم كثيرا في عملية التنشئة الاجتماعية ، حيث تبدأ أو تشرع في بث الولاء الأساسي نحو البلاد ، فإن المدرسة تعطي المحتوى والمعلومات والمفاهيم التي من شأنها توسيع وصقل تلك المشاعر المبكرة المتعلقة بالارتباط بالوطن ، كما تضع المدرسة تأكيدا أعظم على الامتثال لكل من القانون والسلطة ولوائح المدرسة . ومن هنا نستطيع أن نقول أن الدور متكامل بين الأسرة والمدرسة .

والمدرسة كمكون اجتماعي يحوي الفصول المدرسية التي يقضي بها الطفل طول فترة بقائه بالمدرسة والفصل الدراسي يشكل موقفا اجتماعيا لا نظير له ، ويعتبر تكوين الفصل المدرسي بالنسبة للطفل ذا أهمية بالغة ، حجرة الدراسة كأية مجموعة يمكن أن نتوقع أنها تضم مجموعة معقدة الى حد كبير من المكانات الاجتماعية Social Statuses ذات أدوار Ranks ومراتب Roles اجتماعية مميزة وتتولد هذه المكانات بواسطة التلاميذ أنفسهم ، مع أن المعلم قد يؤثر في بناء النظام الاجتماعي بطرق عدة . مثلا عن طريق تنظيم مقاعد الجلوس ، واختيار مجموعات العمل ، وتوزيع الامتيازات توزيعا غير متساو . وهناك

مجموعات وأفراد خارج غرفة الدراسة بالمدرسة أو بالمجتمع الخارجي يمكن أيضا أن ينتظر منهم التأثير فيما يجري داخل حجرة الدراسة .
وأن سلوك المعلمين وتصرفاتهم أمام التلاميذ ومعهم ، يقود التلاميذ الــى الوجهة الصالحة في الحياة ، فالمعلم الذي يقدم نموذجا لشخصية المطلعة على أحدث ما توصل إليه العلماء والباحثون فــي المــادة التــي يقــوم بتدريسها والذي يتردد على المكتبة ويدأب على البحث أو الذي يجعل من حجرة الدراسة مجالا للبحث ، أو الذي يتناقش مع التلاميذ في حاضرهم ومستقبلهم على السواء ، ثم أن العلاقات المتبادلة بين المعلميـــن وإدارة المدرسة ثم بين المدرسة كمؤسسة تربوية وبين أولياء الأمور ، تؤثر في تربية الطفل وتجعله مستعدا للتوافق الاجتماعي السليم ، بل وبجعله ناشئا على الصحة النفسية التي تجعل منه شخصية متكاملة الانسجام بين نفسه وبين البيئة الاجتماعية من حوله .

وللجدول الدراسي الذي يحدد أنشطة الفصل تأثير آخر على الطفل وليس بالضرورة أن تكون بدايات الأنشطة ونهاياتها مناظرة لاهتمامات الطفل بها . وهكذا يتعلم الطفل بعض أوجـــه التكيــف داخــل الفصــل المدرسي المزدحم ، إذ يتعلم تأخير الرغبات أو كبح جماحـــها ، وهــذه الأخيرة تغير جزءا لما يشار اليه على أنه " المنــهج الخفــي Hidden Curriculum للفصل المدرسي ، ويكتسب هذا المصطلح شعبية لجــذب الانتباه الى الأشياء غير الرسمية وغير النظامية التي تعلم على أنها أشياء لا يلاحظها عموما أولئك الأشخاص المنوط بهم مسئوليات تدريس المنهج الرسمي .

وأخيرا يمكن فحص للبنيان الاجتماعي لحجـرة الدراسـة وهـي المجتمع الذي يعيش فيه الطفل يومه المدرسي . على أساس أنها مركبـة من ثلاث مجموعات مختلفة من الوظائف وهي تشمل كما يـرى ديفيـد جوسلين David Goslin :

أ - أنماط الحب والكراهية والتي تخلق مجموعات الصداقة .

ب - نظام الوظائف الذي يتصل بإنجاز المجموعة لوظيفتـها الأساسـية وهي التعلم .

ج - تلك الوظائف الخاصة أو مجموعات الوظائف التي تخدم وظـائف المجموعة ولا تدخل في نطاق النوعين السابقين مثل التحكـم فـي حالة التوتر في المجموعة ككل .

وتشبه هذه الأوجه الثلاثة من البناء الاجتماعي في حجرة الدراسة أي نظام اجتماعي غير رسمي وتتميز في أغلب الظن بتغيير دائم - كبير أو صغير - فيما يتعلق بمن يشغلون معظم الوظائف نفسـها وبعلاقاتـها المتبادلة بالوظائف الأخرى في النظام ومن ثم فإن المعلم يجب أن يتعامل مع نظام اجتماعي دائم التغيير .

ومما سبق يتضح أن الأزمة في تربية الانسـان بيـن الـنزعتين الفردية والجماعية تتمثل في تبني مفهوم للتربية تكون على اساسه نمـط العملية التعليمية ، وبالتالي الذي تقوم به المدرسة - فالأزمة أزمة تربية وأزمة مدرسة ، والخروج من هذه الأزمة هو - التحديـد - والتحديـد الدقيق لمفهوم تربوي شامل يحقق أقصى انتاجية لتربية الفرد من خـلال العمل المدرسي .

من المعلوم أن الأسرة ترسل أبنائها الى المدارس لتلقي نمطا يتفق وأيديولوجية المجتمع والى أي اتجاه تنحو التربية بهذا الطفل وهؤلاء الأبناء الى النزعة الفردية أم الجماعية ؟ أول ما أنشئت لرعاية الطفولة بدلا من تركهم بالبيت خلال انشغال الأم تربويا ، وهذه هي بداية الأزمة عندما نحتاج الى التربية لا نجدها وعندما لا نحتاجها نجدها ومغايرة .

والواقع أن التعليم في أصله هو الاحتكاك المباشر بالأشياء ذاتها بغير وسيط بين الانسان وبين الأشياء ذاتها ، فالقراءة تشكل الوسيط بين الانسان والأشياء نفسها ، ويمكن القول بأن وقوف الطفل على الأشياء ذاتها لا يختلف جوهريا عن القراءة . وكقاعدة تربوية علمة فإننا نستطيع أن نقرر أن قراءة الأشياء ذاتها يجب أن يسبق قراءة الأشياء برموزها ، والعلاقة بين القراءة والأشياء علاقة تبادلية ، فيمكن أن يعرف الانسان هذا الشيء دون أن يعرف الشيء نفسه ويغيب عن خبرته وأيضا هذه هي الأزمة التي تقع فيها التربية ، وضع الانسان في اتجاه الجماعية أو اتجاه الفردية .

والواجب على التربية أن نحقق توازنا بين النزعتين الفردية والجماعية ، فالتكامل النفسي والتوافق الاجتماعي لا يمكن أن تحققا بالشخصية إلا إذا توافرت لها النزعتان الفردية والجماعية معا وبالقدر المناسب في المواقف والظروف المتباينة . على اساس أنه من واجب التربية أن تضع في حسبانها ما توافر لكل طفل من استعدادات فردية وجماعية وأن تقدم اليه المؤثرات التربوية المناسبة لاستعداداته الفطرية . والخطأ كل الخطأ أن نطلب من طفل ما نشاطا ليس لديه رصيد فطري

للنهوض به وممارسته ، والخطأ ايضا أن يهمل امكانيـة فطريـة عنـد الطفل وأن نوجه اهتمامنا لما ليس عنده ، فما ليس موجودا لدي الطفل لا نطلبه وما هو موجود لا نهمله .

والمدرسة هي الأخرى ليست سوى مجتمع صغير تنطبـق عليـه جميع الصفات والخصائص التي يتصف بها المجتمع الأم وهو المجتمـع الكبير ، فيمكننا أن نتخيل إمكان قيام مجتمع مدرسي لا يعتمـد اعتمـادا كبيرا على الناحية الاقتصادية أو يكن للاقتصـاد نصيبـا ذو بـال فـي العلاقات القائمة بين أفراده ، لأن المدرسة مصنع يتخرج منه التلاميـذ ، وإذا لم تتوافر لدي هذا المصنع الامكانات اللازمة لإقامة نوع من النظام التعليمي الذي يريده المجتمع فلا داعي لهذا المصنع ، أي لا داعي لإقامة المدارس ، والمدرسة كإحدى مؤسسات المجتمع لابد أن تتوافـر لديـها الامكانات المادية والبشرية لأنها السبيل الوحيد لإقامة مجتمع على درجة معينة من الثقافة .

والأزمة بين النزعتين الفردية والجماعية لا تتحقق إمكانية حلـها عن طريق المدرسة إلا إذا توافرت لديـها المدخـلات التعليميـة التـي تساعدها على أداء وظائفها ، حيث أن المدرسة ما هي إلا حقل لتطبيـق نوع من العمل التربوي الذي يراه المجتمـع مناسـبا لـه ، إذن ليسـت بالمدخلات فقط تستطيع المدرسة حل الأزمة ولكن بتبني نـوع التربيـة الذي يوافق حل الأزمة بين النزعتين الفردية والجماعية .

إن المعتقدات الدينية والفلسفية بصورة خاصة يمكن أن تشكل سندا

قويا لنشوء مواطنين مسئولين ، فكيف يمكن دمج هذه المعتقـــدات فـــي استراتيجية التربية ، من أجل الديمقراطية مـــع احـــترام مبـــدأ تســـاوي المعتقدات الأخرى في الكرامة .

وتشارك وسائل الاعلام كل من المدرسة والأسرة في التربية من أجل الديمقراطية ، حيث تلعب دورا كبيرا اليوم في الحيـــاة الاجتمـــاعي والاقتصادية والثقافية والمؤسسية ، ومصدرا مرجعيا لأنماط الســـلوك ، فالحرية التامة في مجال الاعلام والتعبير هي وحدها التي تكفل الشفافيـــة التي لابد منها لكي يمارس المواطنون خياراتهم ومسئولياتهم ، ويمكـــن للمدرسة ايضا أن تسهم في ذلك عن طريق القدرات على فهم مضـــامين المعلومات وتنظيمها في وسائل مترابطة ومتسقة .

- **مأزق الغزو الثقافي .. رؤى وأيديولوجيات :**

إن تأصيل القيم الايجابية داخل المجتمع هو حماية لهذا المجتمـــع من قيم وأفكار وأيديولوجيات وثقافات وافدة من كافة المجتمعات الأخرى التي يمكن أن تؤثر بالسلب وتخلق صراعا بين ما هو قائم بالفعل وما هو وافد من قيم ، يؤدي في النهاية الى انقسامات أيديولوجية بين مـــا هـــو رافض لهذا الغزو ويجد في السلفية ملاذا معبرا عن رفض يحيـــا علـــى الماضي ولا يبني للمستقبل ، وبين من يرى في هذه القيم الوافدة منهاجا للتطور الحضاري التي قامت على أساسه نهضة هذه المجتمعات ســـاقطا من حسبانه أن لكل مجتمع ظروفه الخاصة وقيمه التي ينفرد بها عن أي مجتمع آخر ، والقادرة على بناء حضارته المميزة عـــن أي حضـــارات أخرى .

ومن بين من يرى أن هذا الغزو ليس بالأمر الذي يستحق كل هذا الجدل الذي يدور حوله طالما نحن قادرون على تحقيق التوازن ، نـــأخذ منه ما هو صالح ويشكل تربة خصبة لتنمية المجتمع وننبذ ما هو غـــير صالح يضر بالبنية الأساسية للمجتمع وخططـــه التنمويـــة ، وأن القيـــم الإيجابية في المجتمع لأجيال المستقبل مـــن الشبـــاب والأطفـــال الذيـــن سيحملون أمانة رقيه وازدهاره في حاجة ماسة الى أبواب المعرفة والبناء الإيجابي الذي يواكب احتياجات العصر من معلومات وإبداع وانطـــلاق الى فتح آفاق المواهب الابتكارية التي أودعها الله سبحانه وتعـــالى بيـــن جوانبها الانسانية لتبدع وتبني وترقى .

وهنا نجد أن وسائل الاعلام أمام رؤى وقيم وسلوكيات ومفـــاهيم متباينة شديدة التباين ، عليه التعامل معها من حيث تأصيلها وتصحيح ما هو سلبي منها وغرس ما هو جديد لصالح الهدف التنموي وحماية مـــن كل وافد ثقافي غريب .

وبالتالي تقع على وسائل الاعلام العـــبء الأكـــبر فـــي التثقيـــف والتنوير والبناء الايجابي للمجتمع ومعالجة المفاهيم الخاطئة ، وغـــرس المعرفة والارتقاء بالفرد والمجتمع وإثراء الحياة الثقافيـــة والاجتماعيـــة والاقتصادية وزرع الاتجاهات الايجابية والمثل العليا والمعاني الفاضلـــة في عقول الجماهير ونفوسهم .

إن أي استثمار يغفل الانسان ويتجاهل عقله ، هو استثمار لا قيمة له ولا جدوى ، فالعنصر الانساني البشري هو المكون الأساسي في بناء

الأمم ، وبه تنهض وتتقدم ، وبفكره وسواعده تتحدى الصعاب ، وتتغلب على المشكلات وتقتحم التحديات وتبني الحضارات .ومن هنا كان لابـــد من تهيئة المناخ الملائم لتشجيع الملكات الخلاقة والطاقات المبدعة وتقديم الترفيه والترويح في أسلوب راق يسمو بالحس والذوق .

وبالتالي فإن السياسة الاعلامية يجب عليـــها الالتحـــام بالشـــارع الاجتماعي في المجتمع ، وتعايش مشكلاته وتتناول قضاياه وتتجاوب مع رغباته وتتوالى على تلبية حاجاته في الاعلام والتعليم والتثقيف والترفيه ، ومن ثم تلعب وسائل الاعلام دورا هاما في التنمية البيئيـــة ومواجهـــة الغزو الثقافي .

ولاشك أن الثورة الهائلة التي لحقت بوسائل الاتصال في الحقبـــة الأخيرة ، خلقت مناخا تنافسيا بين الدول المتطورة التي تملـــك الأدوات الاتصالية والقدرة على استثمارها الاستثمار الأمثل وبين الدول الناميـــة التي استطاعت أو تسعى لتملـــك هـــذه الأدوات ومحاولـــة اســـتثمارها الاستثمار المواكب لاستثمار الدول المتطورة . ومع ذلك رغـــم الســـعي الشديد للدول النامية للحاق بركب العصر ودخولها فـــي منافســـة غـــير متكافئة مع دول ذات امكانيات هائلة وقدرات فائقة في التعامل مع هـــذه الأدوات ، فإنها وإن كانت تخطوا بخطوات مرحلية نحو تحقيق التـــوازن التنافسي ، قادرة على استيعاب متطلبات التكنولوجيا الجديدة والوصـــول الى مرحلة التوازن في المدى غير البعيد .

وثمة أسئلة تطرح نفسها ... كيف يمكن للتربية فـــي مجتمعـــات يتزايد تنوعها باطراد أن توفق بين هذا الحرص المزدوج علـــى تنميـــة

الاستقلال الفردي والمحافظة على التضامن الاجتماعي ؟ كيف يمكننا أن تؤلف بين الاعتراف بالقيم العالمية وبين التعبير عن الخصوصيات الثقافية والدفاع عنها ؟ كيف يمكن معالجة هذان المطلبان من منطلق التكامل لا التناقض بينهما ؟ وكيف يمكن إبراز ما تتضمنه الخصوصيات الثقافية دون أن يؤدي ذلك الى إخفاء ما قد يشوب بعض هذه الخصوصيات من جوانب لا تواكب العصر ؟ .

• الثقافة والتخلف الآخر :

مما لا شك فيه أن المؤسسة الاجتماعية لا تعيش إلا بتحريك واحتواء العناصر البشرية للمجتمع التي نوجد فيه هذه المؤسسة ، ولا ينمو الفرد ويندمج إلا إذا وجدت هذه المؤسسة التي تنظر إليه على أنه العنصر الأساسي التي وجدت من أجله ولا تعمل إلا من خلاله ومع غيره من العناصر البشرية في المجتمع .

من هذا المنطلق الجدلي ذي الاتجاهين ننظر الى العلاقة الدائمة والقدرية بين الفرد والمجتمع في إطار ديناميه احتوائية محكومة بقوانين التبعية التي تتحكم في الحياة الاجتماعية .

إن ظاهرة التخلف في مجتمعات العالم الثالث ، لا تقتصر على المظاهر الكمية (المادية) فقط ، فهي مثل ظاهرة التقدم - عبارة عن نسق ، أي كل - يتكون من عناصر ذات وحدة مترابطة متكاملة ومن هذا المنطلق ، فإن تجزئة ظاهرة التخلف أو التقدم (أي التركيز على بعض الملامح وإهمال البقية الأخرى) لا يمكن إلا أن تقود الى فهم مشوه لكل منهما .

إن نظريات العلوم الاجتماعية المرتكزة على تصـــور تجزيئـــي لظاهرة التخلف في العالم الثالث لا ينتظر منها المصداقية العلمية علــــى المستويين التنظيري والتطبيقي ، فالمجتمع نسق اجتمـــاعي ذو جوانـــب متعددة اجتماعية واقتصادية وثقافية ... تكون في النهاية كـــلا متكـــاملا ومترابطا ، فلا يكاد يخلو أي مجتمع إنساني مما يسمى بالمركب الثقافي The Culture Component الذي يشمـــل عنـــاصر اللغـــة والقيـــم والمعرفة والتقاليد والدين ...... وهناك اتفاق بين دارســـي المجتمعـــات الحيوانية ، والانسانية أن ما يميز الانســـان ومجتمعـــه عـــن الحيـــوان ومجتمعه هو مدى تطور الجانب الثقافي عند بني الانسان ومجتمعاتهم .

ولقد اعتبر عالم الاجتماع الأمريكي بارسنز PARSONS مثلا أن " تمكن حضارة إنسانية من اكتساب لغة مكتوبة يجعلها أكثر تطورا مـــن تلك التي تملكها " وهذا يعني من جهة أن نمو عناصر المركب الثقـــافي هو مؤشر على تطور المجتمع ، وأن تخلف العناصر الثقافية يعني بدائية هذا المجتمع من جهة أخرى .

** التخلف الآخر :

التخلف الثقافي النفسي ملمح تخلف لشخصية الانســـان النامي وللتنشئة الاجتماعية ، ويمكن طرح النسق الاجتمـــاعي للمجتمـــع البشري Society as a Social System من خلال تصور المجتمع كما يلي : -

١- جسدا اجتماعيا متعددا ومختلف التركيبة (المركب الثقافي ، المركب

الديمقراطي ، المركب الاقتصادي ......) هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن مركبات المجتمع هذه رغم اختلافها وتعددها تكون في النهاية وحدة مجتمعية متضامنة ومتكاملة ومن ثم جاءت شرعية إطلاق النسق System على المجتمع .

٢- أن تلك المكونات للمجتمع لها القدرة الذاتية على النمو والتطور والتعاضد مثلها مثل أعضاء الجسم البيولوجي للكائنات الحية المعقدة ، ومن ثم يتعطل أو يتوقف المجتمع الانساني فتتدهور عمليات التنسيق والتضامن في وحداته وفيما بينها مما يؤدي الى تخلفه في النهاية .

٣- أن المجتمع كنسق يتفاعل داخليا وخارجيا ، ومن ثم فتنميته أو تخلفه يتأثران من جهة بطبيعة تفاعلات مكوناته الداخلية الذاتية ، ومن جهة أخرى بطبيعة احتكاكاته مع العالم الخارجي .

وبخصوص عملية التنمية في المجتمعات النامية ، هناك اتفاق بين متخصصي التنمية اليوم على أن نقطة الانطلاق في هذه العملية ينبغي أن تعتمد أولا وقبل كل شيء على التنمية الذاتية المتوازنة بين كل قطاعات المجتمع ، بحيث لا ينمو بعضها على حساب تخلف البعض الآخر .

وعلى سبيل المثال ، فإن التخلف الآخر (أو التخلف الثقافي النفسي) ما هو إلا ملمح من ملامح التخلف الآخر الذي يتصف به إنسان معظم مجتمعات العالم الثالث في العصر الحديث ، وهو تخلف يمس العناصر الذاتية للمجتمع كالثقافة واللغة والقيم والزاد المعرفي العلمي للمجتمع ، كما أنه يمس نفسيا تركيبة شخصية الفرد والشخصية

الجماعية لنفس هذا المجتمع ، وبطبيعته المزدوجة يكون مفهوم التخلف الآخر مؤهلا لكي تستفيد منه العلوم الاجتماعية والإنسانية خاصة في بحوثها حول قضايا التنمية والتخلف وما يرتبط بها في المجتمعات النامية ويمكن تمثيل التخلف الثقافي النفسي من خلال الشكل التالي :

التخلف الثقافي النفسي

(١) نتيجة احتكاك الحضارات

(٢) طبيعة هذا الاحتكاك هي من نوع الغالب والمغلوب

(٣) مكونات التخلف الآخر الرئيسية

(ب) تخلف نفسي الشعور بالدونية والتلهف لتقليد الطرف الغالب	(أ) تخلف ثقافي المزج اللغوي – معرفة أكبر للثقافة الأجنبية عن الثقافة الوطنية

شكل رقم (٢) يمثل التخلف الثقافي النفسي

* معوقات وسائل الاتصال في الدول العربية :

تتضح هذه المعوقات فيما يلي :

١- الافتقار الى الموارد البشرية المدربة تدريبا فنيا متلائما مع اتجاهات التنمية وظروف التطور السريع .

٢- المعاناة من الارتفاع في نسبة الأمية ، ولعل الامر الذي يزيد من خطورة هذه المشكلة أن البعض من شبه الأميين هم من العاملين في قطاع الإنتاج ، وأمام هذه النسبة المخيفة يصبح الاتصال بجميع وسائله عقيما .

٣- الإصرار على اتباع الأساليب التقليدية في تناول قضايا التطور والشئون المتعلقة بالتنمية .

٤- فقدان الاهتمام - عند البعض - بين الأجهزة المختلفة والتي تساعد على تضافر الجهود للقضاء على الازدواجية والتكرار وتمكن خطط التنمية من تحقيق أهدافها تحقيقا أكثر جدوى وفعالية .

** الخروج من المأزق :

العملية الإعلامية .. عملية اجتماعية :

إن الاتصال الجماهيري يرتبط

بنائيا ووظيفيا بالظواهر الاجتماعية والثقافية ، ويقوم بدور حيوي في التكامل الاجتماعي والسياسي ، أي يربط الأفراد بقضايا المجتمع ويحيطهم علما بما يدور فيه من أحداث وقضايا ، اي يخلق ما يسمى " بالوعي الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي " . فالاعلام يقوم بدور

هام في المجتمع الحديث ويؤدي دورا اجتماعيا لجميع فئاته من إعلام وتثقيف وتربية ، فهو يقوم بتقريب المفاهيم المختلفة بين أفراد المجتمع ، فيتعرف هؤلاء على كل ما يتعلق بهذا المجتمع من قضايا وإنجازات سياسية واجتماعية وثقافية .

ويمكن تحديد فعالية العملية الإعلامية كعملية اجتماعية من خلال علاقتها بالفرد والبناء الاجتماعي والثقافي ، فهي ظاهرة اجتماعية تؤثر وتتأثر بالظواهر الاجتماعية والثقافية والفكرية والسياسية والاقتصادية ، أي هي منظومة اجتماعية تتحرك من خلال الفرد – البناء الاجتماعي – الثقافة . ويتم ذلك من خلال :

١- توافر مقومات الأداة التكنولوجية وتوافر المادة أو المضمون الثقافي والفكري والإخباري .
٢- وضوح أيديولوجية المجتمع التي تحدد أهداف الفكر والثقافة وموقفها من إنجازات أفراد المجتمع .
٣- قدرة كل من الشكل والمضمون على تجسيد الأحداث والقضايا الاجتماعية بطريقة يتوافر فيها مقومات التأثير والاقناع .
٤- قدرة الجمهور المستقبل على إدراك هذه المادة أو هذا المضمون .

وبالتالي فالدور الاجتماعي لعملية الإعلام والاتصال الجماهيري تتفاوت ليس فقط مع تفاوت قدرة الوسيلة على الإقناع والتأثير أي وفقا لخصائص الوسيلة الإعلامية شكلا ومضمونا ، ولكن بتفاوت خصائص وقدرات الجمهور المستقبل لكل وسيلة .

فالدور الاجتماعي لعملية الاعلام والاتصال الجماهيري يرتبط بقدرة تلك العملية على مشاركتها حياة الأفراد وتدخلها في سلوكهم الاجتماعي ، حيث ترتبط عملية الإعلام والاتصال الجماهيري هذه بالبناء الاجتماعي والثقافي وبخصائص المجتمع وأهدافه المختلفة ، الأمنية والقومية الحاضرة منها والمستقبلة ، وبأهداف السياسة الخارجية والأمن الثقافي والاجتماعي والاقتصادي . فنحن كمجتمع نامي ، نهدف الى تأكيد هويتنا الثقافية والاجتماعية والسياسية من خلال وسائل الإعلام والثقافة المتعددة شكلا ومضمونا - فالاعلام كما سبق القول - أداة تكنولوجية وصناعية ، حيث أن جانب كبير من امكانيات تحقيق الأهداف يرتبط بمقومات التكنولوجيا والعلم ، كما يتوقف جانب كبير من نجاح العملية الإعلامية على المضمن الثقافي والفكري والإخباري وكيفية توجيهه في نقل الأحداث الإخبارية والثقافية المحلية منها والعالمية ، وفقا لأهداف المجتمع وخصائص بنائه الاجتماعي ووفقا للعلاقات الدولية والأيديولوجية .

هذا بالإضافة الى المضمون الفكري الثقافي منه ، والفني ، يكون له دورا في تحقيق التوازن الاجتماعي كلما كان يرتبط بالهوية والتراث الفكري ،وبأهداف المجتمع والفكر والثقافة . فلكل مجتمع خصائصه الاجتماعية والثقافية والسياسية وأيضا المهارية والعلمية والتكنولوجية .

إن التنوع في المضمون الثقافي والفني لحد أشكال الديمقراطية الثقافية ، حيث أنها بجانب كونها تعبيرا عن حقيقة بنائية ومؤسسية ، فهي مجموعة قيم ومشاعر واتجاهات تشجع على الممارسة الديمقراطية

الفاعلة من جانب الحاكم والمحكومين ، فالعبرة في النظام الديمقراطي ليست مجرد وجود الاجراءات والمؤسسات السياسية ، الدستور ، المجالس النيابية ، الأحزاب ، كما أن التعدد في المضمون الثقافي والفكري المحلي القومي ، يعكس مقدرة أي تكامل في مقومات النهضة على الأقل الثقافية والفكرية في المجتمع ، أي تكاملا في مقومات البنية القومية .

ومن ثم تتضح أهم خصائص وسائل الاعلام الجماهيرية فيما يلي :

١- تنوع المضمون ومفهوم التنوع الداخلي والتنوع الخارجي .

٢- الانتاج الفوري المتقارب والاستهلاك الفوري .

٣- الطبيعة الصناعية .

٤- الاعلان وتزايد أهميته في وسائل الاعلام والاتصال الجماهيري .

ويمكن أن تلبي السياسة الاعلامية حاجات المجتمع من تعليم وثقافة وترفيه من خلال :

١- غرس القيم والفضائل والسلوكيات الايجابية ومعالجة ما هو سلبي في داخل المجتمع البيئي والأخذ بيده للحاق بتكنولوجيا العصر في استخداماته الحياتية .

٢- توظيف الطاقات الابداعية الخلاقة داخل الأجهزة الإعلامية لتقديم تصورات مبتكرة وجذابة تتعامل مع عقول الجماهير وقادرة على النفاذ الى وجدانهم ، مع إتاحة الفرصة أمام المبدعين في كافة المجالات للبروز على سطح المجتمع وخدمته والإسهام في نهضته ورقيه .

٣- الاهتمام بالقوى البشرية المنتجة وتصحيح مفاهيمها الخاطئة وسلوكياتها السلبية التي تنعكس على العملية الانتاجية .

٤- تطوير القنوات التلفزيونية الاقليمية ، بحيث تكون مغرقة في المحلية وأكثر ارتباطا بجماهيرها لتكون جبهة جاذبة تستقطب جماهيرها البيئية في مواجهة الغزو الثقافي القادم من القنوات الفضائية.مع الاهتمام بقضايا الشباب والعمل على تثقيفه علميا ومعرفيا ودينيا حتى لا يقع فريسة للمفاهيم الخاطئة والتي تنعكس بدورها سلبا على المجتمع .

٥- الاهتمام بالأطفال والأخذ بيدهم نحو معرفة المظاهر الكونية والظواهر الطبيعية وما يحيط بهم من كائنات أخرى ، وتعريفهم بحضارتهم وغرس القيم والمفاهيم الصحيحة في وجدانهم ، وذلك باسلوب سهل مبسط يتسم بالتشويق حسب أعمارهم السنية .

٦- الاهتمام بالمرأة وتوجيهها الوجهة التربوية السليمة والتركيز على اهمية دورها في تربية النشء والعناية بهم والأساليب المثلى لمعاملتهم

* الإعلام والثقافة والتجديد التربوي :

تدور معظم الكتابات حول

وظيفة الاعلام ودوره في المجتمع وتحاول أن تميز بين ثلاثة اهداف اساسية له وهي :

١- نقل وتوصيل المعلومات للآخرين .

٢- محاولة التأثير في آراء الآخرين وتشكيلها .

٣- الترفيه والتسلية وتمضية أوقات الفراغ .

تتشابك هذه الأهداف وتتفاعل معا وتتكامل مع بعضها ، مما يمكن القول بأن المادة الإعلامية تحقق هذه الأهداف الثلاثة معا في وقت واحد ، ولكن بدرجات متفاوتة ، ومع ذلك فإن السياسة الاعلامية التي ترسمها الدولة لنفسها كثيرا ما تعطي اولوية نسبية لأحد هذه الأهداف على حساب الهدفين الآخرين ، وتسخير وسائل الاعلام والاتصال الجماهيري لخدمة هذا الهدف .

ولكن سواء أكان محتوى العملية الإعلامية وهدفها هو الكشف عن أهم الاتجاهات والآراء والمواقف السائدة بالفعل في المجتمع ، أم إصدار تعليمات وتوجيهات خاصة تعبر عن سياسات وايديولوجيات معينة تريد الدولة عن طريق الاعلام نشرها بين الناس وتغيير الآراء السائدة بينهم أو أن يكون المحتوى مادة ترفيهية لشغل وقت الفراغ ، فإن جوهر العملية الاعلامية يقوم دائما على الاتصال أو التوصل وعلى توصيل المعلومات ونقلها ونشرها على أوسع نطاق ممكن .

ولقد مر الاعلام بأربع ثورات هي :

الثورة الأولى : والتي تمثلت بظهور المطبعة .

الثورة الثانية : والتي تمثلت بظهور وكالات الأنباء

الثورة الثالثة : والتي بدأت مع استخدام التقنيات الحديثة في وسائل الاتصال مثل السينما والاذاعة والتلفزيون ، ومن علاماتها أن هذه الوسائل زاحمت الوالدين والمدرسين في نقل العلم والمعرفة للأفراد ، وأصبح جزءا كبيرا من التعليم يحدث خارج الفصل الدراسي .وأصبحت الكمية الفائقة من المعلومات التي تنقلها الصحف والمجلات والأفلام

والإذاعة والتلفزيون تفوق بكثير كمية المعلومات التي ينقلها معلم الفصل وهذا التحدي حطم احتكار الكتاب كمساعد أساسي في العملية التعليمية ، وأحدث شرخا في حائط الفصل الدراسي أدى الى نوع من الإرباك .

وثمة محاور أساسية تحكم العلاقة الاعلامية بين العالم المتقدم الصناعي والعالم الثالث وهي :

١- محور التبعية الثقافية والاعلامية من جانب العالم الثالث للعالم الرأسمالي الصناعي المتقدم .

٢- محور الاستقلال الاعلامي الذي تجسد في محاولات العالم الثالث على المستوى القومي لإنشاء تكتلات إعلامية إقليمية وقومية وأبرزها وكالات أنباء عدم الإنحياز .

٣- محور الصحافة فقط ، مع عدم تجاهل وسائل الاعلام الأخرى سواء المسموعة أو المرئية وتشمل الاذاعة والتلفزيون والسينما .

وخلال السبعينات ظهرت مؤشرات جديدة تدل على تجدد واستمرار الثورة الإعلامية الثالثة ، واتضح للعلماء لأن هناك جوانب من لسلوك الانساني تؤثر فيها وسائل الاعلام ولم يكن ذلك معروفا لديهم قبل السبعينات ، كما بزغ عدد م الموضوعات الهامة التي أدت الى اتساع مفهوم تأثير وسائل الاعلام فازداد الاهتمام بموضوعات مثل : دور النمو المعرفي عند الأطفال في فهمهم البرامج التلفزيونية وما إذا كان المعنى الذي يستخلص من الرسالة المطبوعة يدرك بنفس الطريقة التي تستخلص من التلفزيون ، ثم دور وسائل الاعلام في النمو الاجتماعي والاقتصادي وبالتالي أصبح لوسائل الاعلام دور في تكوين الصور الذهنية عند

الأفراد عن الدول والمواقف والأحداث بل يمكن القول أنها تؤثـــر فـــي الطريقة التي يدرك بها الناس الأمور والطريقة التي يفكرون بـــها وفـــي سلوكهم نحو عالمهم الذي يعيشون فيه .

وتنقسم التأثيرات التي تحدثها وسائل الاعلام الحديثة الى نوعين :

النوع الأول : التأثير المتعاصر وهو الذي يؤثر في الأفراد الراشديـــن ، حيث يحدث للأفراد وهم في سن البلوغ والنضج فيما بعد عبورهم مرحلة الطفولة ، وفي هذه المرحلة العمرية يتم التفاعل بين شخصية الفرد الذي يتعرض للرسالة الاعلامية والرسالة الاعلامية ذاتها .

النوع الثاني : التأثير النمائي : وهو الذي يؤثر فـــي الأطفـــال ويتـــم بدراسة أثر وسائل الاعلام في سلوك الأطفال خلال فترة نموهـــم مـــن الطفولة وحتى البلوغ وهذه الدراسات بدأت مع ظهور التلفزيون .

الثورة الاعلامية الرابعة : وهي حرب جديدة تسبق " حرب النجـــوم" العسكرية ، ويمكن أن نسميها " حرب الصور " التي تخـــترق الســـاتر الإلكترونية بين الدول وتقلب الموازين فتسقط الحواجز والموانع وتتكشف مناعات المجتمعات المغلقة بانحسار قدرة شبكات التشويش، وهي ثـــورة البث التلفزيوني الشامل عبر الأقمار الصناعية ، حيث أزالت الحدود بين الشعوب وبين الدول والقارات ولم تستطع أن تمنعها أجهزة التشويـــش . الأمر الذي يدعو الى ضرورة تكثيف الجهود العربية في مجال التعـــاون الاعلامي والترويج للإنتاج الاعلامي بواسطة الأجهزة العربيـــة وفـــي صورة تبادل وانتاج مشترك ليس في المناسبات فقط ولا في المنوعـــات

فقط ، بل في مختلف المجالات ليس لمواجهة الواقع الراهن بل لدخول عتبة الثورة الاعلامية الرابعة .
إن الدور المؤثر والفعال الذي تتمتع به وسائل الاتصال والاعلام وقدرتها الكبيرة على الاسهام الفعال في بناء الانسان بناءا فعالا صحيحا وبخاصة في العادات المرزولة والقيم السلبية التي تمسك بخناقه ، لا سيما أنه لا يمكن تحقيق أدنى درجات التقدم والنمو بدون طاقة بشرية سليمة النفس صحيحة الفكر متجاوبة مع ظروف الحياة وأوضاعها المعاصرة ، لأن الانسان هو الهدف وهو المحور الذي تدور حوله كل الجهود للارتقاء بالمجتمع وإقامته من عثرته ودفع عملية النشاط والحياة به ، ولن يتم ذلك إلا في إطار خطة عملية متكاملة تأخذ في اعتبارها كافة المتغيرات والعوامل التي تسيطر على الحياة في المجتمع بجوانبها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية .

وأي خطة تنموية تغفل الانسان وتتجاهل عقله ووجدانه سيحكم عليها بالفشل لأنها استثمار لا قيمة له ولا جدوى مما ورائه ، بعدما تبين أن العنصر البشري هو المكون الرئيسي والأساسي في بناء الأمم ، ولذلك وجب مشاركته في عملية الاتصال من خلال المناقشة واشباع رغبته في المعرفة والحوار البناء ، فهذه تعتبر مسألة جوهرية لتكوين الفكر السليم . وحرمان الجماهير من المعلومات السليمة والحقائق التي تتناول قضاياهم وتعالج شئونهم سوف تؤدي الى خلق جو من التوتر وعدم الثقة ، كما يسهم في ايجاد هوة التصديق بين أجهزة الاعلام والجماهير .

*** استراتيجيات تجديد ونماذج إعلامية :**

توجد ثلاثة استراتيجيات للتجديد في التعليم ونماذج إعلامية لنشرها في المجال التربوي كما رصدها هنداوي حافظ وهي :

أولا : استراتيجيات التجديد في التعليم Strategies of Innovation

وتشمل :

(ا) استراتيجية القوة القهرية power - Coercive

(ب) استراتيجية إعادة التعليم المعيارية Normative re-educative

(ج) استراتيجية البحوث التطبيقية Applied Research

مع ملاحظة هامة يجب مراعاتها عند وضع الاستراتيجية المناسبة لنشر البديل التجديدي تتمثل في أن عملية التخطيط لوضع الاستراتيجية تعتبر في المقام الأول مسئولية مشتركة بين نظامي المستفيدين ووكالة التغيير ، لذا ... لابد من توافر نظام اتصالي جيد يستطيع أن يوفر المعلومات اللازمة لحل المشكلات التي تواجه تطبيق البديل والتخطيط لتحسينه .

ثانيا : النماذج الاعلامية لنشر التجديدات التربوية :

تتمثل هذه النماذج في نوعين أساسيين :

١- النماذج الخاصة بالعاملين في الحقل التعليمي :

لاشك أنه من المهم انتشار التجديد التربوي وتعميمه ، لتحقيق الغرض منه ، إلا أن هناك بشكل عام تباطؤا ملحوظا في انتشار تجارب

التجديد التربوي ، ويرجع ذلك الى الأفراد من ناحية والمقاومة الاجتماعية من ناحية أخرى ، ويضاف الى ذلك أن عددا كبيرا من أولئك الذين يعتمد عليهم التطبيق والتنفيذ لا تتوافر لديهم المعرفة بوجود طرق أفضل ونماذج أحسن وأساليب إدارية أوقع ، يمكن استخدامها لتحسين عملهم .

كما أن عدم المعرفة بالأساليب الجديدة أو بالتجديد التربوي التي تحدث تعوق عملية انتشارها ، ومن ثم فإن للاعلام دور هام في انتشار الاصلاح والتجديد التربوي حيث أن الكثير من المعلمين لا يتبنون التجديد لأنهم لا يعرفون الأساليب الجديدة والمستخدمة في مدارس أخرى لحل مشكلات معينة أو أساليب إدارية جديدة خاصة بنظم الإدارة .

وهناك عدة نماذج تستخدم في نشر المستحدثات التربوية ومنها :

(أ) *نموذج البحث والتطوير والنشر* :
Research Development and Diffusion Model

(ب) *نموذج التفاعل الاجتماعي* : Social Interaction Model
والذي يعتمد في نشر المستحدثات التربوية داخل المؤسسات التعليمية على العلاقات الاجتماعية باعتبار أن تلك المؤسسات نظام اجتماعي .

(ج) *نموذج حل المشكلة* : Problem - Solving Model
يقوم هذا النموذج على أساس أن عملية التجديد تعتبر جزء من عملية حل المشكلة التي تأتي من جانب المستفيدين ويختلف نظام

المستفيدين في حجمه ودرجة تعقده ، فقد يكون مدرسة أو فصلا دراسيا أو قطاعا تعليميا أو إدارة تعليمية أو النظام التعليمي على المستوى القومي .

٢- النموذج الخاص بالجماهير :

يعد حق الجماهير في الحصول على أية معلومات عن أي مستحدث في أي مجال وخاصة المجال التربوي ، جزءا هاما من التغيير الأوسع افقا عن حق الشعب في الاتصال ويعد إجراءا تبادليا بين الشعب وكل من القائمين على الأجهزة الإعلامية ووكالات التجديد ، ويؤكد هذا الحق الاتفاق الذي وقع من قبل الدول الأعضاء في اليونسكو في الاجتماع الذي عقد في نيروبي عام ١٩٧٦ على أنه " لا ينبغي بحث أي مشكلة متعلقة بتحصيل الجمهور للمعلومات والأخبار مع إهمال مسألة مشاركته في العملية الإعلامية ، لأن الاعلام والمشاركة مفهومان يرتبط كل منهما بالآخر بشكل وثيق حيث أن هذه العلاقة متضمنة في صميم مبدأ الديمقراطية " .

وتعتمد عملية نشر المستحدثات على مصادر اتصالية مختلفة ، منها وسائل الاتصال الجماهيرية والوكالات الرسمية والاجتماعية غير الرسمية ، وتلعب تلك الوسائل دورا بارزا في عملية التعريف وإدراك المستحدث والاقناع بقبوله .. وثمة مجموعة من الاجراءات طرحها أيضا هنداوي حافظ يمكن أن يسهم بها الاعلام إسهاما فعالا في التعليم من خلال :

١- إدخال علم الاتصال والاعلام التربوي وعلم التجديد التربوي ضمن

برامج اعداد المعلمين .

٢- إنشاء مراكز للبحوث التطبيقية كعامل للتجديد التربوي بكل محافظة تكون تابعة لوزارة التربية والتعليم مع انشاء مدارس نموذجية تجريبية لتطبيق وتجريب النماذج التجديدية في مجال التعليم ، على أن تشرف كليات التربية على تلك المدارس .

٣- ايجاد اتصال فعال بين مراكز البحوث الأساسية المتمثلة في كليات التربية وبين مراكز البحوث التطبيقية التابعة لوزارة التربية والتعليم في انشائها .

٤- إيجاد اتصال فعال بين مراكز البحوث الأساسية المتمثلة في كليات التربية وبين لجنة التعليم والبحث العلمي بمجلس الشعب لكي تسترشد الأخيرة بآراء تلك الكليات عند بحث اي قانون خاص بالتعليم .

٥- إيجاد اتصال وتبادل معلومات فعال بين مختلف كليات التربية لتدارس كافة اشكال التجديد التربوي على مستوى الجمهورية .

٦- أن تمارس الصحافة والتلفزيون والإذاعة دورها الفعال من خلال عرض كافة وجهات النظر في مختلف القضايا التعليمية بحيث لا يعد ذلك نوعا من الخلاف مع القيادة السياسية ولكنه مصدر هام للمعلومات .

٧- أن يصدر كل مركز بحثي من مراكز كليات التربية مجلة دورية تربوية تعرض اهم المستحدثات التربوية .

٨- أن تصدر مراكز البحوث التطبيقية التابعة لوزارة التربية والتعليم مجلة دورية تربوية تطرح فيها كافة المعلومات عن التجارب والمستحدثات في مجال التعليم .

مراجع الفصل الثاني

١- ابراهيم الزهيري ، هنداوي حافظ : نظم تعليم المتفوقين / الموهوبين في ضوء مفهوم إدارة الجودة الشاملة في الولايات المتحدة الأمريكية وامكانية الاستفادة منها في مصر ، **مجلة كلية التربية ببنها** ، جامعة الزقازيق ، المجلد السابع ، العدد ٢٤ ، يوليه ١٩٩٦.

٢- احمد عابد عاصم الطنطاوي : اشكالية العلاقة بين التعليم والتنمية الاقتصادية ، القاهرة ، **مجلة التربية والتنمية** ، السنة (٣) ، العدد (٨) ، فبراير ١٩٩٥.

٣- أحلام رجب عبد الغفار : تحليل مفهوم الإعلام التربوي ، القاهرة ، **مجلة التربية والتنمية** ، السنة (٣) ، العدد (٨) ، فبراير ١٩٩٥ .

٤- **المنتدى الدولي بشأن التربية من أجل الديمقراطية** (ورقة عمل) اليونسكو .

٥- جان الكسان : الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة ، المغرب ، **مجلة الوحدة** ، المجلس القومي للثقافة العربية ، السنة (٨) العدد (٩٠) مارس ١٩٩٢.

٦- حامد عمار : العلم هدف ووسيلة للتغيير : **المؤتمر السنوي الثالث للجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية** بالاشتراك مع كلية التربية جامعة عين شمس بعنوان " إرادة التغيير في التربية وإدارته في الوطن العربي " المنعقد في الفترة بين ٢١-٢٢ يناير ١٩٩٥ ، ج١.

٧- فؤادة البكري : **التنمية الثقافية والثقافة الجماهيرية** ، القاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، مكتبة الشباب ، العدد (١٦) ، ١٩٩٢ .

٨- عبد المنعم ثابت : دور وسائل الاعلام في التنمية البيئية ومواجهة الغزو الثقافي ، **مجلة دراسات إعلامية** ، العدد (٨١) ، اكتوبر / ديسمبر ١٩٩٥.

٩- محمود احمد اسماعيل : دور المثقفين العرب في التنمية ، المغرب ، **مجلة الوحدة** ، المجلس القومي للثقافة العربية ، السنة (٤) ، العدد (٤٥) ، يونيه ١٩٨٨.

١٠- محمد الزواوي : بعض الجوانب لمفهوم التخلف الآخر في الوطن العربي ، المغرب ، **مجلة الوحدة** ، المجلس القومي للثقافة العربية ، السنة (٥) ، العدد (٥٠) ، نوفمبر ١٩٨٨.

١١- محمد السماك : الاعلام الديني في الشرق الوسط ، القاهرة ، **مجلة دراسات إعلامية** ، العدد (٦٦) ، يناير / مارس ١٩٩٢.

١٢- محمد أنيس ، السيد رجب حراز : **ثورة ٢٣ يوليو وأصولها التاريخية** ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٩.

١٣- محمد سيد محمد : **الاعلام والتنمية** ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٥.

١٤- محمد صابر سليم : **التربية والتوعية بقضايا البيئة** ، القاهرة ، معهد الدراسات والبحوث العربية ، ١٩٩١.

١٥- محي الدين عبد الحليم : وسائل الاتصال وبناء الانسان في القرية المصرية ، القاهرة ، **مجلة دراسات إعلامية** ، العدد (٥٧) ، اكتوبر / سبتمبر ١٩٨٩ .

١٦- مصطفى أحمد التركي : وسائل الاعلام واثرها في الشخصية ، الكويت ، عالم الفكر ، ملف الاعلام والرأي العام ، وزارة الاعلام ، المجلد (١٤) ، العدد ، (٤) ، يناير / فبراير / مارس ، ١٩٨٤.

١٧- نسمة أحمد البطريق : الاعلام ومناهج البحث الاجتماعي ، القاهرة ، مجلة دراسات اعلامية ، العدد (٧٠) ، يناير / مارس ، ١٩٩٣.

١٨- هنداوي محمد حافظ : الاعلام والتجديد التربوي ، دراسة مقارنة بين مصر ولعض الدول الأجنبية ، المؤتمر العلمي الرابع عشر لرابطة التربية الحديثة بالاشتراك مع كلية التربية جامعة عين شمس ، المنعقد في الفترة ١١-١٣ يوليه ١٩٩٤.

19-A. Zaki Badawi : A dictionary of Science Libriri du Libon , 1982.

20- Dennis McQUAIL: Mass Communication Theory, Second edition, London , Sage Publication Ltd. , 1987.

21- Maxweel E. Mc Combs.and Lee. Beker : Using Mass Communication Theory, Prentice Hall INC. Englewood, New Jersey, 1979 .

22- Parsons, T.: Societies, Eevaluationary and Comparative Perspectives , Englewood Cliffs. N. J. Prentice Hall, 1960.

الفصل الثالث

الطــــــفل

بين
الثقافة والتربية والاعلام

مقدمة :

إن تحليل أصل التعريف الاجتماعي للطفل كموضوع ثقافي والشروط الاجتماعية لانتشار هذا المفهوم في السنوات الأخيرة – يعتبر من الأولويات لابراز الوظائف التي تملؤها الثقافة والمؤسسات الثقافية التي هي مكلفة بتبليغها سواء المقصودة وغير المقصودة لمختلف الطبقات الاجتماعية – تلك الوظائف التي يمكن الكشف عنها بواسطة تركيب نسق العلاقات التي تقيمها هذه المؤسسات وبخاصة المدرسة باشكال التبليغ الثقافي في كافة الطبقات ، ولعل أهم الشروط اللازمة لاكتشاف الطفل كموضوع ثقافي والتي ساعدت أو ساهمت في إحداث التعريف الثقافي للطفل وهي :

١- انتشار التربية المدرسية .

٢- التغيرات الاجتماعية للأسرة .

٣- مركز المرأة داخل الأسرة وخارجها .

٤- نمو وانتشار المعارف السيكولوجية .

*** الحركية الاجتماعية والتحولات الثقافية :**

إن تعريف الطفولة كموضوع ثقافي لا يمكن فصله عن إعادة تعريف الدور الثقافي للأم والتي يجد شروطها متوفرة في الطبقات العليا والمتوسطة بصفة خاصة . والتي تخضع لثلاثة أسباب متضافرة هي :

١- دخول النموذج المهني .

٢- تحرر المرأة من جزء من الأشغال المنزلية التقليدية .

٣- اتساع التمدرس .

ولقد أدى كل هذا في تلك الطبقات الى تقلص نسبي للأهمية التي تعطى للأشغال المنزلية التي اصبحت ثانوية بالنسبة للأشغال المهنية ذات الأجر من ناحية والى تنظيم وعقلنة نسبية للشغل المنزلي الذي أصبح يمارس وبصفة خاصة في الطبقات المتوسطة الجديدة على نمط النشاط المهني .

هذه التحولات بجانب المحددات الاقتصادية المرتبطة بممارسة عمل مأجور كان لها أثر كبير في الطبقات العليا والمتوسطة خاصة ، حيث يعطي القلق المدرسي القائم على اتساع دور المدرسة في إعادة انتاج المركز الاجتماعي أهمية كبرى للنقل الثقافي عبر المؤسسات الثقافية وأدواتها المختلفة كالكتب وغيرها .

لذا كانت هذه بعض العوامل التي أدت الى طلب التربية وتنشئة الأطفال وإلى وجود استعدادات لمعاملة الطفل كموضوع ثقافي ، فلا زال هناك عامل آخر ساهم الى حد كبير في تقديم مضمون لهذه الاستعدادات ، فقد كان الطلب على التربية والاستعداد البيدانموجي أن يجدا تحديدا دقيقا للطفل الذي يجب تربيته ، أي تعريف لإمكانات الطفل وتعريفا للمضمون الذي يجب أن يلقن له .

ولذلك فإنه توجد عوامل أخرى بجانب التربية المدرسية والتغيرات التي عرفتها الأسرة وإعادة تحديد الدور التربوي للأم وهي ضرورة اكتشاف الطفل كمتعلم فكري والى اختراع النشاطات الفكرية العملية التي تتمشى مع هذا السن .

فالخطاب السائد اليوم حول ثقافة الطفل العربـي يتميز بكونـه معاصرا لتكوين الطبقات الوسطى الجديدة المشبعة بالتربيـة المدرسـية والثقافة المدرسية ، ولها الاستعدادات الثقافية للمطالبة بثقافة للطفل كما تطالب بثقافة لها . (تارة وطنية وتارة اسلامية وثالثة عربيـة ، دون أن ندرك أين تنتهي الأولى وأين تبدأ الثانية ... والعكس) .

إن واقع ثقافة الطفل العربي يجعل منها ثقافـة خـارج عالمـها وخارج الشروط الفعلية لتحقيقها ومعرفة تفرضها ثقافة الكبـار (التي ترجع الثقافة الى وضع سابق لا علاقة له بالحاضر) وليـس بطريقـة مستقلة واعية ومدعمة بوسائل - مادية وبشرية - ومؤسسـات تساعد على هذا الاستقلال ، حيث أصبحت الشروط الثقافية اليـوم أكـثر مـن الشروط الاقتصادية والاجتماعية لعيش اكثر الأطفال ، هي التي ترغـم على الحصول على حقيقة الطفل والطفولة . وحين يكون الخطاب اليـوم حول الثقافة ومن أجل ثقافة الطفل ، يمكن اعتبار هذه الشروط الأوليـة كاختبار لصدق النوايا ولحقيقة الالتزام وكذلك لوعي التحاليل المقدمة عن وضعية الطفل وفهم الظواهر المرتبطة بالطفولة ، بل والمساهمة في خلق وضع جديد (قانوني - اجتماعي - ثقافي ....) للطفل سوف يتمكن هذا الأخير من تأكيد ثقافته بنفسه ومن أحداثها باحداث نفسه ، هذه الحقيقـة الجديدة تتطلب منا جميعا الى حين التفكير فيها والعمـل بـها أن نقـوم بمراجعات في عالمنا الذهني أو نعيد النظر في تصنيفات إدراكنا السياسي والاجتماعي .

إن انخراط المجتمع العربي فـي عصـر الحداثـة التكنولوجيـة

والتنظيمية أدخل هذا المجتمع في عصر تسارع التحولات وتراكمـــــها ، فالحداثة لم تترك المجتمع العربي مطمئنا الى ذاته ومســـتلذا بصورتــه المطابقة في وعيه بل قذفت به في أتون التغير على عـــدة مســـتويات ، وأول هذه المستويات هــو المســتوى الديمقراطـــي ، حيــث وفــرت الامكانيات الطبية والصحية الجديدة ظروفا احسن لارتفاع نسبة المواليــد بالقياس لنسبة الوفيات ، وتدل الاحصائيات الـــى أن الــتزايد الســكاني العربي يسير بوتيرة ٣,٥٪ ، إذ يتضاعف عدد السكان فـــي الوطـــن العربي في كل ٢٤ سنة . فقد كان هذا العدد في عام ١٩٧٥ يقـــدر ١٤٢ مليون نسمة وأصبح عام ١٩٨٩ يقـــارب ٢٠٠ مليـــون نســـمة حســـب التقديرات الاحصائية ، بل أن هذا انعكس بشكل واضـــح علـــى الـــهرم السكاني نفسه حيث اصبح هرما شابا بمعنى الكلمة .

لقد أدهت مداهمة الحداثة التكنولوجية للمجتمع العربي الى اندثـــار أنشطة انتاجية كالصناعات التقليدية وبعض الأساليب العتيقة في الزراعة والري ، كما أدت الى حدوث تفكك فـــي علاقـــات التعـــاضد التقليديـــة العمودية والأفقية ، والى حدوث تفكك في بعـــض البنيـــات الاجتماعيـــة والقيم الملازمة له . وفي هذا السياق تم اكتشاف الطفل كطاقة اجتماعيـــة كامنة يتعين الاهتمام بها ثقافيا وتعليميا ، كما تم اكتشاف المرأة ككـــائن قادر على بذل عمل اجتماعي وككائن له نفس الحقوق المنسوبة للرجـــل نظريا على الأقل .

وإذا كان هذا التحديث هو العقلنة ، فإن تحديث البنيات الاجتماعية والاقتصادية هو أداة صهرها في بوتقة واحد وإكسابها تجانسها يعطيـــها

فعالية جديدة تخرج بها من عطالتها التقليدية .
ومن هنا فإن الأمة العربية وهي تعاني تمزقاتـــها الداخليـة وهزائمـــها الخارجية مطالبة بأن تبدع مشروعها الحضاري المقاوم الذي لابد له أن يكون متناغما ومتكاملا في أبعاده الوطنية والقومية والانسانية وبالتـــالي فكون متناغما ومتكاملا في أبعاده الوطنية والقومية والانسانية وبالتـــالي فإن النظام القومي في أفقه المستقبلي ينبغي له أن يكون مستشرفا الأبعاد الانسانية في ذات الوقت الذي تؤكد فيـــه الـذات العربيـــة والشخصيـــة الاسلامية أن الثقافة العربية التي تتولد اليوم في آتـــون هــذه الملحمـــة التاريخية مطالبة بإبداع علمي وحضاري يضعها فـــي إطـــار تاريخـــها وسياق عصرها ويكون معقودا لها من خلال العطاء والتضحية أن تسهم في إغناء الثقافة العالمية وإضفاء روح التسامح والحوار والتوازن حتى يمكن خلق ظروف دولية جديدة تسمح بإقامة مجتمع العدالة والمساواة في حقوق الانسان .

ولعل من الشواهد الخطيرة التي تهدد الكيان العربي - هو الطعن في اللغة العربية والثقافة العربية وباسم الديمقراطية وحقوق الانســـان ، حيث يظهر من يدعو اليوم جهارا الى استخدام اللغات الأجنبية واللهجات المحلية بديلا عن اللغة العربية ، هذا بالإضافة الى الدعوة الى الكونيـــة والدولية وغيرها من المصطلحات التي تهدد الثقافـــة والهويـــة العربيـــة والاسلامية .

فلا شك أن اندماج وتماثل البنيات الاجتماعية لن يكون فقط مطلبا من مطالب التحديث بل سيوفر شروطا قاعدية للاندماج الوحدوي العربي

المستقبلي ، ومن ثم يتم التحول من الحركية الاجتماعية الى التحـــولات الاندماجية على مستوى الأمة العربية ، في ظل نظام عالمي قد تســـوده الأفكار والأيديولوجيات الكونية والدولية العالمية ولكن مع الحفاظ علـــى الهوية الثقافية العربية الإسلامية في ذات الوقت .

*** نحو نظام ثقافي عربي جديد :**

يكاد يقتصر مفهوم الثقافـــة فـــي الدراسات العربية غير التخصصية على الفكر ، ويتم استبعاد المكونـــات الأخرى ودراستها داخل مجالات مختلفة ، كالشريعة وفقـــه المعـــاملات والتراث ونظرية الأدب والفن والموسيقى ، ولعل السبب في ذلك هو علم الإناسة – الذي أعطى لمفهوم الثقافة أهم مضامينه – لا زال يحتل حيزا ضيقا في الدراسات العربية ، مما يجعل نظرتنا الى الثقافة نظرة فكريـــة أكثر منها إناسية خصوصا إذا وضعنا في عين الاعتبار أن علم الإناســـة يطرح على العرب وسكان العالم الثالث عمومـــا مشـــاكل تكـــاد تكـــون مستحيلة التجاوز .

فهناك بلا شك وحدة ثقافية عربية يشترك فيها معطيـــات كثـــيرة كوحدة اللغة ووحدة القضايا الثقافية ووحدة منطق القراءة ، وهذه بلا شك تصنع سوقا مفتوحة لتداول الكتاب والوثائق والمعلومات .

إن الثقافة العربية الإسلامية هي تعبير حي وأصيل عن تراثنـــا و واقعنا وهي تعبير صادق عن هويتنا القوميـــة ووحدتنـــا فـــي مواجهـــة الاغتراب والنزعات الطائفية والمذهبية والحفاظ على خصوصيتنا وقيمنا

الحضارية الأصيلة وفي مواجهة التبعية والتخلف بأشكاله المختلفة .
كما يجب أن تساهم ثقافتنا العربية الإسلامية في بنـــاء مجتمـــع مدنـــي ديمقراطي عصري جديد تختفي فيـــه كـل أثـــار الخـــوف والارهـــاب والدكتاتورية وتسوده حقوق الإنسان والعدل الاجتماعي وقواعد العدالـــة المقررة في النظم القانونية المتمدنة التي لا يوجد فيـــها شخـــص فـــوق القانون .

إن وجود مستقبل عربي قوي ومتين يعتمد أولا واخيرا على بناء الانسان بناء حرا وسليما ، فالمجتمع الحر ينشئ إنسانا حرا .
فالثقافة العربية هي أرضنا المشتركة وأن حدود وطننا الذي نعترف بـــه وننتمي إليه هي حدود انتشار اللغة العربية . وذلك لأن مفـــهوم الثقافـــة العربية يشير الى تراث الأمة العربية التي تمت المحافظة عليه وتوارث عبر الأجيال من خلال التربية ، سواء تراث مكتوب أو غـــير مكتـــوب يتضمن معارف ونسقا للقيم ومعتقدات واضحة ومفصلة ولغة غنية تغطي جميع احتياجات التخاطب الرمزي بين الأفـــراد ، وهـــو تـــراث ينطـــو علاقات الفرد مع ربه ومع الأفراد القريبين منه والبعيدين عنـــه ، كمـــا يتضمن إمكانية التطوير والتغيير والتأثير في الثقافات الأخرى .
فلهذه الثقافة جذور ضاربة في التاريخ القديم ، وهي ثقافة غنيـــة حيـــث تمكنت بعض جوانبها وخصوصا المعرفي من تقديم مســـاهمات هامـــة لتطوير ثقافة الانسانية وبالتالي .. لسنا بحاجة الى التذكير بأهمية العامل الثقافي في التحولات العاصفة الجارية الآن على المستوى العالمي بأسره وفي جميع المجالات فالانفجار المعرفي المستمر منـــذ عقـــود طويلـــة

والثورة التكنولوجية في وسائل الاتصال والتأثير ساهمت في بلورة ما يسمى بالثقافة العالمية أو الثقافة الكونية ، ذات القدرة الهائلة على الاختراق والتأثير في اي رقعة من العالم .

لذا... فتحديات الثورتين التكنولوجية والإعلامية من جهة وتشابك الأنظمة من جهة أخرى وقدرة الثقافة الكونية القادرة على اختراق الثقافات المحلية والقومية من جهة ثالثة ، تطرح على الثقافة العربية أسئلة محددة لا يمكن تأجيلها أو الهروب منها .

فالثقافة العربية مرغمة على مواجهة المتغيرات الدولية الراهنة والتعامل معها من موقع القادر على الأخذ والعطاء لا من موقع الرفض العبثي أو الاحتماء وراء التقليد أو الاكتفاء باستيراد الثقافة الاستهلاكية واستهلاك ما ينتجه الغير من إبداعات علمية وتكنولوجية ، ومن ثم يمكن ظهور مفهوم " نحو نظام ثقافي عربي جديد " ويتم ذلك من خلال محورين اساسيين هما :

المحور الأول : تحديد طبيعة النظام الثقافي العربي الراهن ومكوناته البنيوية وآلية عمله وإمكانية التجديد في داخله .

المحور الثاني : تحديد مفهوم العروبة المحددة لطبيعة هذا النظام الثقافي الجديد في عالم متغير تسوده القفزات النوعية عن طريق توحيد القوميات والأعراق واللغات والثقافات والأنظمة السياسية وذلك بهدف الوصول الى نظام كوني أو عالمي جديد تسعى لقيادته الولايات المتحدة الأمريكية بعد انسحاب الاتحاد السوفيتي من المنافسة على الصعيد الدولي .

إن ولادة هذا النظام يحتاج الى دور مميز للمثقفين العرب داخل الوطن العربي بالدرجة الأولى لإحياء وتنظيم المجتمع العربي وإعادة الاعتبار للثقافة الإبداعية في تنميته وتطويره وتوحيده .

*** الثقافة والإعلام والتربية ... الوضع الراهن :**

تشير الاحصاءات الحديثة الى أن نسبة صغار السن في مصر – الذين تقل أعمارهم عن ١٥ سنة – تبلغ ٤٥٪ من عدد السكان ، وهذا الرقم الكبير يطرح سؤالا في غاية الأهمية : كيف تكون صورة هذه النسبة الكبيرة حينما يصلون الى سن العطاء ويصبحون عماد الدولة في دفع عجلة الحياة ، وفي التعامل مع كل المشاكل الاجتماعية بكل أبعادها الاقتصادية والسياسية والثقافية التي ستواجههم .

وبما أن نسبة الأمية بين النساء في مصر تصل الى ٧١ ٪ وقد تصل الى أكثر من ٩٠٪ في أقاصي الريف ، تصبح مسئولية الإذاعة والتليفزيون بما يملكان من قدرات ، مسئولية جسيمة في نقل المعرفة الى المرأة ، وشتان بين الطفل ترعاه وتقوم على تنشئته أم متحضرة مستنيرة وطفل آخر ينشأ في أحضان الجهل والتخلف .. وفي مجتمع ترفع فيه نسبة الأمية بين الأطفال وخاصة في الريف نتيجة تسربهم من المدارس ومن التعليم الإلزامي ، في مجتمع كهذا يقل الاهتمام بالقراءة وتنعدم حيث توجد الأمية ... وبالتالي يبرز دور وسائل الإعلام المسموعة والمرئية في نقل المعرفة و التربية في سن ما قبل المدرسة حتى قيل أن الجيل الجديد يقوم على تنشئته هم ... الأم – الأب – والتلفزيون ، وهذا ما نعني به هنا التربية غير الشكلية .

لذا ... فإن التربية غير الشكلية لها عظيم الأثر في تربية النـــشء في سنواته الأولى .. لهذا فإن ثبات المفاهيم التي تبثها الوسائل الاعلامية عبر الأثير وعلى الشاشة الصغيرة ضـــروري مـــن الناحيـــة التربويـــة والتعليمية – فمثلا عندما تشن وسائل الاعلام حملة ضد التدخين ونجـــد الأفلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية التي يعرضها التلفزيون مليئـــة بالمدخنين ، فأي الرسالتين الاعلاميتين يكون أكثر تأثيرا علـــى نفســية الطفل ، وأيهما أصدق ، كما أن برامج التلفزيون تعرض العنف والقسوة والسلوك المنحرف بدرجة خطيرة تؤكد أن المواجهـــة الأولـــى للطفـــل بالنسبة للعنف والسلوك الوحشي تحدث على شاشة التلفزيون .

*** وسائل الاعلام الثقافي والابداع الأدبي والفني :**

يتمـيز عـــالم اليـــوم
بسلطة وسائل الاعلام على نحو يجعل منها ظاهرة لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية ، بالإضافة الى تنوع وسائل الاعلام هذه فـــإن التطـــور التكنولوجي العلمي والاجتماعي يضيف إليها الجديد باستمرار .

ويقصد بوسائل الاعلام جملة وسائط الاتصال المقروءة والمرئيـــة والمسموعة ، وأهمية هذه الوسائل لا تتمثل في الدور الاخباري والتثقيفي فحسب ، بل أن خطورتها تتجلى على الخصوص فيما تمارسه من تأثير تبعا لذلك في توجيه السلوك وتغيير الرأي والاتجاه ، مما يجعلها لا تقف عند حدود النقل والوصف ، بل تتعدى ذلك الى خلـــق ظـــروف التوقـــع وصنع الظاهرة ، إن الصورة التي ترسبت في الأذهان عن الهنود الحمر

وعن الشعوب البدائية وعن أسطورة اليهودي المضطهد ، بل وصــــورة العربي الارهابي .

إن وسائل الاعلام والاتصال ذات خطورة أصبحت تمثل أهـــم صناعـــة تضاهي صناعة السلاح ، بل تفوقها باعتبارها صناعة للفكر والوجدان ، بل أنها من منظور آخر تمثل أقوى سلطة بجانب سلطة الدولة أو معها .

إن أهم وسائل الاعلام ذات العلاقة المباشرة بعالم الابداع وقضاياه هي المتمثلة في السينما ومشتقاتها من تلفزيون وفيديو والصحافة الثقافية بما تمثله من ملاحق ثقافية منتظمـــة ومجـــلات . كمـــا أن الصناعـــة السينمائية للإبداع تمثل الفرصة الممكنة لوضع المواطـــن العربـــي فـــي تاريخه الواقعي والممكن بكيفيـــة تلقائيـــة وباتصـــال مبـــاشر وعلـــى الخصوص بتجاوز المناهج الأكاديمية والمصطنعة ، فماذا نجد من هذه العلاقة بين الإبداع الأدبي والعمل السينمائي في المجتمع العربي ؟ ومـــا هو المظهر العام للعمل السينمائي العربي ؟ إنه باختصار كما يلي :

١- سيادة الابتذال بدعوى النزول الى مستوى الجمهور وتلبية رغباته.
٢- محدودية الأعمال الإبداعية المعتمدة في الأعمال السينمائية .
٣- سيادة القطرية في تبني السينما للأعمال الإبداعية بالإضافة الى عدم كفايتها .

أما وسائل الاتصال المقروءة وبخاصة الملاحق الثقافية والدوريات وهي التي تبدو أقرب الى طبيعة الإبداع الدبي وأكثر قابلية للاتصال الوثيق به فلا يمكن إنكار دورها في التعريف بالإبداع الأدبي والفنـــي بـــل وفـــي توضيح الرؤى بما تتيحه وتفتحه من فرص التحليل والنقـــد والحـــوار

الأمر الذي يدعو الى ضرورة التنبيه بخطر التبعية الاعلامية والثقافيـــة ودورها في خلق القيم غير الإبداعية والترويج لها لترســـيخها كقيـــادات فكرية أو مثل ونماذج .

*** ثقافة الطفل والوضع الراهن :**

المتأمل لمـــا يجـــري علـــى الســـاحة الاعلامية حاليا يجد أن وسائل الاعلام تمجد نجوم الســـينما والمســـرح والراقصات والمطربات حتى قيل أن الملاهي الليلية تنتقل يوميـــا الـــى المنازل ويتشرب الأطفال أذواق الممثلين وأخلاق الممثلات ، فأين هـــذا كله من القيم الدينية والأخلاقية التي يتلقاها الطفل في المدرسة ومن أبويه كما أن معظم وسائل الاعلام وعلى رأسها التلفزيون والســـينما تظـــهر المرأة بصورة تتنافى مع الواقع ، وقد ثبت للعلماء أن التلفزيون والسينما يدعوان الشباب صراحة الى الحب والغزل وشرب الخمر والتدخين الـــى آخر هذه العادات الضارة التي تمتلئ بها الأفلام السينمائية والمسلســـلات التلفزيونية وخاصة الأجنبية منها .

ويرى كثير من المربين وعلماء النفس أن تأثير التربية المدرســـية على الأطفال آخذا في الانحسار يوما بعد يوم أمام التربية الموازية التي يتلقاها الطفل عن طريق وسائل الاعلام ، والتي يزداد أثرها يومـــا بعـــد يوم ، خاصة عندما تجعل وسائل الاعلام من الثقافة والتعليم والمـــدارس والمدرسين مادة للضحك والاستهزاء ، كما حدث في " مدرسة المشاغبين مثلا ، أم عن الأعمال الفنية التي توجه للأطفال أنفسهم فقد ترك صناع السينما في مصر أطفالنا نهبا لسينما الكبار التجارية بتأثيراتها السلبية بما

تقدمه لهم من تشويه وتزييف للواقع الذي لم يتعــرف عليــه بخبراتــه ، وتتركه فريسة للحيرة والارتباك وعدم الثقة والشعور بــالعجز والبلبلــة وأحيانا الانحراف والتقليد الأعمى الذي ينتج أوخم العواقب ، والملاحــظ أن الأفلام التي صنعت خصيصا لتخاطب الأطفال فشلت في ذلك ، فهي على الأصح أفلام من الأطفال وليست للأطفال ، وعلى الرغــم مــن أن عدد هذه الأفلام قليل جدا بالقياس الى الأفلام الروائية التي تقدم للكبار - إلا أن أكثرها لا يخاطب الأطفال بل الكبار في طريقة العرض والتلقــي ولا يعبأ بالأسلوب والمنهج الذي يحتاجه الصغار لفهم والتلقــي وهــي تقدم واقعا استاتيكيا لا حياة فيه ولا حركة بعيدا عن مقومات عالم الطفل التي تحقق له اشباعا للرغبات غير المسموح بها ، أو تلك التي لا يقــدر على اشباعها في الواقع ، كما تفتقد في أغلبها النزعة الإحيائية التي تتمثل في إضفاء الحياة على الكائنات مما يفقدها الحركة - فنجدها مثقلة بكــم زائد من الحوار والتعليق .

ومن ناحية أخرى - يجب إلقاء الضوء على أهمية الكتاب للطفل فيجب توفيره بسعر زهيد - فإذا راجعنــا ســجلات المكتبــات العامــة ومكتبات المدارس لودنا أن عدد من يستعملون هذه المكتبات لا يقــارن عددهم بمثيلهم منذ سنوات مضت ، ومعنى هذا أن عــادة القــراءة فــي تدهور مستمر ، وحين نتحدث عن القراءة هذا لا يعني الكتب المدرســية (المقررة) فهذه تأتي تحت بند التربية الشكليــة (التعليــم الرســمي) ، فالتعليم أساسه مناهج موضوعة وكتب مقررة أما التعليم فــهو مــتروك للاختيار الشخصي ، ولقد كانت الدولة في يوم ما تهتم بتنميــة القــراءة

وكان التلاميذ يهتمون بالقراءة بين التلاميذ ، فكانت تقرر كل عام كتبا كما كان يسمى بالقراءة الحرة باللغات العربية والانجليزية والفرنسية ، كانت تقام مسابقات كل عام ترصد لها جوائز مالية .

بهذه الطريقة انتشر حب القراءة الحرة قدر اهتمامهم بالدروس الرسمية ولكن ... الآن ... ماذا يحدث ؟؟؟

إن الآباء والأمهات لم يقصروا في شراء الكتب لأبنائهم فحسب بل أن عدد كبير منهم ينهر الأبناء حين يرونهم يقرؤون كتابا خارج منهج الدراسة ، ويقولون لهم .. " بدلا من تضييع الوقت في هذا الكلام الفارغ اذهب واستذكر دروسك فهي أفضل .. "

أما عن وسائل الإعلام المرئية والمسموعة وطريقة تعاملها مع الصغار فهي الآن تقدم برامجها مصحوبة بالضوضاء " الشوشرة " مما يجعل الطفل لا يتلقى الرسالة وإذا تلقاها لا يفهمها ، ولقد ظهر هذا واضحا أثناء الاحتفالات باليوم الدولي للطفل ، فإن غالبية البرامج وإن لم تكن جميعها لم تستطع أن تصل الى الطفل ،مما يوجب على وسائل الإعلام غرس روح الابتكار والاحساس بالجمال في نفوس الأطفال وتنمية النشاط الفني لديهم .

وبالنسبة للثقافة العلمية للطفل ، فإن كتب الطفل تتميز صفة فريدة .. فهي على الرغم من أنها خاصة بالطفل .. إلا أنها وثيقة الارتباط بالكبار ، فهي تكتب وتراجع وتباع وتشترى وتقرأ بواسطة الكبار ، واحيانا ما تكتب وفي مخيلة الكاتب أن قراءها من الكبار .

والشروط التي يجب أن تتوافر فيما يقدم من ثقافة علمية للطفل هي :

- أن تكون مقروءة بواسطة الطفل بعيدا عن الكتب المدرسية التقليدية فيما يسمى بالتعليم الحر .
- أن تحتوي كتب الأطفال حتى الخيالية والأدبية والقصصية منها على قدر ولو يسير من العلم .
- أن تؤثر في المستوى الثقافي للطفل فتجعله متميزا بوضوح عن قرينه الذي يعتمد على الكتب المدرسية فقط .

وهناك عدة أسئلة تطرح نفسها في هذا الصدد .. من يقدم الثقافة العلمية للطفل المصري ؟ وكيف تخصص هؤلاء الكتاب في هذا الفرع ؟ وما هو الحافز الذي دفعهم الى ذلك ؟ وهل هناك رقابة على ما يقدم للطفل ؟

ولنشر الثقافة العلمية بين الأطفال في مصر يجب تخصيص نسبة ١٠٪ من انتاج دور النشر للطفولة سواء لما يكتب لها أو يكتب عنها .. وفي المقابل يجب على الدولة أن تشجع هذا الفرع باعفاءات جمركية وضرائبية مطلقة لكل من يتناول ويقدم للطفل ، ووضع ضوابط الاشراف بواسطة العلماء المتخصصين على المادة المقدمة للصغار. كما يجب القيام بعمل دورات تدريبية للمعلمين خصوصا في المرحلة الأولى من التعليم وذلك للارتقاء بالمستوى العلمي لهم . ويطالب ايضا بأن تقوم

الهيئات العلمية المتخصصة بمراجعة النصوص العلمية التي تقدم للإذاعة والتلفزيون مراجعة دقيقة حتى لا يقدمان للأطفال مادة علمية خاطئة .

*** الكتاب مؤسسة تربوية :**

بداية .. إن الثقافة الواسعة والقراءة الواعية تجعل القاري ذا فكر ثاقب وعقل مميز لما يقرأ ، وتأتي هذه الثقافة الواسعة الجادة في المقام الأول عن طريق الكتاب ، والفكر الثاقب والعقل المميز يكون لدى صاحبه حصنا واقيا لما يسمى بالتلوث الثقافي الذي يسعى الغرب وبع المستشرقين الى بثه في كتبهم وتصديره إلينا وخاصة ما يمس المعتقد والفقه ، مما يشكل خطرا كبيرا على النشء واتجاهاتهم .

فمن هنا تظهر أهمية القراءة بعمق وكثافة ووعي وتركيز ، فكل كتاب يقرأه الفرد يضيف لحياته وخبراته حياة المؤلف وخبراته ، فبالقراءة يستطيع القارئ أن يعيش حيوات كثيرة بعدد من قرأ لهم .

ويتعدى دور المطالعة فتح العيون على الواقع ، الى وعي القلوب وتعدى هذا الواقع بنظرة مستقبلية للتعرف على ما يدور حول الانسان في بيئته المحلية والبيئة الخارجية . لذلك كان الانسان المثقف واع من جهة ومبدع من جهة أخرى ، واقعي في تفكيره ، منسق مع ناموس الحياة والكون ، ذو نظرة نفاذة ، وينعكس ذلك على المجتمع ، فيتغلب على كل ما يتصدى من عقبات ، يتخطاها متخلصا من المشاكل سواء

كانت داخلية المنشأ أو خارجية المورد ، عن طريق معالجتها بإشعاعات العقل الواعي ، وذلك لأن الإطلاع ينمي العقل ليصل الى الحقيقة .

*** الكتاب رمز وحدة العرب الفكرية :**

الكتاب هو الأداة التي تعكس فكر الشعوب ومقدار تطورها وتقدمها كما يوضح جوانب حضارتها بالإضافة الى الدور الخطير الذي يلعبه الكتاب كوعاء للثقافة ، وسجل لجوانبها المتعددة . وقد كان الكتاب وسيظل أهم وسائط حفظ التراث وتداوله بين الأجيال المتعاقبة ، وسيبقى الكتاب هو السجل الأمين لحركة الفكر والثقافة والعلوم لكل أمة ولكل شعب .

والثقافة عنوان رقي الأمة ، ومرآة تتجلى فيها نهضتها وروحها وميدان تتبارى فيه الأمم عامة في سبيل رفعة الإنسانية وإشاعة التفاهم بين الناس والمشاركة في بناء الحضارة الخالدة .

فالأمة العربية الكبرى عريقة في الحضارة وهي مهبط الأديان ، ومهد من المهاد الأولى للفكر والثقافة ، وقد تحالفت عليها في الحقبة الأخيرة عهود من الاحتلال والاستعمار طمست روحها وبلبلت افكارها وشوهت معالم تاريخها ، وعملت في إصرار دائب على الوقوف في سبيل تحقيق الوحدة العربية الكبرى ، التي تهفو إليها نفوس العرب جميعا إلا أن الحيوية لهذه الأمة النادرة المثال ظلت تضطرم الى أن بدأت الآن تقوم قومتها المأمولة بإذن الله . فأخذت يد الاصلاح تدب في جميع مرافقها ، وتجلت هذه الحيوية وأخذت هذه الأمة تتبوأ من جديد مكانتها

المأمولة بحكم موقعها الجغرافي الفريد وماضيها العريق .

وهذه النهضة كغيرها من حركات الاصلاح والبناء لا يمكـــن أن تكتمل إلا إذا كفلت للشعب العربي على لختلاف طبقاتـــه ومســتوياته ، الغذاء الروحي الذي لا يقل شأنا عن الغذاء المادي ويتطلب ذلك تخطيطا واسع النطاق يسير على نهج مدروس ويستعان فيــه بجميــع الكفايــات العلمية والثقافية والفنية التي ترصد له الأموال اللازمة .

فالثقافة في العصر الحديث الذي ارتقى فيه العلم ارتقاء عجيبا ، ومضى ركب الحضارة يسابق الزمن وتقدمت أسباب التكنولوجيا تقدما مذهلا كاد يقضي على حدود الزمان والمكان ، هي عنوان لحيــاة زاخــرة معقــدة متشابكة متعددة الجوانب دائمة التغير .

وقد كثر الحديث عن بناء الانسان الحديث وقـــامت حركــة فــي أمريكا وهي أغنى البلاد وأقواها ، ترمي الى بناء الانســـان الأمريكــي الحديث على اساس من الوعي الثقافي وما أحرانا اليوم أن نؤمن بالثقافة ذلك الإيمان الذي نجده عند الدول الراقية التي سبقتنا في ميدان الحضارة أجيالا وأجيالا .

ولا شك أن الوعاء الأكبر للثقافة هو الكتاب ، والذي يلعــب دورا أساسيا في تاريخ الفكر الانساني ، وعن طريقه توارثت الإنسانية مراحل التطور وكتب للإنسان أن يتابع الخطى في مدارج النهضـــة والتقــدم ، وللكتاب الفضل في ربط الأمة العربية بالفكر والمنطق والعقيدة واللسان .

*** صياغة اللغة :**

كتاب الله وقرآنه الكريم صاحب الفضل الأول ما إلتزمه الكتاب العربي في حدود أدت الى وحدة اللغة المنطوقة والمكتوبة بل وحدة الشعور والفكر ، فظل تيار الوحدة القومية قائما لا تؤثر فيه عوامل الزمن ولا المحن ، فينتهز الفرصة المواتية لينهض وينطلق .

*** المعوقات التي تحول دون انتشار الكتاب العربي :**

١- الأمية بأنواعها سواء الهجائية أو أمية المتعلمين .

٢- عوائق مرتبطة بعملية نشر الكتاب ومنها :

(أ) عدم وجود رابطة وثيقة بين الناشرين العرب تجمعهم على خطة وهدف مشترك تتجه إليه جهودهم ويهدف إليه نشاطهم العام .

(ب) نقص الدراسات العلمية والاحصائية في موضوع الكتاب وأنواعه واتجاهاته ومجالاته العلمية والاقتصادية وخاماته ووسائل انتاجه وتسويقه ونشره .

(ج) ضعف وسائل التعريف والاعلان عنه .

٣- صعوبات اقتصادية .

*** التوجيه الثقافي والوعي الانساني :**

إن التوجيه الثقافي ضرورة من ضرورات الوعي ، حتى يكون الاطلاع هادفا ، يبني ولا يهدم متناسقا مع العقيدة والمثل العليا والأخلاق الحميدة ، فإن الكتب والمجلات الهابطة والهدامة في عصرنا لها انتشار غريب ، لذلك كان التوجيه الثقافي واجبا

من واجبات المربين والآباء والمسئولين ، خاصة في مرحلة المراهقـــة ، لأن كتابا واحدا قد يهدم شابا ،ويبقى التوجيه ما بقي النشء في حاجة إليه حتى إذا ما استطاعوا التمييز بين الضار والنافع ، يفسح لـــهم المجـــال لقراءة ما يريدون .

فالانسان الواعي هو من يكون مستقلا في قراءاته ويستطيع اختيار ما يريد ويهتدي بخبرة المفكرين الذين أودعوا الكتب نتاج عقولهم وثمار تجاربهم ، فتزداد خبرته وتتسع آفاقه وتكثر معارفه .
فالنشء الذي نما وعيه بالمطالعة لديه القـــدرة علـــى الوثـــوب لتخطـــي الأخطاء والعقبات التي بها يتحقق التقدم . وهذا ما يجعل كل جيل يضيف جديدا الى الجيل الذي سبقه لبناء حضارة مستقبلية متجددة .
والمطلب الملح هو أن يقدم ما يجعل للنشء الزاد الثقافي الذي يتناســـب وعصر غزو الفضاء ، وزاد ثقافي يفتح الآفاق لجعل الشباب يتطلعـــون دائما للأمام .

*** أثر الذاتية الثقافية في الوعي الثقافي :**

تتسع الثقافة اتساع الحياة
البشرية فتشمل كل نشاط انساني وسعي اجتماعي تصورا وآراء ، انتاجا وارتقاء ، وعلاقات روحية واجتماعية فـــي جوانـــب الحيـــاة الماديـــة والمعنوية . وقد تؤخذ في الحدود المتعارف عليها في الاستعمال الأدبـــي لتعبر عن جانب من جوانب النشاط الفكري فيضيق وعاؤهـــا ويضمـــر دورها ،ومهما يكن من أمر ، فإن اللغة .. أي لغة تظـــل قلـــب مفـــهوم الثقافة . فالذاتية الثقافية تتمثل فـــي الـــتراث الفكـــري ، وفـــي الرؤيـــة

الحضارية عبر اللغة القومية ، وفوق ذلك فإن تحقيق هذه الذاتية وتنميتها هو السبيل البكر الى المشاركة الايجابية في الثقافة الانسانية في عمليات التبادل والتعاون مع الثقافات الأخرى ، لأنه إذا لم يكن لديك ما تعطيـــه فإنك في عملية التبادل تكون في موضع المتلقي والآخذ ، وهذا يفضي في عاقبة الأمر الى طمس الشخصية فوق ما يعبر عنه من موقـــف ســلبي وعجز عن الاندماج في التقدم العالمي .

فليس هناك إذن تعارض بين تنمية الذاتية الثقافية وبين التفتح على الثقافات الأخرى والتعامل معها من موقف الند القادر ، فإهمـــال تـــأكيد الذاتية الثقافية دعوة الى الانسلاخ الاجتماعي والى الاغتراب الفكـــري ، وهي أمور تعانيها شعوب كانت ذات يوم مصدرا من مصادر الاشعـــاع الثقافي .

إن المثل الواضح عبر التاريخ ، هو أن العمل الفكري والثقافي لا يحمل جنسية سياسية وإنما يحمل جنسية حضارية ، ينتسب الى اللغة التي انتج بها والى المناخ الثقافي لتلك اللغة ، ذلك أن اللغة ليست رموزا وحســـب ولكنها فكر ، وليست شكلا وحده ولكنها كذلك مضمون متلازم ومتكامل معه ، فالانسان يفكر بالنمط الحضاري للغة التي يتكلم بـــها . وإن مـــا يكتب من أثر علمي أو أدبي بلغة ما يحسب في رصيد تلك اللغة ويصبح جزءا من تراثها ، ومن هنا تتضح الصلة العضوية بين الذاتيـــة الثقافيـــة وبين اللغة القومية .

*** لماذا انصرف هذا الجيل عن الثقافة ؟**

شباب هذا الجيل ابتعـــد عـــن

مناهل الثقافة الصحيحة المطورة ، ينفر من الكتاب الدسم ، ويرى عـــدد غير قليل من هذا الباب أنه هراء ومضيعـــة للوقــت دون جــدوى . أن يمضي فراغه أو جزءا منه في القراءة الهادفة ، قراءاته سطحية قـــد لا تتعدى الصحف اليومية والمجلات المسلية . يكره القـــراءة الهادفـــة لأن أساليب التعليم في مدارسنا وجامعاتنا نجحت في أن تنفره مـــن الكتـــاب لكثرة الاحتفاظ بالمعلومات الجامدة التي تتفاعل مـــع فكـــره وميولـــه ، مدارسنا وجامعاتنا تقتل في شبابنا حب القراءة والمفروض أنها تغـــرس فيه هذه العادة وتنميها ، وهذا الصنف إن قرأ بعد تخرجه مـــن الجامعـــة فهو يقرأ في مجال تخصصه وكثيرون لا يقرؤون حتى في هذا المجال ، ويكتفي في عمله بالمؤهل الذي ألحقه بهذا العمل ويتجمد عند هذا الحد . إنهم يعيشون أمية ثقافية مخجلة ..

وهناك قطاع آخر من الشباب زهد في القراءة ، بعد أن كان يقبل عليها قبل لأن تشغلهم الحياة المادية وتكاليف الحياة ، فنجد فـــي بيـــوت هؤلاء الشباب بعد أن أصبح لهم حياة مستقلة عن والديهم _ التليفزيـــون والفيديو – وقد خلت من الكتب وذلك لأنهم يفضلون شغل وقتهم بما يعود عليهم لمواجهة مطالب حياتهم المادية لأن شغل الوقت بالقراءة والاطلاع لا يمد بايجاز الشقة أو يعني بمتطلبات الحياة ، فهؤلاء الشباب يريحـــون رؤسهم بعد عناء العمل ويرون أن الثقافة مجرد نشاط يمضون به وقـــت الفراغ قبل تحمل مسئولياتهم المادية ويرون أنه مـــن الأربـــح مشـــاهدة مباريات أو فيلما كوميديا أو مسلسلة تلفزيونية ، فهذا كله أربح من قراءة كتاب .

وللأسف أنه يمكن القول أن أتعس قطاع من الشباب في وقتنا الحالي هم هؤلاء الذين انغمسوا في القراءة وجروا وراء ميولهم الثقافية ، إن أكثر الناس استمتاعا بالحياة الآن الذين لم يسمعوا كلمة الثقافة ولا يعرفون لها معنى ، فهناك شباب لهم ميول أدبية وفنية توقفوا عن ممارستها ، فمنهم من يقرض الشعر ويكتب القصة والبحث الأدبي وغيرها ، يقرأ ويدرس كل ما يمكن من اكتساب مختلف الثقافات وطرق التفكير والحياة ويجعله يساير روح العصر .وهؤلاء أصيبوا بالإحباط وآثروا العزلة والانعزال ، لأنهم وجدوا أننا نعيش أزمة صدق وإبداع وحرية تعبير . فلم يعد لحملة الأقلام المخلصة الجرأة على نقد التقاليد البالية والأفكار الرجعية ، بل أن كثيرا من حملة الأقلام ينساقون الى تأييد ما يعرفون أنه يخالف ضمائرهم ، ابتعد الكثير عن الصدق والاخلاص والموضوعية فيما يكتبون وآثر الصادقون الانعزال طالما أنهم لا يستطيعون أن يتصدوا ضد كل ما يعوق حركتهم في أن يقدموا جديد وأن يخلقوا فنا وفكرا يتصاعد شرارته في واقع جامد متحجر . فانعزلت المواهب الجديدة وحرمنا الاضافات الخصبة للثقافة تحت وطأة الارهاب الفكري الذي عانينا منه طويلا .

فنريد اسلوبا للحياة يعطي الشباب فرصة المشاركة البناءة ويقوي ولاءه لوطنه ويظهر من القيادات المفكرة الواعية المجددة ما نحن في امس الحاجة إليه . ومصر تودع حاليا جيل الرواد الذي مارس العمل التقدمي والابداعي ومارس الفكر الحر المنطلق في كل شئون الحياة الأدبية والفكرية والفنية والقومية والاقتصادية . جيل الرواد الذي أوشك على الأفول الذي ربى جيلا واعيا متفتحا . كل حبه وولائه لمصر وعاش من

أجل مصر ورقيها وتقدمها ، منّ علينا هذا الجيل بطه حسين ، ولطفي السيد ، والعقاد ، و عبد القادر المازني ، و محمد حسنين هيكل ، و أحمد أمين ، مصطفي عبد الرازق ، و عبد العزيز فهمي ، و طلعت حرب ، وتوفيق الحكيم ، وزكي نجيب محمود ، ومصطفى أمين وغيرهم ، فهؤلاء اعتمدوا أسلوب مواجهة الحقائق والتحليل العلمي ، وكان هؤلاء ولاؤهم لمصر كبير وكان أثرهم كبيرا في إعداد الشعب لطفرات تقدمية كبيرة وإطلاق قواه الكامنة وكل همهم بناء الانسان المصري بناءا كاملا راقيا ، وسلكوا به طريق التطور الاجتماعي والفكري والاقتصادي والسياسي ، وكان أسلوبهم أسلوب الصراحة والوضوح الفكري ، حاربوا كل الأوضاع التي تشكل الأمر الواقع المتخلف وعجلوا بكل إخلاص لنقلنا من مرحلة العجز والسلبية الى الحركة الايجابية وأبو على تقديم كل ما ينمي في أمتهم النظرة المستقبلية والانتقال من ركود التخلف الى حيوية النمو وإجراء التغيرات الكبيرة ، بثوا في النفوس احترام القيم السليمة التي زيف فيها ، جعلوا جيلهم يتطلع بإصرار لعالم جديد يعيد فيه بناءه الفكري والاجتماعي والسياسي والاقتصادي على اسس متقدمة وعادلة ، كان لهم أثرهم الكبير في تنشئة جيل من الرجال الذين يستطيعون بناء دولة متقدمة متحضرة . جعلوا المواطن المصري يخلع القيود الفكرية والاجتماعية ويتطلع الى عقله وإرادته في بناء مستقبل افضل .

فهذه هي عظمة القيادة الفكرية التي تهتم ببناء الانسان حتى يستقيم أي بنيان بعد ذلك . فالصفوة القادرة على الابداع هي المؤهلة للقيادة عن

طريق التقدم لأن تطوير المجتمع لا يتحقق إلا من خلال تغير المفـــاهيم السائدة فيه والقيم المسيطرة على سلوكه والأفكار المطروحة للحوار بين أبنائه ، وتلك كلها عمليات لا ينجزها إلا نخبة ممتازة من أهـــل الــراي والفكر والأدب ، لأن المطلوب هو الارتقاء بالمجتمع الى آفـــاق أســمى ومراتب أعلى ، حتى لا تدور حركته في فراغ ولا تتحول مسيرته الـــى تراكمات لا أثر فيها للامتياز والإبداع والتفوق .

فكانوا بمثابة رواد الفكر التقدمي يوجهون الوجهة الحضاريـــة الســليمة ويبثون الأفكار التي تواكب العصر وتربي العقـــول وتنضـــج القلــوب وتنمي الفكر وتسمو بالوجدان والانسانية وتجعل النشء يقدس القيم الطبية التي حرم منها شباب هذا الجيل .فجيل الرواد يفهم القيم الروحيـــة فـــهما سليما مغايرا تماما لفهم هذا الجيل . ولكن يمتاز هذا الجيل عـــن الجيـــل الســـابق في أمور كان الجيل السابق لا يحبها ولا يفكـــر فيـــها مثـــل : الهجرة في طلب الرزق ، وعدم النفور من العمـــل الحرفـــي والحـــر ، والانصـــراف عن الوظيفة الحكومية إذا وجد مصـــــدر رزق افضـــل ، ولكن كان الجيل السابق أكثر تقديرا للقيم الانسانية وأقوى انتماء لمصر . كان جيلا يقدر الثقافة ويجد في طلبها لأنها سبيل تجدد الحياة وتطورها . فالثقافة الجادة تدفعهم الى البحث عن قيم جديدة تغير المفـــاهيم الجـــامدة وتحدد الاتجاهات والنظرة للحياة . لم يتهافت على المادة بقدر سعيه على الثقافة الهادفة التي تنضج العقول وتهذب الوجدان وتدفـــع الـــى الســـمو بالأنفس وبالواقع ، ونحن هنا نرى أنه لابد من حدوث تغيير في عقـــول الشباب واتجاهاتهم حتى لا نستيقظ ونجد أنفسنا نعيش في حدودنا الفكرية والاجتماعية والاقتصادية الضيقة ، ولا أريد أن أقول المتخلفة .

*** المكتبة ودورها في الوعي القرائي والثقافي :**

لم تعد المكتبة في العصر الحديث هي المبنى والأساس فحسب ، بل أصبحت – المعنى والأساس – الذي تنشأ المكتبة لتحقيقه . ولم تعد المكتبة هي الكتاب الذي يوضع على رفوف المخازن ، بل هي المعلومات التي تحتويها الكتب والمراجع والمجلات العلمية ، بحيث تكون هذه المعلومات حاضرة وسريعة أمام طالبيها , ولم يعد أمين المكتبة هو امين مخزن للكتب . بل متخصص في علم المكتبات والاعلام العلمي ، مختص في المعلومات على درجة من التأهيل العلمي يسمح له بارشاد الأستاذ الجامعي والمعلم والطالب والجمهور العام على اختلاف مستوياتهم التعليمية والثقافية .

ولقد أصبحت المكتبة في مفهومها التربوي الحديث جزءا لا يتجزأ من العملية التعليمية ذاتها .جزءا من البرنامج الدراسي والمنهج التعليمي على مختلف مستوياته ، من الواجب في وطننا العربي أن يكون لدينا تخطيط مكتبي وتوثيق مدروس مرتبط عضويا ووظيفيا بالتخطيط الاجتماعي والتعليمي والعلمي والاعلامي . تخطيط متكامل من شأنه أن يكون الشخصية المتكاملة . لا من حيث المادة الدراسية التي يمكن أن تستوعب فحسب بل من حيث المادة الدراسية كمنطق لمزيد من المعلومات والمعرفة .

فمن هنا نجد أن للمكتبة دورا كبيرا في حياتنا لما يلي :

١- إن وجود المكتبة في البيت و المسجد وفي المجتمع الذي ينتمي إليه النشء مهم جدا ، فهي تساعده في الوصول الى الحقائق وتكوين

عادات القراءة والمطالعة ، ووجود المكتبة بالمنزل وتعلق الأسـرة كلها بالكتاب والمكتبة من شأنه أن يقيم علاقة أسرية اجتماعية افضل ومن شأنه أن يكون لدى النشء عادة حب الكتاب والبحث والإفادة منه والتنقيب فيه ، فالقراءة ضرورة ملحة تمدنا بما نحتاجه من معلومات لتطوير مجتمعنا وحل مشكلاته .

ذلك لأن التطوير أساسه رأس مال البشري ، ولا يمكـن أن يتـم هـذا التطور إلا إذا أسهم كل منا ولو بقدر قليل من المعلومات المتطورة التي تعمل على حل مشكلاته . كما أن القراءة فضلا عن ذلك تتصل بالبنـاء السوي للشخصية . فالكتب تكتسب الكثير من دلالتها إذا ارتبطت بشـيء في حياتنا ، أي أنه لا ينبغي أن يكون لدينا مكتبـة لاسـتكمال وجاهـة المنزل فحسب ، بل إن القراءة الواعية من شأنها أن تكـون الجمـهور الايجابي الواعي الذي يمكنه الاسهام في مجتمعه من النواحي الاجتماعية والسياسية والثقافية والعلمية وغيرها .

٢- المكتبة العامة هي احدى وسائل الاعلام الجمـاهيري الـى جـانب الإذاعة والتلفزيون والصحافة ، وهذه الوسائل من تلفزيون وإذاعـة وصحافة تحتاج الى مكتبات منظمة علمية غنية بـالمراجع والأفـلام والمجلات وغيرها ، حتى تكون قادرة على دعم الاتجاهات الفاضلـة لدى النشء والجمهور وأن تحمل رسالتها التعليمية كذلك فضلا عـن رسالتها الترويحية .

فعلى المكتبة العامة أن تكون جزءا حيا مـن كيـان المجتمـع ، وعليها أن تجعل من نفسها قوة ايجابية دافعة تبرز دائما المسائل العامـة

التي تهم أفراد البيئة المحيطة بها ، وذلك من خلال إقامة معارض للكتب والمعلومات وطبع قوائم مطالعات وتوزيعها وعقد جلسات بحث ومناظرة ودراسات ، وعليها أن تستشير ميول القراء . كما عليها أن تربــط بيــن نشاطها ونشاط الهيئات التعليمية والثقافية والاجتماعية الأخرى كالمدارس والجامعات والمتاحف والنقابات والنوادي والجمعيات العلمية ومنظمــات مكافحة الأمية .

٣- إن استخدام المكتبة في مدارسنا ومعاهدنا وكثير من جامعاتنــا هــو استخدام أسمى لا فعلي . وهنا نتساءل عن الأســباب التــي جعلـت الشباب بعيدا عن القراءة والكتاب ، ونتساءل عــن حــال المكتبــات العامة ومكتبات الجامعات ، وكيف أنها خاوية لا يدخلــها النــشء او الشباب إلا إذا طلب منهم بحث .

إن قضية انصراف الشباب عن القراءة الجادة هي في الحق قضية قومية ، ينبغي أن يساهم فيها جميع المعنيين في دوائر التعليــم والثقافــة والصحافة والنشر والأسرة بالجهود والحلول العملية التي يمكن أن تؤدي دورها في تعميق روح القراءة لدى النشء والشباب وتوجيههم التوجيــه السليم . ولقد انعقد شبه اجماع على أن من أهم اسباب هذا الانصــراف هي اساليب التعليم في كافة مراحله ، تلك التــي ترتكــز علــى كتــب المقررات والمناهج ، ولا تكاد تعني بالكتب والمواد التثقيفيــة الأخــرى تفرغا لنجاح في الامتحانات والفوز بالشهادات العامــة والجامعيــة ثــم الوظيفة (حكومية أو غير حكومية) مما أثمر كله مقترنا بـــالاعتراض عن القراءة الجادة في نطاق الأسرة ذاتها والمجتمع الخارجي تقريبــا -

هذا الاسترخاء الفكري الذي جعل الكتاب في غربة شبه تامة حتى كانت هذه الظاهرة الخطيرة المؤثرة ولا شك في حياة الجيل الحالي والأجيال القادمة من الشباب فضلا عن تأثير الأمية الفاشية ، وقد تضافرت على ذلك عوامل كثيرة لعل أبرزها ظروف حياتنا الغريبة سياسية واقتصادية واجتماعية وما صاحبها من انصراف جماعي الى ما بعد عند السواد الأكبر اهتماما اوجب - باساسيات الحياة وضرورات العيش ثم فتور حركة نشر الكتب الجادة وغلاء أسعار الكتب لأسباب اقتصادية وغير اقتصادية ، فضلا عن مغريات التلفزيون والإذاعة والسينما وموجة الانحلال المصري واللامبالاة السائدة . فكان تحالف هذه العوامل جميعا هو الذي أدى الى نكسة فكرية خطيرة في حياة النشء الشباب العقلية ، نريد له أن يبرأ منها .

وقد كان من الطبيعي أن يرى المعنيون بأمور الفكر والثقافة أن العلاج الأمثل هو السعي لغرس ملكة القراءة لدى النشء والشباب في مراحل التعليم جميعا بتوثيق الروابط الفكرية بين المربين وبينهم على امداد هذه المراحل والعناية الصحية بالمكتبات المدرسية والجامعية طبقا للأساليب الحديثة تأصيلا لنزعة القراءة في نفوسهم مع بذل عناية متماثلة في دوائر الأسرة لكي يشبوا متألقين للقراءة والتزود من المعرفة بنصيب موفور .

وإذا كان الأخذ بهذا العلاج سوف يستغرق جهودا ووقتا ينبغي ألا يضن المعنيون بشئون التعليم والثقافة بشيء في رسم السياسة الطويلة المدى لتحقيق هذا الهدف الكبير حتى ينشأ الجيل الجديد مطبوعا على

حب القراءة وحتى يخرج الى الحياة العامة مزودا بما يؤهله لأداء رسالته الفردية والقومية بنجاح أوثق .

ولكن ماذا عن الجيل الحالي ، من والنشء الشباب المنصرف عن القراءة وكيف السبيل الى جذب اهتمامه بالقراءة والمعرفة علــــى نحــو جدي اكبر ، فإذا كان العلاج الطويل المدى سوف يستغرق وقتـــه ولـــن تظهر آثاره البارزة أول في الجيل الناشئ فليس من العدل ولا من السداد ترك الجيل الحالي يمضي في إعراضه الماثل محروما مـــن مجـــالات سريعة جادة لربطه بموكب التقدم الفكري الثقافي ، ولعل أبرز ما يعيـــن على ذلك وسيلتان :

الأولــــى : تقديم الكتاب النافع في شتى فروع المعرفة بثمن مقبول .

الثانيــة : تعاون دور النشر العامة والخاصة والمؤسسات الصحفية في تنفيذ خطة جماعية لنشر الكتب على النطاق الشعبي الذي يجعل المـــادة المقررة الصالحة في متناول النشء والشباب خاصة . وسواء القـــارئين عامة . قياسا على ما تفعله دور النشر العالمية من نشر أمهات الكتـــب في طبعات رخيصة ولا سيما كتب عباقرة الفكر الانساني لأن في هـــذه الكتب عباقرة يخاطبوننا ويزودوننا بأثمن أفكارهم ويصبون في أرواحنـــا أرواحهم .

وإذا كنا صادقي العزم في سعينا لتثقيف النشء والشباب فليس من المستحيل والمتعذر عقد مؤتمر من دور النشر والمؤسســـات الصحفيـــة لدراسة خطة قومية لنشر الكتب بكل تفصيلاتها التخطيطية والتنفيذية بما يؤدي الى نشر الكتب التثقيفية المختارة على نطاق دوري واســـع يســـد

الفراغ الحالي ويقدم للقارئ الناشئ والشباب وغيرهما زادا فكريـــا فـــي حدود مستطاعه المادي . ولو عقد مثل هذا المؤتمر برعايـــة واشـــتراك الهيئات الرسمية من معاونة مادية ومعنوية لا شك سيكون لـــها آثارهـــا المنشودة في تذليل الصعاب التي لابد منها في مثل هذا العمـــل القومـــي الضخم ، وذلك لتقديم الكتب في شتى مجالات المعرفة بأيســـر صـــورة ممكنة الى نشء وشباب طال انقطاعه من الانتهال من الموارد الثقافيـــة بحكم ظروف كثيرة يكاد لا يكون له ذنب فيها وحده ومن الحق علينا أن نعوضه عما نعوضه فاته فينبغي السرعة والمبادرة من جانب المسئولين عن النشر في كافة الميادين والاستجابة من جانب النشء والشباب الـــذي هو معقد الآمال في كل الظروف والأحوال .

ونعود ثانية لدور المكتبة حيث أن العصر الحديث يتسم بـــالتطور والتغيير المستمر وانطلاق المعرفة والفكر البشري انطلاقا لم يعرف لـــه التاريخ مثيلا من قبل . فالاكتشافات العلمية تتابع بسرعة خارقة وميادين الاختصاص تتزايد وتتداخل وتتباعد . وفي القـــرون الأخـــيرة اســـتطاع الانســـان أن يصل الى قدر من العلوم والمعرفة يزيد على مـــا حصـــل عليه في آلاف السنين .

إن معدل المعرفة البشرية يتزايد حتى أن بعض العلماء يقـــدرون أن سجل المعرفة يتضاعف في كل عشر سنوات أو أكثر قليلا ، وهذا ما يطلق عليه انفجار المعرفة والمعلومات ،وأصبـــح هـــذا الانفجـــار فـــي المعلومات المتدفقة من خلال المصادر المختلفة وعلى وجه الخصـــوص الجديدة منها . كما أصبح من المستحيل على أي باحث مشتغل بـــالبحث

في مجال محدود من مجالات المعرفة أن يستوعب عن طريق القـــراءة والتلخيص أكثر من جزء بسيط جدا من انتاج المعلومات في تخصصـــه الدقيق ، بل يستحيل عليه في أحيان كثـــيرة فحــص عنــاوين مصـــادر المعلومات التي تهمه مباشرة . ومن هنا ظهرت الحاجــة الملحــة الـــى وجود الخدمات التوثيقية التي تهدف في المقام الأول الى تجميع وتنظيـــم وتحليل وتخزين واسترجاع المعلومات وخدمتها والاعلام عنها . والمكتبة لها دور في تنمية القدرات على البحث والوصول الى المعرفة .

*** أسباب عزوف النشء والشباب عن الكتاب :-**

١- ارتفاع أسعار الكتب التي تقدم المادة النافعة والزاد الفكري للنـــشء والشباب .

٢- ظهور وسائل الاعلام المتمثلة في الراديـــو والتلفزيـــون والســـينما والمسرح والفيديو وكذلك الصحف .

٣- يقاع الحياة السريع الذي لم يعد يسمح للقارئ بالانكباب على الكتـــب وقراءتها وفهمها واستيعابها نظرا لقسوة الحياة ونظـــرا لأن ارتفـــاع دخل الفرد والأسرة أصبح المطلب الأساسي .

ويمكن القول : أنه لم تعد القراءة في الوقت الحاضر حلية يتجمل بها الانسان ، ولكنها أصبحت إحدى المهارات الضرورية التي يجـــب أن يكتسبها كل فرد في المجتمع واصبحت عبارة " القراءة أوســـع ابـــواب المعرفة " شعارا يرفعه رجال التربية وينادون به ويعملون علـــى تـــأكيد مفهومه في ميدان العمل التربوي . إذ أن المعرفـــة الانســـانية تعـــددت

جوانبها وتشعبت فروعها وكثرت ميادينها وأصبح الشخص المثقف في مجتمعنا الحاضر مطالبا بتحصيل هذه المعرفة ومتابعتها حتى لا ينعزل عن التيارات الفكرية والثقافية التي يطرد نموها وتقدمها ولا سبيل الى ذلك إلا عن طريق القراءة ، ويضاعف من أهمية القراءة بالنسبة لأي شعب أن تقدم المجتمعات في الوقت الحاضر يقاس بمدى قدرة أبنائها على القراءة وممارستهم لها . ولهذا تهتم المجتمعات المتقدمة بتعلم أبنائها القراءة ، وتحرص على أن يمارس كل شخص فيها القراءة وتهيئ لهم المادة القرائية والزاد الفكري الذي يستثير فيهم الرغبة للقراءة مثل الكتب والصحف والمجلات والنشرات وغيرها .

وينبغي أن تكون أهمية القراءة والوعي الرائي والتثقيف واضحة أمام المدرسة والأسرة والمسئولين في الواقع التي تقوم بالإشراف على النشء الشباب ، حيث أن النمو المتكامل في جميع جوانب الشخصية هو المطلب المنشود ، وتلعب القراءة دورا بعيدا في تحقيق هذا الهدف ، ومن هنا تظهر العناية بإعداد مادة قرائية تتوافر فيها عناصر التشويق والتنوع وتضمين هذه المادة القرائية كثيرا من العناصر الثقافية التي يحرص المجتمع على تزويد أبنائه ، وهذا يؤدي الى فهم المقروء وكسب المعلومات وزيادة الثقافة والانتفاع بها في مواقف الحياة .

**** تربية الطفل العربي .. بين الثقافة والاعلام :**

رغم كل ما سبق .. إلا أنه على المستوى العربي توجد جهود ملموسة لمحاولة الوصول الى مستويات طيبة من التنشئة السليمة للأطفال ورفع مستوى المؤسسات التي تتعامل مع الأطفال .

ويعد إنشاء المجلس العربي للطفولة والتنمية بأهدافه التي تسعى لتحقيقها أحد اللبنات في سبيل بناء هياكل مؤسسية قادرة على المساهمة في صياغة جهد عربي متكامل للنهوض بالطفولة العربية ، كما أن الثقافة بأجهزتها ووسائلها تعد الأساس الأول في تكوين طفل عربي متفتح عقليا بما يكفي لمواكبة ثورة العلم والمعلومات التي يشهدها العالم اليوم .

وبالنسبة للثقافة العلمية للطفل ، فإن كتب تثقيف الطفل تتميز بصفة فريدة ، فهي على الرغم من أنها خاصة بالطفل إلا أنها وثيقة الارتباط بالكبار ، فهي تكتب وتراجع وتباع وتشترى وتقرأ بواسطة الكبار ، بل وأحيانا ما تكتب وفي مخيلة الكاتب أنها قراءها من الكبار.

والشروط التي يجب أن تتوافر فيما يقدم من ثقافة علمية للطفل هي :

- أن تكون مقروءة بواسطة الطفل بعيدا عن الكتب المدرسية التقليدية فيما يسمى بالتعليم الحر .
- أن تحتوي على كتب الأطفال حتى الخيالية والأدبية والقصصية على قدر ولو يسير من العلم .
- أن تؤثر في المستوى الثقافي للطفل ، فتجعله متميزا بوضوح عن قرينه الذي يعتمد على الكتب المدرسية فقط .

وهناك عدة اسئلة تطرح نفسها في هذا الصدد :

من يقدم الثقافة العلمية للطفل العربي ؟ وكيف تخصص هؤلاء الكتاب في هذا الفرع ؟ وما هو الدافع والحافز الذي دفعهم الى ذلك ؟ وهل هناك رقابة على ما يقدم للطفل العربي ؟

ولنشر الثقافة العلمية بين أطفال العرب يجب تخصيص نسبة ١٠٪ من انتاج دور النشر للطفولة سواء لمل يكتب لها أو يكتب عنها ، وفي المقابل يجب على الدولة تشجيع هذا الفرع بإعفاءات جمركية وضرائبية لكل من يتناول ويقدم للطفل . ووضع ضوابط الاشراف بواسطة العلماء المتخصصين على المادة المقدمة للصغار. كما يجب القيام بعمل دورات تدريبية للمعلمين خصوصا في المرحلة الأولى من التعليم وذلك للارتقاء بالمستوى العلمي لهم . ويطالب ايضا بأن تقوم الهيئات العلمية المتخصصة بمراجعة النصوص العلمية التي تقدم للإذاعة والتلفزيون مراجعة دقيقة حتى لا يقدمان للأطفال مادة علمية خاطئة .

وتشير الحلقة الدراسية " نحو مستقبل ثقافي افضل للطفل العربي " الى أنه على الرغم من الأهمية البالغة لكتب الأطفال في اشباع حاجاتهم ونموهم عقليا ووجدانيا ، فإن كتب الأطفال تعاني عدة مشكلات في الوطن العربي مثل : قلة عددها وعدم صلاحيتها تربويا وارتفاع أسعارها . هذا بالإضافة الى أي مدى توجد مؤسسات متخصصة في نشر كتب حكومية أو خاصة ومدى إصدار سلاسل كتب أطفال ونوعيات محتوى الكتب وأشكالها وتوزيعها ووجود مكتبات متخصصة للأطفال ؟

وتشير الدراسات التي طبقت عام ١٩٨٨ في ١٣ دولة عربية هي (مصر - العراق - السعودية - الامارات - السودان - موريتانيا - الصومال - قطر - الأردن - سوريا - البحرين - اليمن الجنوبي) الى وجود مؤسسات متخصصة في نشر كتب الأطفال في خمس دول بنسبة ٣٨٪ ، في حين توجد مؤسسات تنشر كتب الأطفال بالإضافة الى

الأعمال الأخرى في ١٢ دولة بنسبة ٩٢,٣٪ ، وتصدر سلاسل لكتب الأطفال في ٦١,٥٪ من عينة الدراسة ، ويتمثل محتوى هذه المنشورات في الروايات والقصص والكتب الدينية والعلمية بنسبة تتراوح بين ١٣ - ١٥٪ ، ويأتي بعد ذلك كتب المغامرات والكتب الفنية وكتب الرحلات وكتب الأدب والفن الشعبي بنسبة تتراوح بين ٦ - ٨ ٪ ، أما عن وجود مكتبات متخصصة لاطلاع الأطفال فقد تبين أن ٥٣,٨٪ من الدول العربية يوجد بها مكتبات يتركز فيها ٧٢٪ في العاصمة ، ويوجد كتاب متخصصون في الكتابة للأطفال في ٦٩,٢٪.

وتأتي أهمية دراسة أبواب وأركان الأطفال في الجرائد والمجلات العامة في أنها لا تشكل عبئا ماديا على الأسرة التي تشتري هذه الجرائد والمجلات ، وتزايد إقبال الأطفال على هذه الأبواب ضمن المضامين الأخرى .

وقد أثبتت الدراسة وجود أبواب للأطفال في ٩ دول بنسبة ٦٩,٢٣٪من العينة وهي (مصر - الامارات العربية المتحدة - السعودية - العراق - الأردن - البحرين - سوريا - الصومال) في حين لا توجد أبواب للأطفال في ٤ دول بنسبة ٣٠,٧٪ وهي : (جيبوتي - اليمن الجنوبي - موريتانيا - فلسطين) .

- وفي مجال اصدار مجلات الأطفال ، هناك ١٠ دول تمثل نسبة ٧٦,٩٪ لا تصدر في ثلاث دول وهذه المجلات والجرائد تصدر عن مؤسسات صحفية خاصة بثقافة الطفل . ويرجع عدم صدور هذه

المجلات للأطفال الى أزمات مالية أو عدم وجود متخصصين ، وضعف المادة المنشورة ،وضعف التوزيع ، وقطع الدعم الحكومي وعدم مساندة الجهات الرسمية .

- أما في مجال السينما فقد بينت الدراسة أن ١٢ دولة واصلت دورها حتى الوقت النهائي للبدء في تفريغ البيانات ، وهذه الدول هي : (مصر - جيبوتي - العراق - سوريا - الأردن - قطر - الامارات العربية - موريتانيا - الصومال - البحرين) كما أن هناك ٨٨,٣٪ من الدول تعرض افلاما للأطفال ، في حين لا تعرض في جيبوتي وموريتانيا بنسبة ١١,٧٪.

- وفي مجال المسرح حيث تكمن أهميته في كونه وسيلة اتصال مباشرة وفورية وتتميز بسهولة مخاطبة الجمهور وخصوصا عندما يكون موجها للطفل حيث تزداد أهمية درجة تأثيره وبعثه للحماس والتجاوب في نفس الطفل .

- وتشير الدراسات الى وجود المسرح المدرسي في الدول العربية بنسبة ٥٥,٦٪ منهم ، يعملون طوال العام ، ويستعان فيها بالصغار والكبار في ٨٨,٨٪ من الدول ، في حين تعتمد على الكبار في ١١٪ منها ، ولا يوجد مسرح يعتمد على الصغار فقط .

- وفي مجال الإذاعة المسموعة تشير الدراسات الى قلة الاستماع الى برامج الأطفال الإذاعية في الدول العربية ، حيث لا تتعدى ١٩٪ على أحسن الأحوال ، وتصل الى ١,٧٪ في بعض الدول العربية مع قلة

الوقت المخصص لبرامج الأطفال وغياب التنسيق بين الخدمات الإذاعية المختلفة ووجود خلط بين ما يجب أن يقدم للصغار والناشئين وللأطفال وحشر المعلومات حشرا في برامج الأطفال .

وتتدرج الأهداف التي تسعى برامج الأطفال الإذاعية لتحقيقها في :

- توجيه الأطفال الى الأنماط السلوكية المقبولة .
- تنمية ملكات الطفل العقلية وتنشيط مداركه وتنمية معلوماته .
- تنمية الروح الوطنية عند الأطفال .
- التسلية الترفيه .
- تطوير التعلم الذاتي لديهم مع تأكيد الارتباط بالعالم الخارجي .
- اشباع الحاجات النفسية وتدريب الذاكرة وقوة الانتباه عند الأطفال .
- تنمية المهارات اليدوية لديهم .

*** الميكروكمبيوتر يغزو البيت المصري :-**

بعد التلفزيون والفيديو ... بدأ جهاز كمبيوتر صغير .. ميكرو كمبيوتر Micro Computer يغزو بيوتنا المصرية وهو رغم دقة حجمه فإنه يمكن لأي فرد استخدامه وعمل البرامج المناسبة لحياته دون الحاجة الى معاونة من خبراء متخصصين .

وإقبال الشباب على شراء الميكرو كمبيوتر والاستغناء به عن الألعاب التلفزيونية والتي تعرف باسم " الأتاري " فإن الكمبيوتر يمتاز عنها بإمكانية إدخال إضافات وبرامج من تأليف الشباب أنفسهم .. من برامج مسلية بسيطة مثل رسم طائرة أو ضفدع ، ويستطيع مع الممارسة

ومع اكتساب بعض الخبرات والمهارات أن يجعل هذه الرسومات تتحرك وتطلق أصواتا ، كما يمكنه رسم بعض الأشكال الزخرفية وتلوينها بألوان مختلفة ، ويقضي وقتا ممتعا في إعادة التلوين ومزج الألـــوان ، وذلــك بالإضافة الى اشباع هواية الموسيقى ، فيمكن أن يؤلف مقطوعة موسيقية بواسطة برنامج بسيط يؤلفه بنفسه ، وعن طريق أسلوب المحاولة والخطأ يمكنه أن يعدل في البرنامج كما يشاء ، ويعيد سماعه حتى يحصل علــى النغمات الصحيحة التي تروق له .

*** ألعاب الخيال العلمي :**

من بين الألعاب المسلية التي يقبل عليها الشباب الآن في مصر ويستخدمها في الميكرو كمبيوتر هي ألعاب الخيال العلمي مثل المغامرات داخل منجم أو في أعماق البحار أو الفضاء ، ومواجهـــة الصـــعاب والأخطار المتنوعة ويتعرف اللاعب في كل حالة لينقذ نفسه وليحصل في النهاية على درجات التعزيز ومنها أيضا ألعـــاب التوعيـــة غير المباشرة مثل قيادة السيارات ، ومواجهة مشاكل نفاذ الوقود وأخطار السرعة والانضباط المروري ، أو قيادة طائرة ومتابعة ظروف الملاحة من خلال أجهزة متنوعة تظهر على الشاشة .

*** الكمبيوتر والمدرس الخصوصي :**

وعن طريق جذب التلميذ من خلال ممارسة الألعاب المسلية يمكن أن نستخدم الميكرو كمبيوتر في البرامج التعليمية للتدريب وتنميـــة المهارات والاستذكار والحفظ ، وهو هنا لا يكون بديلا عـــن المـــدرس الخصوصي ، ولكنه يعتبر وسيلة مشجعة على الاستذكار ومعلم اللغات .

مراجع الفصل الثالث

١- ابراهيم إمام : الاعلام الإذاعي والتلفزيوني ، دار الفكـر العربــي ، القاهرة ، ١٩٧٩.

٢- ــــــــ : الاعلام والاتصال بالجماهير ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩.

٣- ابراهيم زكي خورشيد : قضية الكتاب العربي ، مجلــة الفيصــل ، العدد ٢٤ ، مايو ١٩٧٩ .

٤- المختار بنعبد لاوي : الثقافة العربية ومعطيات الواقع الراهن والأفاق المنظورة ، مجلة الوحدة ، المجلس القومــي للثقافــة العربية ، السنة التاسعة ، العدد ١٠١/١٠٢، فبراير - مارس ١٩٩٣.

٥- حامد ربيع : دور وسائل الاعلام في التثقيف السياسي ، مركز النيل للاعلام والتعليم والتدريب ، يناير ١٩٨٠ .

٦- حسني شحادة : دور المطالعة في تنمية الوعي ، مجلــة التربيــة ، العدد ٤٨ ، سبتمبر ١٩٨١ .

٧- صلاح الدين جوهر : نحو بيئة تربوية أنقى للإنسان العربي ، جامعة قطر ، حولية كلية التربية ، السنة الثانية ، العدد ٢ ، ١٩٨٢.

٨- عبد العزيز شرف : وسائل الاعلام والتنمية الريفية ، مجلة التربية ، العدد ٦٢ ، فبراير ١٩٨٤ .

٩- عبد العزيز شرف : تكنولوجيا الاعلام والمجتمع الحديث ، مجلة الفيصل ، العدد ٨ ، يناير ١٩٧٨ .
١٠- ـــــــــ : وسائل الاعلام ومستقبل الطفل العربي ، مجلة الفيصل ، العدد ٨ ، يناير ١٩٧٨ .
١١- عبد الغني داود : سينما الطفل - بحث مقدم الى مؤتمر ثقافة الطفل ، جامعة عين شمس ، يناير ١٩٨٥ .
١٢- عفاف طبالة : الاتصال الجماهيري والرأي العام / مركز النيل للإعلام والتعليم والتدريب ، يونيه ١٩٨٠ .
١٣- على عبد الرازق جلبي : المجتمع والثقافة والشخصية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤ .
١٤- عمر الحامدي : الثقافة العربية والنظام العالمي الجديد (الأبعاد الحضارية للمتغيرات الدولية) مجلة الوحدة ، المجلس القومي للثقافة العربية ، السنة التاسعة ، العدد ٩٩ ، سبتمبر ١٩٩٢ .
١٥- فوزية فهيم : التكامل بين الاعلام والتعليم ، بحث مقدم الى مؤتمر ثقافة الطفل ، جامعة عين شمس ، يناير ١٩٨٥ .
١٦- لويس عوض : ثقافتنا في مفترق الطرق ،دار الآداب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٤ .
١٧- مبارك ربيع : وسائل الاعلام الثقافي والابداع الأدبي والفني ، مجلة الوحدة ، المجلس القومي للثقافة العربية ، السنة الخامسة ، العدد ٥٨/٥٩ ، يوليه/ أغسطس ، المغرب ، ١٩٨٩.

١٨- مبدر الويس : المثقفون العرب والمستقبل العربـــي ، مجلـــة الوحـــدة ، المجلس القومي للثقافة العربية ، السنة التاســـعة ، العـــدد ١٠١/١٠٢، فبراير - مارس ١٩٩٣ .

١٩- محمد شرف : الثقافة العلمية للطفل ، جامعة عين شمس ، يناير ١٩٨٥.

٢٠- محمد شقرون : الحركية الاجتماعية والتحولات الثقافية ، شروط انتـــاج الطفل كمشروع ثقافي في المغـــرب ، مجلـــة الوحـــدة ، المجلس القومي للثقافة العربية ، السنة الخامسة ، العـــدد ٥٧ ، يونيو ، المغرب ، ١٩٩٠.

٢١- محمد عثمان : الطفل العربي بين الاعلام والثقافة ، مجلـــة الدراســـات الاعلامية ، العدد ٦١ ، اكتوبـــر / ديســـمبر ، القـــاهرة ١٩٩٠ .

٢٢- محمود محمد سفر : الاعلام موقف ، سلسلة الكتاب العربي السعودي ، رقم ٦٣ ، تهامة للنشر ، جدة ، ١٩٨٢ .

٢٣- محي الدين صابر: دور التعليم العالي في تنمية الذاتية الثقافية ، مجلـــة التربية القطرية ، العدد ٥٠ ، يناير ١٩٨٢ .

٢٤- مسعود ضاهر : ملاحظات نقدية حول شعار " نحو نظام ثقافي عربـــي جديد " مجلة الوحدة ، المجلس القومي للثقافة العربيـــة ، السنة الثامنة ، العدد ٩٢ ، مايو ١٩٩٢.

٢٥- مصطفى عمر التير : الثقافة العربية والتحديث ، خواطر حـــول الـــدور الاجتماعي للثقافة ، مجلة الوحدة ، المجلس القومي للثقافة العربية ، س٩ ، ع ١٠١/ ١٠٢ ، فـــبراير - مـــارس ، المغرب ، ١٩٩٣.

٢٦- موسى سعد الدين : توفير الكتاب للطفل ، بحث مقدم الى مؤتمـــر ثقافة الطفل ، جامعة عين شمس ، يناير ١٩٨٥ .

٢٧- هشام شرابي : مقدمات لدراسة المجتمع العربي ، الأهليـــة للنشـــر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٧٧.

28- Brighues , T.R.P., Problem and Pressuses or Today Management and Administration , Vol . Educational 1 Jun 1993.

29-Gouldemer ,A,W,: The Future of Entellectual and The Bisc of The new class The Seabury Press N.Y. 1970.

30- Gobbons , Mousice , : Walk about ten years Latter : Searching for Raenewed Vision of Education , Phi Delta Kappan , V.6.

31- Thomson , SCOHD. America Rediscover its Schools , NASSP. Bulletin n.470 , may 1984.

الفصل الرابع

التعليم

والثقافة والتربية والإعلام

مقدمة :

يستطيع الإعلام أن يؤدي دوراً خطيراً في عملية التثقيف وذلك لقدرته على زرع قيم متنوعة أو تطويرها أو إعادة تشكيل قيم قائمة في شتى المجالات بما فيها المجال السياسي ومن ثم يكون للإعلام وظيفة إيجابية في عملية التثقيف بصفة عامة والتثقيف السياسي بصفة خاصة .
والسؤال المطروح الآن : ما وسائل الإعلام ؟ فهناك وسائل إعلام حديثة وأخرى تقليدية موجودة بالفعل لا نستطيع إغفالها إذا تكلمنا عن الإذاعة والتليفزيون والصحافة . فالإعلام يجب أن يكون له تأثير كبير ليس من أعلى المجتمع فحسب بل وأيضاً من أسفل ، وذلك بترجمة سياسات الحكومة إلى رجل الشارع والمدرسة والنادي والمصنع وكل تجمع ، وعلى الإعلام أن يميز بين القيم الممتازة والصالحة ويحاول أن يبقي عليها ويقويها ، وكذلك القيم البالية غير الصالحة ، التي لا تتمشى مع روح العصر ، عليه أن يحاول إلغائها وإضعافها ، كذلك على الإعلام التعرف على الرأي العام لإنارة الطريق أمام الحكومات لوضع سياسات ذات قيمة والتعرف على جدواها أو فشلها .

وهنا .. نقصد بوسائل الإعلام كل من الوسائل السمعية كالراديو والوسائل السمعية البصرية كالتليفزيون والسينما والمسرح والفيديو بالإضافة إلى البصرية مثل الصحف والمجلات متناولين أثر هذه الوسائل في نوعية ثقافة النشء حيث أنها وسائل للوعي الثقافي من ناحية وأثرها في التثقيف السياسي من ناحية أخرى ثم دور هذه الوسائل في تحقيق التربية المستديمة .

والبداية ..

١- لفظ الإعلام:

لقد شاع هذا اللفظ كنتاج لحضارة العصـــر وإمكاناتـــه الاتصالية ، وتضرب جذور الإعلام إلى جميع مراحل التطور الإنساني ، مقطوراً معها ، مجدداً في وسائله ، محققاً لأهدافه النابعة من احتياجـــات الجماعة البشرية.

٢ - الإعلام الجماهيري :

"الإعلام الجماهيري " ذات مضمون وذات شكل مضمونها أن الرسالة الإعلامية تكون مبسطة ومصاغة بحيث يفهما أقل مستويات الثقافة ودون جهد ، إعلام رجل الشارع وعلى مســـتوى كـــل مجتمع ، الشرقي، الفرنسي الألماني ، الأمريكي ..الخ .

أما من ناحية الشكل – فنربط الإعلام الجماهيري بستة أدوات أساسية :

١- **الصحافة والإعلام الدولي** : معناها الصحافة والإعلام التي تصـــدر يومياً أو بطريقة دورية ثابتة أو منتظمة ، إعـــلام مكتـــوب يـــأخذ صورة صحيفة أو مجلة ولكن أهم نقطة فيه أنه دوري .

١- **الراديو** : الإعلام المسموع وسنتناوله بالحديث .

٢- **التليفزيون** : الإعلام المرئي المسموع وسنتناوله بالحديث .

٣- **السينما** : سنتحدث عن أثرها على النشء والشباب .

٤- **المسرح** : سنوضح ماله من أثر على النشء والشباب وثقافته .

٥- **أدوات أخرى مكملة** موجودة في العالم الخـــارجي مثـــل الكاســـيت والاسطوانات وكتب الجيب وأخيراً الإنترنت .

حيث تحدث هذه الوسائل نوعاً من البيئة الصورية بين الإنسان والعالم الموضوعي الحقيقي ولهذه النظرة معانيها الهامة عن دور وسائل الإعلام في التربية المستديمة والتثقيف .

وإذا كانت التربية تعمل على تنمية الموارد البشرية فهي تستطيع أن تلعب دور الوسيط الموصل للمعلومات السياسية منها أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو العلمية أو التثقيفية ، ولكنها لا تستطيع أن تلغي دور الإعلام ، كما أن الإعلام لا يستطيع الاستغناء عن التربية .
لذلك .. يُنظر إلى وسائل الإعلام أحيانا على أنها تغلف الإنسان الحديث بنوع من الواقع البديل .. فالمجتمع يوجد عن طريق عملية انتقال أو تحويل ، على حد تعبير " جون ديوي " وهو في هذا على قدم المساواة مع الحياة البيولوجية ، ويتم الانتقال أو التحويل عن طريق عادات العمل والتفكير والشعور من الأكبر سناً إلى الأصغر ، وبدون هذا الانتقال أو التوصيل للمثل العليا ، الآمال ، التوقعات والمسئوليات والآراء من أعضاء المجتمع الذين يوشكون على الاختفاء من حياة الجماعة إلى من يدخلونها ، لن يتسنى للحياة الاجتماعية أن تستمر في البقاء ..

ولو كان الأعضاء الذين يتكون منهم مجتمع ما يعيشون إلى الأبد لتثني لهم أن يربوا حديث الولادة ، ولكنها تكن عندئذ مهمة يوجها الاهتمام أو المصلحة الشخصية أكثر مما توجهها الحياة الاجتماعية ، أما الآن فهي عمل تمليه الضرورة .

وتعتبر التربية المستديمة الغدة الرئيسية للتنمية الثقافية التي تتحكم

في التقدم الاقتصادي والاجتماعي ، وعلى عكس الأنظمة التقليدية التي تركز على ترقية الأفراد وخلق مجالات التنافس فيما بينهم ، تنطوي التربية المستديمة على ترقية الجماعات ، وتبدو الحاجة في هذا الشأن إلى وسائل الإعلام لضمان اشتراك كل الطبقات الاجتماعية في عملية التنمية .

وتوجد وسائل الإعلام نوعاً من البيئة الصورية بين الإنسان والعالم الموضوعي الحقيقي ولهذه النظرة معانيها الهامة عن دور وسائل الإعلام ودور الإعلام هو الترجمة الصحيحة للسياسة في المجتمع ، والسياسة لا تعني السياسة الخارجية وإنما السياسة الصحيحة والسياسة الاجتماعية والسياسة الثقافية والسياسة على مستوى الدولة الخارجية والداخلية .. وبما أن وسائل الإعلام الحديثة موجودة في المجتمع ووسائل الاتصال بين المواطنين متوافرة إذن فالإعلام يجب أن يكون له دور.

وما من شئ اليوم إلا وللإعلام به صلة وثيقة جداً ، حتى لنستطيع أن نقول إن الإعلام والحياة قد أصبحا شريكاً أصيلاً في كل جانب من جوانب الحياة حرباً كان أو سلماً ، له دوره في الاقتصاد ، في الاجتماع حتى في التعليم ، في الأخلاق ، في كل فنون الحياة .

كما تلعب وسائل الاتصال دوراً كبيراً في التغير الاجتماعي والسياسي باعتبارها أداة المعلومات العامة والتعليم وفي عالم يتسم بالتعقيد الشامل ويتضاءل فيه باستمرار دور الفرد في تشكيل الأحداث تصبح متابعة وسائل الإعلام بديلاً عن الاندماج النشط في قضايا وأحداث اليوم . والاتصال من أقدم أوجه النشاط الإنساني ، وقدرة الإنسان على

الاتصال من أقدم الأمور التي تميزه عن غيره من المخلوقات الحية .

ودور الاتصال بالنسبة للإنسان ليس ترفاً بل أنه قد نشأ منذ بـدأ الوجود ، فالإنسان لكل الكائنات في حاجة إلى رسم تصور عـن العـالم المحيط به ويتم ذلك عن طريق اشتراك واشتراك الآخرين حولنـا فـي الأفكار والمعلومات التي تساعدنا على رسم هذا التصور عن العـالم .. ولأن الاتصال حاجة لدى الإنسان فإن وظيفته لم تتغير عـبر الوجـود ، فمهام الاتصال التي وجدت في المجتمعات القديمة هي نفسا الموجودة في المجتمعات الحديثة فوظائف الاتصال منذ القدم لم تخرج عن : الإعـلام ، التوعية ، التعليم ، التثقيف . والتغير الأساسـي الـذي حـدث فـي الاتصال هو الوسيلة أو الأسلوب الذي يتم بـه الاتصـال .. وإذا كـان العصر الحديث يتصف باضطلاع الجماهير وبدور كبـير فـي تشكيـل القرارات فلذلك نحرص أن يكون رأيهم سليماً مبنياً على أسـس سـليمة تسمح بإقرار قرارات سليمة تدفع حركة التطور والمجتمع والتـاريخ ... ووسائل الاتصال تعمل على توفير المعلومات التي تساعد على النقـاش في المشكلات أو التفكير فيها .

وترى الأستاذة عفاف طبالة أن مهمة الإعلام تتلخص فيما يلي :-

١- نشـر الحقـائق كاملة دون حجب جزء من المعلومـات عن الشعب (امتداد حقيقي للحواس)

٢- التوعية وتفسير الحقائق والمعلومات بحيث لا تكون بشكل دعـائي ، ولكن تسمح لكل وجهات النظر أن تتفتح والبقاء للأصدق .

الأثر التربوي للإعلام

وهو أثر غير مباشر يحيطـــه الغمـوض ، ولا يمكن للتربية أن تقوم التربية وحدها بــه ، فـالإعلام المتصـل بالبيئـة الطبيعية البشرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والذي يعني بالوسائل العملية ينطوي على نوع من التربية التي تهتم بتحليل الأشياء الطبيعيـة والثقافية وبهذا تقترب من المواد الدراسية التقليدية ، ويـؤدي التكـامل بين الحياة اليومية والمعرفة إلى :-

- مفهوم للتربية يستطيع بمقتضاها كل من الأطفال والمراهقين والكبـار من رجال ونساء في المدن والريف على السواء أن يستكشفوا معنى ومتطلبات الوظائف والمواقف التي يتعين عليهم اتخاذها والقيام بـهـا باعتبارهم مواطنين وأصحاب مهن وأرباب أسر .
- ورباط يربط بين الجميع وهو الثقافة ، أي الشعور الداخل بالانتماء إلى نفس الخط في الحياة والعمل والفكر ، يقوم على أساس ماض واحـد وقيم وأهداف مشتركة .
- استخدام وسائل الإعلام وخصوصاً التليفزيون ، يتيح الفرصـة لأول مرة للتربية لكي تتفاعل مع البيئة الاجتماعية ، باعتبـار المدرسـة عنصراً من عدة عناصر لبناء واسع كبير هو التربية المستديمة .

إن ضرورة التعليم والتعلم لاستمرار وجود المجتمع من الوضوح بحيث يبدو أن ذكرها تحصيل حاصل .. ولكن تبرير ذلك مصدره كمـا يقول " جون ديوي " أن : " هذا التأكيد إنما هو وسيلة للإفـلات مـن المعنى المدرسي الصوري للتربية ، فالمدارس في الواقـع سـبيل هـام

للتحويل أو النقل الذي يشكل استعدادات غير الناضجين ، ولكنها سبيل واحد ، وسبيل سطحي نسبياً إذا ما قورن بالعوامل الأخرى " .

ولن نتأكد من وضع الطرق المدرسية في سياقها الصحيح إلا إذا أدركنا ضرورة سبل للتعليم أوفر حظاً من الدوام والأهمية .. إن المجتمع لا يكتب له الاستمرار عن طريق الانتقال أو التحويل أو الاتصال فحسب بل يجوز القول أنه يوجد في الانتقال أو التحويل ..وفي الاتصال فالصلة أكثر من لفظية بين كلمة "مشترك" و" مجتمع محلي " و" اتصال" Communication .. فالناس يعيشون في مجتمع "محلي " بفضل ما بينهم من أشياء "مشتركة " والاتصال هو الطريقة التي بها يتملكون الأشياء المشتركة وما لابد أن يكون مشتركاً بينهم لتكوين "مجتمع محلي" أو أي مجتمع على العموم هو الأهداف والمعتقدات والمطامح والمعرفة . أي الفهم المشترك . مثل التماثل العقلي كما يقول الاجتماعيون .
" وهذه الأمور لا يمكن نقلها بدنياً أو مادياً من شخص إلى آخر كقوالب الطوب ، ولا يمكن التشارك فيها على نحو ما يتشارك الناس في فطيرة باقتسامها قطعاً مادية ، فالاتصال الذي يضمن المشاركة في الفهم المشترك إنما هو اتصال يضمن الاستعدادات الانفعالية والذهنية المتماثلة مثل طرق الاستجابة للتوقعات والمتطلبات أو المقتضيات .

ولفظ التربية يعني في أصله اللغوي عملية التنشئة ، ولكن حينما نقصد حاصل هذه العملية ، فإننا نعني بالتربية التشكيل والصياغة للطفل في صورة نمطية من النشاط الاجتماعي .
وهنا يلعب الإعلام دوراً كبيراً في تحويل نوع أو كيف الخبرة حتى

تشارك في الاهتمامات والأغراض والمثل العليا الجارية في الجماعة الاجتماعية . ولكن مشكلة الإعلام هي اكتشاف الطريقة التي يتمثل بها الصغير وجهة نظر الكبير أو التي يتمكن بها الكبار من جعل الصغار يماثلونهم عقلياً .

وتأسيساً على هذا الفهم ، يمكن القول إن إصدار حكم قاطع فيما يتعلق بوسائل الإعلام من حيث ضررها أو صلاحيتها للأطفال أمر عسير ، ونذكر هنا قول الجنرال " دافيد سارنوف " في الكلمة التي ألقاها بمناسبة منحة درجة علمية شرفية من جامعة نوتردام " إننا نميل كثيراً إلى اعتبار الأدوات التكنولوجية كبش فداء الأخطاء التي يرتكبها أولئك الذين يستخدمونها . إن إنجازات العلم الحديث لا يمكن أن تكون خيراً أو شراً في ذاتها ، إن طريقة استخدام هذه الإنجازات هي التي تحدد قيمتها " فهناك من البرامج ما يكون له أثر ضار على بعض الأطفال في بعض الظروف ولكن بالنسبة للأطفال آخرين ، وفي نفس الظروف السابقة أو بالنسبة لنفس الأطفال في ظروف مختلفة ، قد تكون هذه البرامج نفسها ذات أثر طيب .

وسائل الإعلام واللغة (في المجلة الطفل وعادات اللغة)

فوسائل الإعلام من خلال الاتصال اللغوي تتيح للطفل تمثل العادات اللغوية . ذلك أن استخدام اللغة لتوصيل الأفكار واكتسابها -كما يقول ديوي - إنما هو امتداد وارتقاء للمبدأ القائل : إن الأشياء تكتسب المعنى عن طريق استخدامها في خبرة مشتركة أو فعل مشترك ، وأنه لا ينتهك هذا المبدأ بأي حال من الأحوال . وعندما لا تدخل الكلمات

كعوامل في موقف مشترك ، إما صراحة أو بطريق الخيـال فـهي إذن منبه مادي محض ، ليس ذا معنى ولا قيمة فكرية ، ولكن طرق الكـلام الأساسية ، وكتلة المفردات ، إنما تشكل باتصـالات الحيـاة العاديـة ، والتي تعرضها وسائل الإعلام ، فالطفل يكتسب لغة الأم بطريق مبـاشر وبطريق غير مباشر من وسائل الإعلام ، فقـد أظـهرت الأبحـاث أن الملاحظة البسيطة للآخرين يمكن أن يكون لها تأثير قـوي فـي تغيـير بعض جوانب السلوك الاجتماعي مثل استعداد الطفل لمعاونة الآخريـن وقدرته على إظهار سيطرة ذاتية ، وتعلمه لقواعد اللغة .

وهنا يمكن أن تصحح وسائل الإعلام بطريق غير مباشر عادات الكـلام التي تكتسب من قبل ، فالطفل يلاحظ ويتذكر أسلوب الكبار فـي الكـلام والتعبيرات التي يستعملونها والطرق التي يقدمون بمقتضاها المسـاعدة ، ويكتسب معلومات مما يراه ، أي أن التعلم بالملاحظة يحدث فـي هـذه الحالات .

" إن وسائل الإعلام ، تلعب دوراً أساسياً في تزويدنا بالمعلومات والآراء التي نبني بفضلها صورة للعالم المحيط بنا ، وأنها توسع عالمنا وإطارنا الدلالي وتجعلنا نهتم بأمور لا نستطيع أن نعرفها بالتجربـة المبـاشرة ، لذلك يقال دائماً أن أكثر من ٧٠٪ من واقع الفرد في المجتمع الحديث مستمد من وسائل الإعلام " .

وسائل الإعلام وآداب السلوك:

لقد دفع الانتشار السريع والتقدم الـهائل في تكنولوجيا الإعلام الحديث ، خبراء التربية وعلـم النفـس وعلمـاء

الاجتماع إلى الاهتمام بتحليل الآثار المباشرة للبرامج الإعلامية وبخاصة ما يصل منها عبر الإذاعة والسينما والتليفزيون إلى الجماهير .
ولقد أثار هذا الاهتمام مناقشات وجدال طويلين حول التأثيرات التربوية للبرامج الإعلامية ولكن من منظور ميكانيكي بحيث يهتم بدراسة العقل ورد الفعل للبرامج الإعلامية على النمو المعرفي وسلوك الأفراد .
وأدرك الكثيرون من هؤلاء المهتمين بقياس الأثر الإعلامي أن الإعلام بكل مضمونه ومحتواه يعتبر واحداً من مؤثرات بيئية متغيرة ومتعددة تسهم في تغيير اتجاهات الأفراد وسلوكهم بطريقة تدريجية ، وأن هذا التأثير يختلف في مداه باختلاف الظروف الاجتماعية والثقافية والنفسية للأفراد الذين يتعرضون لمحتوى البرامج الإعلامية .

ويذهب علماء النفس إلى أن الطفل عندما يبلغ الثانية أو الثالثة من عمره لا يعي من آداب السلوك إلا قليل ، بل أنه لا يعرف ماذا تعني هذه الآداب .

ولقد ظهرت أن ملاحظة الأطفال للأطفال الآخرين في فيلم ما ، تحدث مستوى مرتفعاً من التعلم للسلوك غير المألوف وتزيد استعداد الأطفال للمشاركة ، وتقلل ردود الفعل التي تنطوي على نفور أو خوف بشكل كبير ، وتقول (دورثي و. باوزخ) إن أفضل طريقة هي ألا نطالب الطفل بعبارات المجاملة ، لأن كل عبارات المجاملات والتحيات لا تحمل الطفل الصغير من المعاني إلا القليل .. إن الطفل قد يقول مع ذلك كل هذه المجاملات والتحيات بطرقته الخاصة ، فقد يقول " صباح الخير " أو "من فضلك " أو " أشكرك " بابتسامة جذابة أو نظرة معبرة

أو لمسة يد تحمل الود أو الصداقة أو حتى بواسطة تعبير أو إفصاح عن الرضا . فإن هذه كلها وسائل اتصال صادقة نابعة من القلب . وبدلاً من أن نفرض عليه هذا النوع من السلوك ، فإن الأفضل أن نسلك نحن هـذا السلوك معه ، فنقدم له صورة دقيقة لآداب السلوك بأن نكون مثلاً يحتذي وبذلك نتيح له حرية اختيار أنواع الآداب التي يرغب في محاكاتها ، فإذا ترك وشأنه فإنه سيقتبس تدريجياً الآداب التـي تناسب مرحلـة نمـوه الخاصة ، ويشرع في أن يقول " من فضلك " أو " أشكرك " أو " صباح الخير " الخ .. كما يستعمل هذه المجاملات والتحيات بصورة لبقة طبيعية وسرعان ما تصبح هذه العبارات تعبيراً عن نفسه ، لا صورة لا معنـى لها فرضت عليه فرضاً ، غير أنه يحتاج إلى وقت حتـى يصـل إلـى مرحلة الآداب التي يتحلى بها الكبار ، إذ أنه لا يصل إلى هذه المرحلـة دفعة واحدة ، إن الطفل سوف يتعلم الكثير من هذه الآداب والمجـاملات على أحسن وجه إذا ما انتظرنا حتى يكـون مسـتعداً لتعلمـها مـهيئاً لممارستها واحتمال اكتساب السلوك الجديد لدى الطفل ، بدون ممارسـة أو الإقبال عليه مباشرة له نتائج هامة في فهم تأثير التليفزيون وفـرص التعليم الأخرى بالملاحظة ، فإذا تعلم الطفل سلوكاً جديـداً يصبـح فـي مقدوره الإقدام على ذلك السلوك حينما يجد نفسه في ظروف يكون فيـه ذلك السلوك مجزياً أو يخدم أهدافه الخاصة وبالرغم من أن التعلم قـد لا يدفع الفرد بالضرورة إلى القيام بعمل ما ، إلا أنه يجعل في الإمكان القيام باستجابات اجتماعية قد لا تكون متوفرة لديه لولا هذا التعرض .

معنى هذا أن التعرض لدلالات جديدة " عنيفة " قد يغير شكل السـلوك المحتمل الذي قد يقدم عليه الطفل حينما يثار أو يتعرض للضغط .

فمما لا شك فيه أن الأطفال سوف يتعلمون أشكال السلوك الجيدة -كلمات وتصرفات - من مجرد مشاهدة الآخرين . لذلك فهو يتعلم العدوان من التليفزيون كما يتعلم الأشياء الإيجابية .

وهنا يمكن أن تلعب وسائل الإعلام دوراً أساسياً في آداب السلوك من خلال تقديم القدوة التي تعتبر أقدر من الموعظة في هذا المجال ، فآداب السلوك الحسنة على حد تعبير " ديوي " نتاج التنشئة الحسنة ، أو من باب أولى هي نتاج التنشئة الحسنة والتنشئة تكتسب بالفعل الذي تحول عادة ، استجابة إلى تعود منبه معين أو بالتلقين ، وبرغم التعليم والتصويب المقصودين بلا انقطاع ، إلا أن المناخ والروح الاجتماعية ووسائل الإعلام في البيئة المحيطة بالطفل هي في النهاية العمل الأساسي في تشكيل آداب السلوك ، وآداب السلوك ليست سوى الأخلاق الصغرى أما في الأخلاق الكبرى فالتعليم المقصود أحرى ألا يكون فعالاً إلا بمقدار توافقه مع سير وسلوك من تتكون منهم البيئة الاجتماعية للطفل .

ويذهب الدكتور فريد مان المتخصص في دراسة الانحراف إلى أنه " لم يتضح من أية دراسة نفسية يعتمد عليها أن أعراض الشخصية الانشطارية قد زادت بين الأطفال منذ انتشر استعمال التليفزيون ، وكذلك لم يثبت بالبحث الدقيق أن هناك صلة ما بين ارتفاعه نسبة الانحراف بين الأحداث وبرامج التليفزيون أو عملية مشاهدتها " .

ويقول " إن مدى استجابة الطفل لبرامج التليفزيون ومغزاه النفس ، هو في المقابل لما يحققه من إرضاء حاجاته في مجتمع أسرته ومدرسته وأصدقائه . ويمكن التنبؤ بأن الأطفال الأقل ذكاء ، والأكثر قلقاً والذين

على غير وفاق مع عائلاتهم وأصدقائهم هؤلاء جميعاً يحتمل أن يستغرقوا في مشاهدة التليفزيون كنوع من الهرب أو بقصد إثارة عواطفهم . أما الأطفال الأذكياء والمتزنين والذين على وفاق مع أسرهم فهؤلاء لا يتأثرون بمشاهدة التليفزيون " .

هذه الخواص تكون كامنة في كل عمليات المشاركة في المشاهدة سواء كان ذلك بالنسبة للرياضة أو الفن أو القراءة -ولكن الشيء الهام الذي يتميز به التليفزيون هو -كما يقول شرام - أنه يلتقي مع المشاهدين في جميع المستويات العمرية فيشاهده الأطفال في سن خمس سنوات ، ٣سنوات وحتى الأطفال في سن السنتين يرون برامج التليفزيون ، وفي هذه السنة الأخيرة يكون التليفزيون مجرد بديل عن الأم ، هذه الحاجات التي يحس بها الطفل تنمو وتكبر وتتطور علاقته بأمه . إن هذا النمو في الحاجات يتوقف أساساً وإلى حد كبير على موقف الأم من الطفل وتشجيعها له على القيام بأعمال النشاط وعلى الاعتماد على النفس وإن من أعظم الأمور أهمية في تكوين شخصية الطفل أنه يستطيع في تلك السن إتباع كثير من رغباته وحاجاته عن طريق التليفزيون .

وقد توصلت " هيملوايت " إلى أن الأطفال الذين يفضلون الخبرات التليفزيونية على خبرات الحياة الواقعية ، إذا تركت لهم حرية الاختيار ليسوا إلا عدداً ضئيلاً ، ووجدت أيضاً كما وجد شرام وزميلاه بالمثل أن الأطفال لا يملون أبداً مشاهدة التليفزيون ويميلون إلى مشاهدة ألوان مختلفة من البرامج .

وسائل الإعلام والتقدير الجمالي :

وتستطيع وسائل الإعلام حين تصافح العيون أو الآذان ، أن تقدم موضوعات للرؤية أو للاستماع متناغمة ، ذات أناقة في الشكل واللون والإيقاع ، وحين تفعل ذلك تجعل الطفل ينشأ لديه مستوى أو معيار للذوق .

وقد أثبتت دراسة " شيرام وزميلاه " أن الأطفال في أعلى مستويات الذكاء وأدناها من الذين يشاهدون التليفزيون يلتحقون بالمدرسة وعندهم حصيلة من المفردات الجديدة تعدل ما يمكن تحصيله في سنة بالنسبة لنظرائهم من الأطفال في المجتمعات التي لم يدخلها التلفزيون ، ويضاف إلى ذلك أن طول المدة في مشاهدة التليفزيون تساعد على زيادة حصيلة الطفل في المفردات .

ويحتمل أن يكون فاعلية وسائل الإعلام بوجه عام في استثارة اهتمام الطفل بمعارف جديدة ، وفي زيادة اهتمامه بما هو موجود فعلاً أكبر منها في استثارة الطفل نحو القيام بنشاط خلاق .

وبقدر ما تعمل وسائل الإعلام على تنمية أذواق الأطفال ، يمكن أن نفترض مع " شرام " أنها تدعم نوع الذوق الذي يكتسبه الطفل أثناء القراءة أو الاستماع أو المشاهدة . فإذا كانت البرامج والمواد منوعة بحيث تكفي احتياجات الذوق في مستوياته المختلفة ، وبحيث تعطي الطفل مجالاً كبيراً في الاختيار ، فلن يكون هناك داع للقلق ولكن هناك اختلاف كبير بين برامج التليفزيون مثلاً كما أنها معدة على مستوى

تتقبله الغالبية الكبرى من الجماهير .

وهذا الموقف يؤدي بنا إلى البحث في مشكلة تنمية أذواق الأطفال عند التعامل مع وسائل الإعلام وكيف يتم ذلك ، ويلفت أنظار الآباء والمربين والمفكرين ، إلى توجيه الأطفال لاختيار لما يناسبهم من مختلف ألوان البرامج في التليفزيون . ذلك أن وسائل الإعلام تعمل على تكوين الاتجاهات والميول والآراء وتغذيها بشكل مستمر .

الإعلام وأثره في التنمية القومية :

شهد العقد الخامس من هذا القرن اهتماماً كبيراً بدراسة الدور الذي يمكن أن يقوم به للاتصال بالجماهير في الدول الجديدة في آسيا وأفريقيا بعد الحرب العالمية الثانية ، وبلغت هذه الحركات الاستقلالية أوجها سنة ١٩٦٠ . وقد أجريت عدة بحوث ودراسات ميدانية في الشرق الأوسط وأفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، لمعرفة أثر الإعلام في التنمية القومية ودوره في إشاعة الأفكار الجديدة وحث الجماهير على المشاركة في تنفيذ خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . والبلاد النامية -التي كانت توصف بالمتخلفة قبل ذلك - تنتشر في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، كما يوجد بعضها في أوروبا ذاتها . ولا يتوقف تقدم المجتمع على عراقته التاريخية ، فهناك دول ذات حضارة موغلة في القدم كمصر والصين والعراق والهند واليونان ومع ذلك فهي دول نامية ، وليس توافر الموارد والثروات الطبيعية دليلاً على التقدم ، ويظهر ذلك جلياً عند مقارنة سويسرا التي تفتقر إلى هذه الموارد بدول لأخرى غنية بها ، ولكنها لازالت نامية ، كالبرازيل وإندونيسيا .

ولا يعتبر العنصر أو اللون دليلاً على التقدم أو التخلف ، فهناك شعوب بيضاء تعاني من التخلف مثل البرتغال واليونان ، وهناك شعوب ملونة كالشعب الياباني وصلت إلى قمة التقدم والمدنية . وليست كثافة السكان وتزايد عددهم دليلاً على التقدم أو التخلف ، فالولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي (سابقا) يكتظان بالسكان الذين يتزايد عددهم باستمرار ، ومع ذلك فهما أعظم دول العالم تقدماً ، في حين أن الهند وإندونيسيا والصين تقع ضمن الدول النامية ، رغم اكتظاظها بالسكان الذين يتزايد عددهم عاماً بعد عام .

إن شعوب الدول النامية قد استيقظت من سباتها العميق ، وأصبحت واعية بمشكلاتها وذلك بفضل ما أنشئ من شبكات للطرق والمواصلات فقد أخذت القطارات والسيارات تعبر الطرق من المدن إلى القرى ، وربطت الطائرات عواصم العالم ومدنه الرئيسية بعضها بالبعض ، وعلى هذا الأساس استطاعت الجماهير أن تقارن بين طرق معيشتها وطرق المعيشة في المدن والبلاد الأخرى ، ولاشك أن التقدم التكنولوجي الهائل في مجال الإعلام والاتصال بالجماهير قد ساعد على تفجير نظم الحياة التقليدية ، مما أدى إلى تطلع أهل الريف إلى حياة المدن ، وتطلع سكان البلاد النامية إلى الحياة الجديدة في الدول المتقدمة كما يسرت وسائل الإعلام الحديثة لكافة الشعوب الوقوف على مدى تقدم الدول العصرية الحديثة .

إن زيادة السكان في مصر بمعدل يزيد على المليون سنوياً هو معول هدم جبار للجهود في سبيل التقدم والتطوير . وهكذا تتمثل المشكلة

في ضرورة تحديد أعداد المواليد تحديداً طوعياً ، وهنا يلعب الإعلام أهم أدواره في الإقناع والحث على فهم المشكلات وحلها زيادة الإنتاج والحد من زيادة السكان .

إن جوهر عملية التنمية يكمن في تطوير عقلية الجماهير لكي تدرك الظروف العصرية ومتطلباتها الحديثة . فلابد للمجتمع التقليدي أن يعرف أهمية الإنتاج لبناء المجتمع العصري ، ولاشك أن القطاع الصناعي هو أهم قطاعات المجتمع الحديث حيث تستطيع الآلات أن تعطي منتجات كثيرة باستخدام أيدي عاملة قليلة ، ويحتاج التنظيم الصناعي إلى تقسيم العمل والتخصص في المهارات والتعاون بين الأفراد واستغلال الطاقة الهائلة من القوى المحركة عن طريق اندفاع الماء والاحتراق والكهرباء والطاقة الذرية وغيرها ، وهكذا تتطور المجتمعات وتدخل فيها الصناعات مع ضرورة الأخذ بالأساليب الحديثة في الزراعة .

غير أن المفهوم الاقتصادي الحديث ، القائم على الاستثمار والمراد زيادة الإنتاج ، مفهوم عسير بالنسبة للمجتمعات التقليدية التي توفر الاتجاهات المحافظة وتأخذ باقتصاد الكفاية ، وتمجد الكرم والضيافة وتبالغ في ذلك مبالغة شديدة . ومع ذلك فلا يمكن إنجاز عمليات التنمية إلا عن طريق زيادة الإنتاج والاستثمار ، ولكن هناك عاملاً آخر هو ضبط زيادة السكان وإلا ذهبت ثمار الإنتاج سدى ، لأننا إذا نظرنا إلى واقع الأمور في العالم وجدنا أن معدل زيادة السكان في الدول يأتي على كل ثمار التنمية .وهذه المعادلة الصعبة التي تواجهها الدول النامية

للموازنة بين تنمية الإنتاج وخفض المواليد أو ضبط زيادة السكان يلعب فيها الإعلام دوره الرئيسي في تهيئة الأذهان للأفكار الجديدة ، وتغيير العقلية التقليدية التي تزهو بضخامة الأسرة ، وتبالغ في الإنفاق تمشياً مع العادات السائدة ، ولا تقيم وزناً للإنتاج الاقتصادي .

التنمية وتطوير الشخصية الإنسانية :-

النقطة الرئيسية في مجال التنمية هي تطوير الشخصية الإنسانية من الجمود إلى الحركة ، ومن التقليدية إلى التقدمية ، ومن التواكل إلى الإقدام ، ومن الخوف إلى المغامرة ومن القدرية إلى التجريب ، ومن الضياع إلى التطلع ومن الاستكانة إلى الإنجاز والاعتماد على النفس فالمحور الرئيسي في التنمية هو الناس أنفسهم بأفكارهم وتصوراتهم وقيمهم . ولاشك أن الإطار الثقافي هو الذي يخلق أيدلوجية الأمة . بكل ما فيها من نظرة إلى الماضي والتاريخ وتحليل للحاضر والواقع ، وتطلع إلى المستقبل ، ونزوع إلى العمل الجاد من أجل النهضة والتنمية وتحقيق الأهداف .

ومن الطبيعي أن يكون ذلك كله من أخص ميادين الاتصال بالجماهير ، فالعامل العصري في المصنع الحديث له عقلية تختلف عن العامل الزراعي في الحقل ، والإنسان الجديد يرنو للمستقبل أو يدعوا للتغيير والتطور ، ولا يتعلق هذا التطور بالثقافة المادية وحدها ، بل يتعداها إلى الثقافة غير المادية ، فالتنمية الصحية لا تتعلق بتوفر الأدوية بقدر ما تتعلق باكتساب عادات صحية جديدة ، وعندما ينظر إلى التجارة

على أنها رذيلة وإلى الاقتصاد على أنه خروج عن التقاليد وعندما تنفـق الأموال على الأفراح والمآتم والمآدب بلا حساب وعندما ينظر إلى العمل اليدوي نظرة احتقار يتحتم تغيير هذه الأفكار من أجل خلق ثقافة عصرية وأيدلوجية جديدة تتمشى مع منطق العالم الثالث .

وإذا كانت علميات تطوير الشخصية الإنسانية من العمليات التـي لابد وأن تبدأ من الطفولة الأولى ، فهي تتصل اتصالاً وثيقـاً بالتربيـة والتعليم ، وهما من أخطر أساليب الاتصال بالجماهير ، ومما لاشـك فيه أن التحضر يرتبط بالتعليم أشد الارتباط ، كما أن التحضر والتعليـم من الأركان الأساسية في عمليات التنمية ، ومن ناحية أخـرى نجـد أن الإعلام يساعد على نشر التعليم ويحول دون ارتداد من تعلموا القـراءة والكتابة إلى الأمية .

ولاشك أن ارتفاع نسبة التعليم والتطور التكنولوجـي للمجتمـع ، وإنشاء الصناعات المختلفة ومنها صناعة وسائل الإعلام نفسها ، يـؤدي في نهاية الأمر إلى إصدار الصحف وإقامة شبكات الإذاعة وتشييد دور العرض السينمائي وإنشاء المطابع ودور النش ، وهذا النشاط يتفاعل مرة أخرى مع التعليم فيزيده قوة وثراء ويساعد على انتشـاره بيـن شتـى الفئات والطبقات .

ونتيجة لهذا التفاعل بين التحضر والتعليم والإعلام ، تتطور المؤسسات السياسية والاجتماعية والثقافية ويظهر جو جديد من المشاركة والتعاون الإيجابي ، وينهض الأفراد بواجباتهم الجديدة ، فيختـارون المسـئولين والقادة بالانتخابات في شتى المجالات ويشاركون في اختيار الحكومـات

والهيئات التشريعية وغيرها ، وهكذا يصبح للفرد قوة جديدة مستمدة من الشخصية العصرية التي تتكون في المجتمع الحديث .

أكد لينر دور الإعلام في نشر الأفكار ، وإشاعة الآراء الجديدة بين الجماهير ، مع خلق الجو المناسب للتنمية القومية ، فقد تسائل العالم الهندي " راو *Rao* " عن حقيقة الدور الذي يلعبه الإعلام في التنمية ، وعلاقته بالتطور الاقتصادي وقد كان السؤال الرئيسي الذي طرحه هو

هل الإعلام هو الذي يؤثر في عمليات التنمية أو العكس ؟

وللإجابة عن هذا السؤال ، صمم راو بحثه على أساس عقد مقارنة بين قريتين ، الأولى قرية تقليدية ، يعتمد أهلها على نظام التبادل العيني والمقايضة ويزرعون بالأساليب العتيقة ، والثانية قرية أخذت بأسباب التنمية الاقتصادية والأساليب الحديثة في الزراعة ، وأنشأت بعض الصناعات الخفيفة المتنوعة وقد لاحظ راو ما لاحظه ليرنر ، من أن شق طريق جديد يوصل بين القرية الثانية والمدينة المجاورة ساعد على توافد الغرباء إلى القرية ، واحتكاكهم بالأهالي ، وما لبث أن اقترن هذا الاتصال الشخصي بالاتصال الجماهيري عن طريق الصحف والمجلات والنشرات والأفلام . ولذلك فإن هذا الاتصال قد هيأ الأذهان لتقبل التنمية الصناعية التي جاءت بعد ذلك .

ويذهب راو إلى أن الإعلام الوافد من خارج القرية يساعد على إخراج المجتمع التقليدي من جموده وعزلته ويبشر بالتغيير عن طريق نشر الأفكار السياسية والاجتماعية التي تتدفق من الحضر إلى الريف . فإن الإعلام قوة تعجل من خطوات التنمية ، وتسرع في عمليات التحضر والتطور .

دور الإعلام في التطور :

تلعب وسائل الإعلام دوراً جوهرياً في التحضر والتحول الاجتماعي من المستوى التقليدي إلى المستوى العصري ، وهذا يؤدي إلى دفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية كما أنه يساعد على زيادة دخول الأفراد . وارتفاع مستوى المعارف والمعلومات ، وتقوية الدافع إلى التحصيل والإنجاز والتطلع . ويمكن أن نشير إلى مهمة الإعلام في نشر الحقائق على الشعب مع التوعية وتفسير المعلومات بحيث لا تكون بشكل دعائي ، ولكن تسمح لكل وجهات النظر أن تتفتح والبقاء للأصدق .

وإذا كان العصر الحديث يتصف باضطلاع الجماهير بدور كبير في تشكيل القرارات ، فلذلك يكون الحرص على الرأي السليم المبني على أسس سليمة تسمح باتخاذ قرارات سليمة تدفع حركة التطور والمجتمع والتاريخ ، ولكن تكوين الرأي لا يلتفت حول مشكلة من فراغ ولكن هناك العادات والتقاليد والقيم والنظم السياسية والقيادات في المجتمع ، كل ذلك يؤثر في تكوين الرأي العام ، ويتضح أنه لا يتم التكوين في العصر الحديث بدون وسائل الاتصال التي تعمل على توفير المعلومات التي تساعد على النقاش في المشكلة أو التفكير فيها ، ولكن كيف يمكن تكوين رأي واحد لعدد كبير من المجتمعات ، حيث لا يتم ذلك بدون الاتصال الجماهيري ، فوسائل هذا الاتصال وخاصة الإذاعة والتليفزيون منسقة بخصائصها وإمكانياتها مع هذه المتطلبات .

مشكلات الإعلام في الدول النامية :

يصادف الإعلام عقبات كثيرة في الدول النامية . فإذا أخذنا معيار اليونسكو الذي يقول أن الحد الأدنى للإعلام يقتضي بأن يكون لكل مائة شخص من السكان ١٠ صحف وخمسة أجهزة راديو ، وجهازان للتليفزيون ومقعدان للسينما ، فإننا نجد أن أكثر من مائة دولة نامية تقع دون هذا المستوى بالنسبة لوسائل الإعلام الأربع ، كما تقع ١٩ دولة دون المستوى بالنسبة لثلاث وسائل ، فمئات الملايين من البشر محرومون من الحد الأدنى للإعلام .

في موريتانيا مثلاً ، نجد أن المجلات تطبع خارج البلاد ، وكذلك تفعل بعض الدول النامية الأخرى . وفي الهند يقف تعدد اللغات حجر عثرة في سبيل تقدم الإعلام ، بالرغم من تفوقها في فنون الطباعة والإذاعة والسينما .

وتعتمد معظم الدول النامية على وكالات الأنباء العالمية في الحصول على الأخبار الخارجية ، وفي نشر أخبارها الداخلية . والواقع أن الإعلام الدولي قد أصبح محتكراً في أيدي قليلة ، تملك المال والثروة والعلم والسلطة ، أما بقية العالم فهي محرومة من الإعلام تماماً . فهناك أكثر من ٤٠ دولة نامية ليست بها وكالات للأنباء . وحتى الدول الأخرى التي بها وكالات قومية فإنها تعاني من قلة المال ، وانعدام الخبرة الفنية ، وندرة الصحفيين المؤهلين .

والواقع أنه لا يمكن الفصل بين التقدم الحضاري للدولة وتقدمها في ميدان الإعلام . ففي الدول النامية نجد أن التجمعات الحضرية قليلة ،

بينما يسكن أكثر من ٨٠ ٪ من السكان في الريف ، ويعملون بالزراعة ولذلك تقتصر الخدمات الإعلامية على الأقليات المثقفة من سكان المدن . أما المناطق الريفية فهي تكاد تكون محرومة تماماً من الصحافة الإقليمية المحلية .

ويرجع ذلك إلى صعوبة المواصلات ، وتخلف أنظمة النقل والبريد ، ونقص الكهرباء ، وقلة الفنيين لإصلاح الأجهزة وصيانتها وعدم توفر البطاريات في الريف للاستماع الإذاعي بالترانسستور ، وانخفاض مستوى التعليم خارج العاصمة ، وضعف المستوى الاقتصادي بوجه عام ، ولا يمكن للإعلام أن ينهض في بيئة تعاني من نقص الكهرباء والتعليم .

وتنتعش الأمية بين الدول النامية فتصل إلى ٩٠٪ من السكان ، ولكن هذه الدول قد أخذت على عاتقها منذ استقلالها مكافحة الأمية بجهود صادقة وموفقة ، غير أنه لا أمل في القضاء على الأمية والنهوض بالإعلام إلا بالتحكم في زيادة السكان وضبط المواليد .

ولعل أهم ما تحتاج إليه الدول النامية في نهضتها الإعلامية إعداد طائفة من الإعلاميين المتخصصين في الشروع والتبسيط والإقناع والتأثير في الجماهير . ولكن مما يؤسف له أن الصحافة المحلية لا يكاد يكون لها وجود في الدول النامية . مع أنها في أمس الحاجة إليها فمن المفروض أن تلعب الصحافة المحلية ، أو الإعلام المحلي بوجه عام دوراً أساسياً في نشر المعلومات المختلفة .

والحقيقة أن المجتمعات النامية في مسيس الحاجة إلى الإعلام المحلي ،

وذلك ضماناً لتعبئة كافة القوى والجهود . وإذا تعذر إصـــدار صحـف محلية ، أو إنشاء إذاعات إقليمية ، فلا أقل من الاعتماد على الإعلاميين الذين يقومون بشرح الخطة وتفسير الأساليب العلمية الحديثة عن طريـق الاجتماعات والندوات والاتصال الشخصي الموجه لربط القرية بالأقاليم ، وربط الأقاليم بالمدينة والعاصمة وخلق الشعور القومـي ، والإحسـاس بالمشاركة العامة .

الإعلام قوة حضارية لنشر الأفكار :

الإعـلام قـوة حضاريـة تعمـل بالمشاركة مع القوى الحضارية الأخرى كالتعليم والتنمية لرفع مسـتوى الوعي . يساعد الإعلام على خلق اتفاق عام بين فئات الأمة الواحـدة ، مع تقريب وجهات النظر نحو القضايا الهامة والمشاركة في بناء المجتمع العصري الجديد ولاشك أن جهود الإعلاميين فـي الشـرح والتفسـير ، وتبسيط المعلومات وتقديمها للجماهير ، بطريقة مفهومة وجذابة تجعـل البعيد قريباً ، والغريب مألوفـاً ، وبذلـك تسـري الأفكـار التقدميـة ، والاتجاهات العصرية بين الريف والحضر ، وتترابط أجـزاء الأمـة ، وتمضي كتلة واحدة في طريق التقدم والمدنية ، ولا نسـتطيع أن ننكـر أهمية وسائل الإعلام عموماً منذ بداية القرن الحالي وبلغت تطوراً هائلاً بواسطة الأقمار الصناعية .

والإعلام الناجح يبنى على خطط سليمة مدروسة ، وينسـق مـع التخطيط الشامل للمجتمع من أجل التنمية القومية .. ولكن المهم هـو أن يشعر الناس بأهمية التغير والحاجـة إليـه ، وذلـك بخلـق التطلعـات

والإحساس بالانتماء إلى مجتمع يستطيع أن يحقق التنمية ويصل إلى حياة أفضل . فيقع على عاتق الإعلام مهمة التوعية ونقل الأفكار والمعلومات من مصادرها الأصلية إلى عامة الناس .

فالإعلام هو العملية التي يمكن بها نقل الأفكار العصرية في مجتمع معين ، ونشرها بين الجماهير على نطاق واسع ، ولكي ينجح الإعلام لابد أن نبدأ بدراسة الحضارة السائدة ، والأفكار السائدة بين الناس حتى ينهض الإعلام بمرحلة التوعية ويلفت الأنظار إلى الأفكار الجديدة والاتجاهات المستحدثة .

الإعلام والاتصال بالجماهير :

إن مهمة التنمية مهمة حضارية في المقام الأول ، فتطوير الزراعة والتصنيع والرعاية الصحية ، والإرشاد الاجتماعي ، ومحو الأمية والتعليم ، والمشاركة الإيجابية في الحياة العامة ، تدخل جميعاً في نطاق واحد هو خلق الشخصية الإنسانية العصرية ، كما أنها بالضرورة تؤدي إلى رفع الإنتاج وتحقيق خطة التنمية .

والإعلام ليس مجرد إعطاء معلومات ، ومعارف للناس ، وإنما المقصود هنا عملية تغيير الاتجاهات ، وتحريك الجماعات للعمل في اتجاه معين لتحقيق الأهداف المرجوة ، وليست المسألة استغلالاً للجماهير واللعب بالناس كالدمى ، بل المطلوب هو العكس تماماً فلابد من المشاركة الإيجابية ، وتفاعل الجماهير مع المشكلات تفاعلاً مثمراً .

وخلاصة القول ، أن تدفق الإعلام يشبه تدفق الدم في الشرايين ، وعندما يتوقف الإعلام ، وينعدم الاتصال ، يجف الدم في شرايين المجتمع ، ولكن المهم أن للإعلام دوراً رئيسياً في دفع عجلة التنمية ، والتبشير بالتحول والتغيير ومعاونة التعليم في خلق الحوافز ، والتدريب على اكتساب المهارات . هذا فضلاً عن تهيئة الجو الصالح للمنافسة والحوار ورأينا أن الإعلام عامل أساسي في نشر الأفكار العصرية ، وإشاعة المعلومات الحديثة بنهضة الأمة ، وخلق الشخصية الجديدة التي تتسم بروح التعاطف والتعاون ، ومهما كانت الصعوبات التي تواجه برامج الإعلام من أجل التنمية القومية فلا ينبغي أن تغيب عن أذهاننا مشكلة حيوية جادة ، وهي المحافظة على روح الأمة وثقافتها ، فإن المعادلة الصعبة تكمن في كيفية الحفاظ على الثقافة الأصلية ، والتراث القومي حتى لا تقتلها تيارات التغيير .

والاهتمام بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية أخذ يزد منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، على المستويين القومي و العالمي . ومنذ الحرب العالمية الثانية اتجهت الدراسات المتعددة في علوم الاجتماع والاقتصاد والسياسة والإعلام وغيرها من العلوم الإنسانية إلى تناول مشكلة التنمية والمسائل المتصلة بها بالبحث والدراسة –وأصبح مفهوم التنمية يستخدم في حالتين بالإشارة إلى التاريخ المعاصر .

أولهما : تتعلق بتطور نظام اجتماعي للإنتاج ، يصبح عن طريق التراكم والتقدم التكنولوجي أكثر كفاءة ، بمعنى أنه يزيد من إنتاجية قوته العاملة ككل .

والأخرى : تتعلق بدرجة إشباع الحاجات البشرية ، وفي هذه الحالة نجد عدداً من المعايير الموضوعية : إشباع حاجات أساسية من قبيل الغذاء والملبس والمسكن ، وتوقع حياة السكان ، على أن نأخذ في الاعتبار انحرافات معينة ترجع إلى التركيب الطبقي ، وهو مؤشر يدل على درجة إشباع الحاجات الأساسية .

وهنا تصبح الإشارة إلى نظام القيم أشد إلحاحاً ، نظراً لأن فكرة معينة عن حاجة من الحاجات ، إذا لم ترتبط بالضروريات تصبح غير دقيقة خارج الإطار الثقافي الذي تنتمي إليه ،

ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية اتخذ التفكير في التنمية النقطية التي يبدأ منها الوعي بتأخر بلاد معينة عن غيرها اقتصادياً ، وسرعان ما أضيف إلى ذلك مؤشرات ذات طبيعة اجتماعية مثل وفيات الأطفال ، ودرجة المعرفة بالقراءة والكتابة ...الخ .

وقد ضاعف من أهمية ظاهرة التنمية إذن أنها أصبحت حقيقة اجتماعية وسياسية واقتصادية نتيجة لظهور مجموعة من الدول التي يطلق عليها الاقتصاديون " الدول النامية " ويشير إليها علماء السياسة والاجتماع باصطلاح " دول العالم الثالث "

والتنمية بوجه عام ترتبط بالإنسان ، من حيث الوسيلة والغاية معاً فالإنسان الذي قيل عنه أنه " الموجود المشكل " هو المحور الذي تدور حوله " مشكلة التنمية " بأبعادها المختلفة ، ولن يتسنى للإعلام أن يقوم بدوره في مواجهة هذه المشكلة ، إلا إذا سعى إلى سبر غور الإمكانات

البشرية ، ومقومات الوجود البشري ، وطبيعة استعداداته وحقيقة غاياته ، وطريقة استجابته ، وأسلوب حياته ، وما إلى ذلك ، لأن الإعلام يتعامل مع (الطبيعة البشرية) كطرف أساسي في نظرية الاتصال .

وتعتمد التنمية البشرية على النم الاقتصادي للحصول على المواد اللازمة لتوسيع العمالة المنتجة وزيادة الخدمات الأساسية ، وتستطيع هذه الخدمات بدورها – التعليم الابتدائي والتأهيل المهني والرعاية الصحية الأولية وبرامج التغذية والتخطيط الأسري وتوفير المياه النقية أن تسهم في تحقيق النمو إسهاماً كبيراً .

وليس من شك في أن وسائل الإعلام العصرية يمكن أن تكون ذات تأثير كبير في التنمية .وهذا التأثير ينبع أولا وآجرا من الفهم العلمي لشخصية المتلقي في عملية الاتصال ، فالمتلقي هنا هو النموذج البشري الذي تقوم به التنمية على أكتافه ، وتنهض من أجله ، ذلك أن تقدم أمة من الأمم يعتمد أولا وقبل كل شئ على تقدم شعبها ، فإذا لم تنم الأمة روح الشعب والطاقات البشرية فهي غير قادرة على أن تنمي أي شئ آخر ، مادياً أو اقتصادياً أو ثقافياً ، المشكلة الأساسية لمعظم الدول المتخلفة ليس الفقر في الموارد الطبيعية وإنما التخلف في الموارد الإنسانية ، ومن هنا كان واجبها الأول هو بناء الأفراد أو بناء رأس المال البشري . ومعنى هذا رفع مستوى التعليم والمهارات وبث الأمل في النفوس .

وإذا كانت الدراسات الإعلامية تذهب إلى أن المواقف في معظم الثقافات التقليدية تميل إلى أن تكون عدائية نحو التغيير وتفتقر إلى الدافع

الاقتصادي فإن " كوسوم نير " تقول في ختام بحثها عن أهـــالي القريــة الهندية : (إن إدخال أساليب جديدة من الخارج في هذه الظــروف لــن يساعد إلا إلى حد محدود . فما لم تتبع الرغبة في التغيير وفي مستويات المعيشة من صميم المجتمعات ، فقل أن نجد لهذه الأساليب قبــولا أو أن تستغل استغلالاً تاماً . كما حدث في الطريقة اليابانية لزراعة الأرز مثلاً فلقد أدخلت هذه الطريقة في المناطق التي تزرع الأرز حديثاً ومع ذلــك يندر أن نجدها مطبقة بكاملها في أي مكان)

وعلى نفس المنوال يقول " جون كونديف " :
(أن ثورة التطلعات الصاعدة ستتطلب قدرا كبيرا من الترجمة إلى الدافع الاقتصادي قبل أ ن تصبح قوة مؤثرة للتنمية الاقتصادية ، الدافع يتضمن تغيراً في القيم . ما لم يكن عند المواطن العادي في البلدان النامية الرغبة في تعليم أولاده لدرجة التضحية في هذا السبيل .. فلا يحتمل أن يكــون هناك تنمية تذكر ، لابد من أن ترغب في التعليم وفي الكفايـــة لدرجــة التضحية بوقت الفراغ وببعض العادات من مثل عقد حفلات الزواج ذات التكاليف الباهظة . التدبير و التخطيط يجب أن يصبحا شيئاً شخصياً .

وهنا يتضح دور الإعلام تجاه تعبئة الموارد البشريـــة ، إذ يقــوم بتزويد سكان الريف مثلاً بالمعرفة التي يحتاجونها كي يستقر رأيهم فيما يتعلق بالمسائل الأساسية في الاتجاهات والسلوك ، والاتصال الشخصــي هنا يقوم بدور كبير من خلال الاتصال بين قادة الرأي وسكان الريــف ، وما يتيحه هذا الاتصال من حوار مثمر -كما تقــوم وســائل الإعــلام بتشجيع المواقف والأنماط الاجتماعية والعادات المنتجة .

الإعلام والاستغلال :

إن الأثر الاجتماعي الأساسي للإعلام الحر هو أن يحرر الإنسان من الجهل ومن الاستغلال ، هذا هو ما عنته لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان عندما أسمت الإعلام أحد الحقوق الأساسية . فالإعلام المتداول الوافي - على حد تعبير " ولبور شرام " - مطلوب حتى يشترك في المعرفة أولئك الذين يعرفون والذين لا يعرفون .

وإذا كانت وسائل الإعلام تراعي في جميع الأحوال أن المواد التي تقدمها يجب أن تتفق مع الثقافة الشائعة والمعتقدات الدينية والمذاهب السياسية والمعايير الأخلاقية يجب أيضاً أن تراعي الخصائص الإيجابية في الشخصية وتعمل على دعمها ، وفي الوقت نفسه تحاول تغيير الاتجاهات السلبية التي تراكمت . وهنا يتأكد دور الإعلام الحقيقي في التغيير ، وقد أثبتت بحوث علم النفس الاجتماعي الإقناع بالرأي بالنسبة لموضوع يعرض لأول مرة أمر ميسور ، ويتضح من دراسات الاتصال أيضاً أن تعرض الشخص للضغوط المتعارضة ، بمعنى التعرض لحملات إعلامية مختلفة الاتجاه مهيأ للشد والجذب مما يهيئ الفرصة للتغيير .

وإذا كانت الدراسات الإعلامية تربط بين التعرض للإعلام والتحضر ، فإن وسائل الإعلام يمكنها أن تقوم بدور أساسي في التنمية والتحول الاجتماعي من المستوى التقليدي إلى المستوى العصري ، الأمر الذي يؤدي بدوره إلى دفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، ويساعد على زيادة دخول الأفراد وارتفاع مستوى المعارف والمعلومات وتحسين الدافع إلى التحصيل والإنجاز والتطلع .

- الإعلام والتربية والتثقيف السياسي :

هناك اهتمام معـــاصر بيــن

مختلف فروع الدراسات الإنسانية والعلوم الاجتماعية بدراسة الاتجاهات والمذاهب السياسية السائدة في المجتمعات المتقدمة والنامية علـــى حـد سواء ، بالرغم من التباين والتفاوت في الأطر التي يتم من خلالها دراسة التربية السياسية والثقافة السياسية .

وإذا سلمنا أن إحدى وظائف العملية التربوية يتمثـــل فـــي نقـل خصائص النمط الثقافي للمجتمع ، فإن ذلك يتضمن نقل الثقافة السياســـية والقيم والاتجاهات السياسية للمجتمع ، وكذلك فإن عملية الإعداد التربوي والتعليمي للفرد لابد وأن تصحبه بالضرورة تزويد هذا الفرد بالحساســـية الاجتماعية والسياسية وإعداده في إطار سياسي واجتماعي يستطيع مـــن خلاله أن يدرك أبعاد النظرية السياسية وأن يتمثل أهداف مجتمعه القومية ، ويتحرك في إطارها والعمل على تطويرها ، فالتكوين الثقـــافي للفـــرد يمثل الضمير الاجتماعي الأعلى الذي يحركه في اتجاه حركـــة وطنـــه وسياسته .

ويؤكد أحد السياسيين أنه لا يعرف كيف يفهم السياســـة إلا أنـــها تجعل من الإنسان إنساناً أفضل .أو بمعنى آخر تنمية المـــوارد البشريـــة واستثمار لرأس المال البشري ، ذلك أن تنمية الموارد البشرية تتضمـــن تربية الأفراد – في كليتهم – إلى أقصى حـــد مســـتطاع وفـــي إطـــار خصائص المجتمعات التي ينتمون إليها وكذا مقتضيات وسمات العصر . وهكذا يتضمن مفهوم التربية على هذا النحو الاهتمام بتنميـــة وإمكانـــات

واستعدادات وقدرات الفرد في شتى الجوانب بما يجعله قادراً على التكيف مع ذاته ومع ما يحيط به .

إن العملية التربوية - من العمليات الأولى والملازمة للإنسان منذ نشأته الأولى ، ومن الطبيعي أن تلعب دوراً كبيراً في تكوين من سيأتمر على الجماعة ، وفي مدى تقبلهم له ، وفي سياسته نحو الجماعة ، ولهذا فإن القيادات السياسية في المجتمع لابد وأن تضم أفراداً لديهم الحد الأدنى من الوعي السياسي ، وهنا يبرز دور التربية السياسية في توضيح القيم لدى المتعلم أهم بكثير من المعلومات والأفكار التي نزوده بها - لأن القيم طاقات للعمل ودوافع للنشاط ، متى تكونت القيم المرغوب فيها لدى الفرد فإنه ينطلق إلى العمل ليرى مدى تحقيقه لها ، وهنا تظهر أهمية القيم إلى جانب أنها دوافع وحوافز للنشاط والعمل في أطر مرجعية أو معايير يقيم على أساسها هذا العمل .

ومن هنا تتضح أهمية العملية التعليمية في مجال التشكيل السياسي للتلاميذ لتربيتهم على الالتزام بالاتجاهات والقيم والمعتقدات التي تساعد على الحفاظ على النظام القائم عن طريق القيام بعملية تسييس لدى التلاميذ في إطار الاتجاهات الخاصة بالنظام السياسي الحاكم .

فعن طريق التعليم والاتصال السياسي يمكن تشكيل الرأي العام المؤيد للنظام السياسي في المجتمع ، حيث تعتبر المدارس والجامعات من أهم قنوات نقل المعلومات واكتساب القيم والاتجاهات الخاصة بأيدلوجية النظام السياسي القائم حتى يحظى بالتأييد الجماهيري الذي

بدونه يصبح من الصعب عليه تحقيق أهدافه وإرساء الأسس اللازمة لتوجيه المجتمع وفقاً لاتجاهاته ، مما جعلنا ننظر إلى التعليم على أنه صانع للسياسة وإلى أن النظام السياسي أيضاً على أنه قابل للتشكيل عن طريق إحداث التغير في العقول في مجالات المعرفة والقيم والاتجاهات والمعتقدات .

فالقيم والمفاهيم الجوهرية في جميع ميادين الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وهي تمس العلاقات الإنسانية بكافة صورها وذلك لأنها ضرورة اجتماعية ولأنها معايير وأهداف لابد أن نجدها في كل مجتمع منظم ، سواء أكان متأخراً أو متقدماً ، فهي تتغلغل في الأفراد في شكل اتجاهات ودوافع وتطلعات وتظهر في السلوك الشعوري واللاشعوري وفي المواقف التي تتطلب ارتباط هؤلاء الأفراد تعبر هذه القيم عن نفسها في قوانين وبرامج للتنظيم الاجتماعي والنظم الاجتماعية .

والقيم من المفاهيم التي تستخدم للمقارنة بين النظم الاقتصادية والسياسية والعلاقات الإنسانية في المجتمعات البشرية ، وهي أيضاً من المفاهيم التي تستخدم عند الحديث عن مستقبل العالم ومصير الإنسانية ، ولا يقتصر حديث القيم على المشكلات العامة ذات الطابع القومي أو الدولي فحسب ، بل يتناول سلوك الأفراد والقيم في هذا المجال من الوسائل الهامة في التمييز بين أنماط الحياة للأفراد والجماعات .

إن القيم المنقولة عن طريق المدرسة ، هي القيم السائدة في المجتمع ، وهي بهذا تعكس سلطات الجماعات الحاكمة في فرضها على بقية المجتمع .

والوعي السياسي هو دليل على القيم السياسية التي يفتقد فيـــها الفــرد ، فارتفاع مستوى القيم السياسية لدى الفرد يصحبه زيادة في درجة الوعي السياسي لديه ، ومن ثم زيادة في درجة الاتجاه نحو المشاركة السياسية ، وتعميق اتجاهات الفرد الأساسية ، وعلى ذلك نتصور أن توجد علاقـــات موجبة بين كل من المشاركة السياسية والوعي السياســـي ، والمشاركـــة السياسية والاتجاهات السياسية ، كما توجد فروق دالة بين الأفراد تبعـــاً للمستوى التعليمي من الذين يمارسون أعمال سياسية أو ينتمون إلى أحد الأحزاب السياسية ، وتزداد درجة المشاركة السياسية والوعي السياســـي ودرجة عمق الاتجاهات السياسية لدى الأفراد من ذوي المستويات العليا في التعليم .

ومن ثم هناك مجموعة من الأبعاد تدور حولها أهمية التثقيف السياســـي وهي :

١. أن هذه العملية التربوية السياسية لم تنال حقها من اهتمـــام البـــاحثين والدارسين في مجال التربية السياسية والوعي السياســـي والعوامـــل المؤثرة فيها .
٢. أن الكثير من القيادات السياسية والأفراد المشتغلين بالعمل السياســـي يعاني من فراغ في الوعي السياسي .
٣. أن عملية اختيار الحزب الذي ينتمي إليه الفرد في مجتمعنا لا ترجـــع إلى أساس علمي .
٤. أن عملية إصدار الحكم واتخاذ القرار القيمي بالنسبة للســـلوك الـــذي يقوم به الفرد في موقف معين ليس مجرد تفضيل بين اتجاهات سلوك مبني على مجرد رغبة طارئة أو إحساس عارض أو تقديـــر للنفـــع

المباشر ولكنه لابد وأن يكون هناك ما يبرره على أساس عقلي ، ومن هنا كان الحرص على تناول ميدان من ميادين التربية السياسية المستمرة التي تحتاج إليها المجتمعات النامية وهو ميدان التثقيف السياسي في هذا الفصل .

٥. هناك عوامل ثقافية مسئولة عن الوعي السياسي في مجتمعنا النامي ، خاصة تلك الفترة التي تعددت فيها ظهور الأحزاب السياسية في مصر وبذلك تحول الأفراد إلى مجموعات متنافرة لا هي خاضعة لقوانين الدولة أو قوانين الحزب التي تنتمي إليه ، وأصبح بالانتماء إلى حزب معين قد يخضع لكثير من العوامل الشخصية حتى كدنا أن نصل إلى نفس الصورة التي كانت سائدة أيام الأحزاب القديمة ولكن بدون قضية وطنية محترمة تجمع حولها المخلصون .

٦. أن الشكل الخاص بحكومتنا في حاجة إلى إسهام مواطنين واعين بالعملية السياسية نفسها ، فما دامت الحكومة تنمو حجماً ونفوذاً ، كذلك لابد وأن تنمو مسئوليات الأفراد للقيام بدورهم في العملية الديمقراطية والنهوض بالمجتمع .

وهناك مجموعة من المصطلحات نطرحها في هذا السياق :

- التربية السياسية :

إن التربية السياسية للناشئين والشبان عملية تستهدف إعدادهم لمواجهة المشكلات واتخاذ القرارات كمواطنين بمساعدة كل منهم على تنمية قدرته على صنع القرار وعلى استخدام التفكير الناقد في التعبير عن الاتجاهات والوصول إلى حلول للمشكلات

الاجتماعية ، ويتم ذلك من خلال عملية تطبيع سياسي لهم ، حيث تنتقـــل من خلالها القيم والمعتقدات والعواطف المكونة للثقافة السياســـية بنجـــاح للأجيال ، وتبدأ في مرحلة مبكرة من العمر وتستمر مدى الحياة ، وتعد الأسرة والمدرسة ودور العبادة وجماعات الأقران والأحزاب السياســـية وكالات لحدوث هذه العملية ، حيث تنمي وعي الناشئين بمشكلات الحكم والقدرة على المشاركة في الحياة السياسية وتنمية ذلك بالوسائل المختلفة كالمناقشات غير الرسمية والمحاضرات والاضطلاع بالنشاط السياســـي بجانب وسائل الإعلام والاتصال المختلفة .

- النظام السياسي :

ويقصد به مجموعة القواعد والأجـــهزة المتناســـقة المترابطة فيما بينها - تبين نظام الحكم ووسائل ممارسة السلطة وأهدافها وطبيعتها وحركة الفرد فيها وضماناته قبلها ، كما تحدد عناصر القـــوى المختلفة التي تسيطر على الجماعة وكيفية تعامله مع بعضها .

إن استمرار النظام السياسي مرتبط بمدى قدرته علـــى تحقيـــق وظائفـــه وأهدافه والتي يمكن للنظام التربوي أن يلعب دوراً هامـــاً فـــي تحقيـــق النجاح الحاسم لها .

- النشاط السياسي :

وهو المشاركة الإيجابيـــة فـــي توجيـــه الـــرأي الجماهيري للأخذ باتجاهات معينة تؤثر علا فئات الشعب بالداخل وتؤثر في توجيه دفة الوطن كوحدة عضوية بالخارج ويتم هذا في كـــل مكـــان تقريباً ، في الأسرة ، دور العلم ، النقابات ، وعن طريق وسائل الإعلام

- المشاركة السياسية :

يعرفها werner بأنها (نشـــاط اختيــاري يستهدف التأثير في اختيار السياسات العامة أو اختيار القادة السياســـيين على المستوى المحلي والقومي ، سواء كان هذا النشاط ناجحاً أو غـــير ناجح ، منظماً أو غير منظم ، مستمراً أو مؤقتاً .

وفي تعريف آخر يقصد به " تلك النشاطات الإدارية التي يشارك بمقتضاها أفراد مجتمع في اختيار حكامه وفي صياغة السياســـة العامـــة بشكل مباشر أو غير مباشر ، ويقسم المشتغلون بالاجتمـــاع السياســـي . مستويات المشاركة السياسية إلى :

١- تقلد منصب سياسي أو إداري
٢- السعي لشغل منصب سياسي أو إداري
٣- العضوية النشطة في تنظيم سياسي
٤- العضوية العادية في تنظيم سياسي
٥- العضوية النشطة في تنظيم شبه سياسي
٦- العضوية العادية في تنظيم شبه سياسي
٧- المشاركة في الاجتماعات السياسية العامة
٨- المشاركة في المناقشات السياسية غير الرسمية
٩- الاهتمام العام بالأمور السياسية
١٠- التصويت

فالديمقراطية لا تتحقق إلا بالاشتراك الفعال للمواطنين والناشئة في الحياة السياسية وهذا لا يحققه إلا انتشار التعليم ، حيث يخلق المواطن العـــادي المستنير .

- **القيم السياسية :**

وهي في المفهوم العلم تلخيص لظواهـــر حدثـــت ورسخت وأصبحت تعبر عن رموز منطوقة تتحكم في السلوك الإنساني مصدرها المباشر العادات والتقاليد في الحياة الاجتماعية لمجتمع ما ، كما أنها " ذلك النوع من القيم المرتبط بظاهرة السلطة أو العلاقات داخلـــها ، أي بين أفراد الطبقة الحاكمة وخارجها ، أي ســـلوك المحكومين فـــي التعامل معها ، فالقيم السياسية أولا حقيقة خلقية ، ويقصد بكلمة خلقية هنا أنها تعبير مرادف لفكرة المثالية .

- **التثقيف السياسي :**

كلمة تثقيف سياسي تتكون من مقطعين : كلمة تثقيف ، سياسي وترجع كلمة تثقيف إلى أن هناك من ينظر إليـــها مـــن حيث العلاقة بينها وبين الفرد والمجتمع ويعتبرها تنظيم يقوم على التفاعل الاجتماعي بين الأفراد ، ووظيفتها توجيه سلوك هؤلاء الأفراد ، فهي إذ تنبع من هذا التفاعل الاجتماعي تصبح في نفس الوقت جزءاً هامـــاً فـــي شخصيات الأفراد ، فالفرد يتمثلها وينمي شخصية في محيطها ويتكيـــف عن طريقها بمطالب المجتمع الذي ينتمي إليه ، ويعتبر التثقيف السياسي محصلة أبعاد أربعة هي " الوعي السياسي –القيم السياسية –الاتجاهـــات السياسية –المشاركة السياسية " .

* **التعليم والسياسة :**

مازالت سياسات التعليم من المجالات الجديـــدة غير المطروقة إلى حد كبير كما عبر بذلك ميخائيل كيرست ، وهو أحد

علماء السياسة القلائل الذي ركز في دراساته على دراسة المدارس ، حيث يعزف علماء السياسة عن دراسة التعليم ، ويرجع ذلك إلى عامل نفسي وهو الحساسية التي يتميز بها هذا النوع من الدراسات بسبب اتجاهات السلطة السياسية إلى عزل التعليم عن السياسة ومحاولة حرمان وتقليل أنشطة الطلاب بتوجيههم نحو اتجاهات قد تتعارض وأهداف النظام السياسي القائم .

وقد انعكست هذه الحساسية على موقف المسئولين عن العملية التعليمية في المؤسسات التعليمية إزاء دورهم ومسئولياتهم نحو التشكيل السياسي للطلاب ، حيث تشير الأبحاث والدراسات القائمة أن معظم هؤلاء المسئولين لا يؤمنون بأن نقل المعلومات السياسية يمثل جزء من مسئولياتهم بل ويشاركون المعلمين في اتجاههم العدائي إزاء هذا الجانب من جوانب التشكيل السياسي ، وتشير الدراسات إلى أن ٩٢٪ من المعلمين ، ٩٣٪ من الآباء ، ٩٦٪ ، من مديري المدارس لا يتقبلون فكرة السماح بنقد السلطة بقوة أمام التلاميذ وكان المديرون هم الأكثر اعتراضاً حيث عملهم الأساسي هو تأكيد احترام القيم السائدة .

ويتولد عن اتجاه العزل بين السياسة والتعليم ما يلي :

١- سلب التعليم دوره في تنمية الوعي والتشكيل السياسي للطلاب .
٢- تفريغ العملية التعليمية من مضمونها السياسي ، مما يولد فراغاً سياسياً في عقول النشء .

وهذا يؤدي بالتالي إلى استغلال بعض العناصر المعادية للنظام السياسي إلى تشكيل النشء تشكيلاً سياسياً يهدف إلى تحقيق أغراض معينة .
إن الأحداث في المجتمع المعاصر تشير إلى أن عملية العزل بين السياسة والتعليم وعدم الاهتمام بالتوعية السياسية للطلاب يكون نتيجته تولد حركات طلابية بفعل استغلال بعض الجماعات للفراغ السياسي للعملية التعليمية لدى الطلاب .

كما تؤكد دراسة عن " المشاركة السياسية بين الشباب المصري " الفعالية المحدودة للتعليم في تنمية قدرات المشاركة السياسية ودراسة صورها ، كما كشفت الدراسة الميدانية لطلاب كليات التربية إلى عدة حقائق هي :
أولا : وجود اختلاط في المفاهيم المتعلقة بفلسفة المجتمع المصري .
ثانيا : تداخل في المفاهيم المتعلقة بالقيم والمبادئ الاشتراكية .
ثالثا : عدم وضوح صورة المجتمع المصري بعد العاشر من رمضان ١٩٧٣ في أذهان الطلاب .
رابعا : سجلت الدراسة أن طلاب الفرقة الأولى ليست لديهم أية فكرة عن الأهداف المختلفة لكليتهم .
خامسا : معلومات الطلاب عن الأحزاب ضحلة وقليل منهم منضم لهذه الأحزاب .

سادسا : معلومات الطلاب عن اتحاد الطلاب ولجانه تكاد تكـــون فـــي جملتها نظرية فقط .

- الارتباط بين التربية والنظام السياسي من المنظور الدولي :

من وظائف التربية النظامية ، عملية تطبيع الناشئة وفقاً للثقاة السياســـية السائدة واختيار الصفوة السياسية ، ويلاحظ أن هناك علاقة واضحة بين التربية الرسمية وتكوين الصفوة السياسية الجديدة في البلاد غير الغربية ، فالنظام التعليمي في معظم المجتمعات الغربية لا يدعم التفرقة بين الحكام والمحكومين فحسب بل أنه يبقى على ويؤدي إلى ازدهار فكـــرة حكـم الصفوة طالما أنها تؤكد اختيار الأشخاص غير العاديين للمراكز القيادية فالولايات المتحدة الأمريكية مثلاً تحكم بواسطة صفوة سياسية قوية متحدة بشكل متزايد وغالباً ما تبدو متناسقة بصورة عمرية .

ويعتبر التعليم من أهم العوامل التي تؤثر فـــي تكويـــن الصفـــوة السياسية وإلى أي مدى يعطي الفرصة للمرء في الانضمام إليها .

فعلى مستوى الدول المتقدمة نلاحظ ارتباط وثيق بين النظـــام التعليمـــي وبين عملية إعداد الصفوة التعليمية ففي إنجلترا ..هناك الكثير من القـــادة السياسيين ذوي التأثير في حزب المحافظين قد تلقوا تعليمهم فيما يســـمى Great Public schools مثل " إيتون " و " هارو " ثم في جامعتي أكسفورد وكمبردج . ففي عام ١٩٥١ كانت نسبة أعضاء مجلس العموم المحافظين الذين تلقوا تعليمهم في " إيتون " و " هارو " ٣٢,٥ ٪ وأن نسبة الذيـــن أكملوا دراساتهم في أكسفورد وكمبردج كانت ٨٠,٥ ٪ .

ويتضح من ذلك أن تلك المدارس قامت بدور الانتقاء والتدريب للصفـــوة

السياسية وأن الطلاب في البداية يختارون ويلحقون بهذه المدارس على أساس معايير متعارف عليها ، بعضها متعلق بأصولهم وبعضها متعلق بالتحصيل ، ومنذ التحاقهم يطبعون وفق أنماط معينة للقيادة السياسية وكذا حفزهم للمشاركة السياسية إلى أقصى حد ممكن .

وعلى مستوى الدول النامية -فهناك تركيا كمثال لها : حيث قام Frey بدراسة تبين أثر التعليم كعامل حاسم في اختيار الصفوة السياسية وقرر أن هناك أدلة على أن " الدراسة بمدرسة ثانوية متميزة يمكن أن تكون أحسن الخبرات التعليمية أثراً في تحديد الكثير من أنماط السلوك السياسي التالي ، ويشير إلى أن أكثر من ٦٠ ٪ من مجموع النواب الأتراك في الجمعية الوطنية التركية كانوا من خريجي الجامعة منذ عام ١٩٢٠ في الوقت الذي كانت نسبة السكان غير الأميين فيه لا تعدوا ٤٠ ٪ .

ومن هذه الأرقام يتضح أن التعليم أضحى متطلب أساسي للقيادة السياسية في تركيا .

كما أن خريجي المدارس الثانوية المتميزة مثل ليسيه Calata Saray والمدرسة الإمبراطورية ذات الطابع الفرنسي وليسه اسطنبول قد خرجت في السنوات الأخيرة عدداً كبيراً من الوزراء .

وهكذا نلاحظ أن نمط تربية القادة السياسيين لا يختلف في حد ذاته من بلد لآخر ، فالمجتمعات النامية والمتقدمة منها باستثناء بعض النظم الجماعية ، بها أفراد ذوو قوة سياسية حصلوا على تعليم جامعي وتخصصوا في المهن القانونية ، وذلك يعني أن مستوى ونوعية تعليم القادة السياسيين في الدول النامية يشبه إلى حد ما ما عليه القادة في

الدول المتقدمة ، وإذا كانت هناك فجوة كبيرة في المستوى التعليمي بين الحكام والمحكومين ، فإن ذلك يؤدي إلى تحلل اجتماعي وعدم استقرار سياسي وإذا لم يكن هناك بعض مؤسسات اجتماعية يمكن لها القيام بمهمة الوساطة بين الصفوة السياسية ذات المستوى التعليمي الرفيع والجماهير غير المتعلمة فإن هناك دوماً خطر الانهيار .

التثقيف السياسي من المنظور الدولي :

تظهر هذه العلامة بوضوح في النظم السياسية المعاصرة وتكون اكبر وضوحاً عندما تقارن بين كل من المجتمعات الرأسمالية والاشتراكية ، حيث توجد فروقا كبيرة بينهما فهي تعكس ما يوجد بين النظامين من فروق فلسفية وسياسية ، بين أنظمة الحكم التي تتم فيها العملية التعليمية ، حيث تكرس المناهج والبرامج المدرسية لخدمة النظام السياسي القائم في المجتمع وتهدف إلى اكتساب الأفراد المبادئ والقيم والاتجاهات الوطنية التي تتفق مع الأيدلوجية القائمة في المجتمع .

كما أن القوانين والمبادئ والاتجاهات التي تحكم وتحدد مسار ونوعيات الممارسات التعليمية تتفق مع فلسفة النظام السياسي القائم في هذه المجتمعات وتسعى لتحقيق أهدافه .

أولا : العلاقة بين التعليم والسياسية في النظام الاشتراكي :

إن التعليم

في المجتمعات الاشتراكية ذو الطابع الموحد في معارفه وقيمه واتجاهاته كما يتم التعليم في هذا النظام بالتشكيل العقائدي للمواطنين ، حيث تزخر المناهج بمقررات أيدلوجية صرفه تهدف إلى الغرس العقائدي في عقول

الناشئة كما يتم فيها التربية الخلقية بنوع من النظام يتفق مع ما تقوم عليه الأيدلوجية الاشتراكية من مبادئ وقيم – حيث تتم التربية السياسية فـــي المدارس بطريقة مباشرة صريحة تخضع لرقابة الدولة وإشرافها المباشر وتستخدم التعليم كأداة سياسية لتشكيل المواطنين في إطـــار الأيدلوجيـة الماركسية اللينينية السائدة في المجتمع ، كما أن هذا الترابط الوثيق بيـن التعليم والسياسة يتضح في الدول الاشتراكية حيث تســتغل المقـررات الدراسية في إكساب المواطنين الاتجاهات السياسية المرغوبة وتوجيـه المواطنين نحو تحقيق تكيفهم مع الأيدلوجية السائدة ، ففي تشيكوسلوفاكيا (سابقا) نجد الاهتمام بما يسمى بالمدرسة السياسية لتربية الشباب تربيـة سياسية تمكنهم من ممارسة دورهم في بناء الدولة الشعبية الديمقراطية ، كما يدرس التلاميذ دستور ونظام الحكم في الاتحاد الســوفيتي (سـابقا) وهو ما يعرف بالاتحاد الروسي ، ودول الكومنولث حاليا ، كمـا كـان يهدف التعليم في ألمانيا الديمقراطية (سابقا) قبل التوحيد مـع ألمانيـا الغربية – إلى تنمية الروح الوطنية وإعداد دعاة للاشتراكيـة مؤمنيـن بالحركة البروليتارية العمالية .

ثانيا : العلاقة بين التعليم والسياسة في النظام الرأسمالي :

في النظـام الرأسمالي ، لا يخضع التعليم لإشراف الحكومي الفيدرالية وتشرف عليه السلطات المحلية ، ويتميز بالتنوع والمرونة من أجل تربية ديمقراطية ، والشعار السائد فيه هو بث القيم المؤسسية في المدارس والتعريـف بـها بطرق تنسجم مع النظام الاقتصادي بها وقد ارتبط التعليم ارتباطا وثيقـا

بالإنتاج واستخدمت التربية المدرسية كوسيلة لزيادة الثروة وتحسين العائد الاقتصادي وتحسين فعالية الإدارة .وتقوم المدارس بدور فعال في تشكيل القيم والسلوك المرغوب فيه على نحو اقتصادي حيث أصبحت التربية المدرسية ينظر إليها كعملية إعداد للعمل في ظل ثقافة مدرسية مشبعة بروح العمل وأصبحت المدارس كمصانع والمعلمين كمدربين صناعيين والطلاب كمواد خام تستخدم في العملية الإنتاجية .

- العلاقة بين التعليم والسياسة على المستوى المحلي :

أجريت دراسة ميدانية حول العلاقة بين المستوى التعليمي وكل من : الوعي السياسي ، المشاركة السياسية ، الاتجاهات السياسية والقيم السياسية وقد شملت العينة كل من :

- مسئولين سياسيين في أحزاب مختلفة .
- أعضاء في مجلسي الشعب والشورى .
- شباب منتمى لأحزاب مختلفة .
- طلاب من اتحادات طلاب كليات مختلفة .
- أفراد لا يعملون بالسياسة بأشكالها المختلفة .

وقد كشفت هذه الدراسة عن الاستخلاصات التالية :

١- المعلومات التي يجب توافرها لدى أفراد العينة بأنواعها المختلفة عن الأحزاب ومبادئها وبرامجها -غير كافية .

٢- تقارب المعلومات عن سياسة التصنيع في بلادنا بين نوعيات المشاركين باختلاف مسئولياتهم التعليمية سواء من المشاركين في الميدان السياسي أو من الذين لا يعملون بالسياسة بأشكالها المختلفة

٣- وجود تداخل في المفاهيم الخاصة بالقيم والمبادئ السياسية في المجتمع المصري .
٤- وجود تداخل في المفاهيم المتعلقة بفلسفة المجتمع المصري .
٥- وجود تداخل في المفاهيم المتعلقة بدور كل من مجلسي الشعب والشورى .
٦- ضعف المعلومات الخاصة بالدور الفعال للإعلام .
٧- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين نوعيات العينة في المستويات التعليمية المختلفة في الاتجاهات السياسية والمشاركة السياسية في حين توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين هذه النوعيات في مستوياتها المختلفة والوعي السياسي والقيم السياسية .

ولما كان التثقيف السياسي هو محصلة الأبعاد الأربعة (الوعي السياسي ، القيم السياسية ، اتجاهات السياسية ، المشاركة السياسية) كما ذكرنا من قبل ، فإن الانخفاض في أحد هذه الأبعاد في علاقته بالمستوى التعليمي يؤدي بالضرورة إلى انخفاض في درجة التثقيف السياسي . والشكل التالي يوضح العلاقة بين هذه الأبعاد الأربعة :

اتجاه		وعي
مشاركة		قيم

لذلك ينبغي الاهتمام برفع درجة التثقيف السياسي في كل من :

١- **النظام التعليمي** : ويتم ذلك عن طريق :

- إدخال المفاهيم والأهداف السياسية في المنـــاهج الدراســية للتربيــة الوطنية والقومية .
- جعل لمواد الدراسية الخاصة بالتربية الوطنية والقومية مواد رسوب
- تطعيم المواد الدراسية المختلفة بموضوعات ذات ثقافة سياسية .
- عقد الدورات والندوات السياسية للقائمين بالعملية التعليمية حتى يكون لهم دور فعال في التثقيف السياسي لطلابهم .
- إعداد كادر خاص عن الطلاب ليكون كادرا سياسيا واعيا .

٢- **المؤسسات المختلفة** :

ويتم تعظيم دورها عن طريق :

- عقد ندوات ودورات تدريبية حول القضايا السياســـية التـــي تـــهم المجتمع للعاملين بها .
- عقد لقاءات مستمرة بين قيادات الأحزاب والعاملين بهذه المؤسســـات لتوضيح برامجها وأهدافها وليس الاكتفاء بنشرها قبل الانتخابات فقط

٣- **المستوى التنظيمي** :

يجب فيه مراعاة ما يلي :

- إعادة النظر في شرط التقدم لعضوية مجلسي الشعب والشورى وهـــو معرفة القراءة والكتابة وتحديد مستوى تعليمي عالي .
- حسن انتقاء نوعية المتقدم لعضوية المجالس التشريعية مثل مجلســـي الشعب والشورى حتى لا تكون العضوية من أجل المصالح الشخصية فقط ..

٤- الإعلام:

لما كان للإعلام من دور فعال في نشر المفاهيم والمبادئ بكفاءة عالية لذلك يجب :

- إعطاء الفرصة للصحافة والإعلام الدولي حتى يتجه إلى المثقف إلى جانب من يعرف القراءة والكتابة فقط .
- الاهتمام بصفة التشويق في البرامج الموجهة سياسيا بطرق غير مباشرة وبأسلوب مبسط بما يتلاءم مع جميع المستويات التعليمية .
- الاهتمام بتطعيم المواد الإعلامية المسموعة بالقيم والمبادئ والمفاهيم المراد توصيلها إلى عامة الشعب حسب مستوياتهم المختلفة .

ولكي يتم ذلك فلابد من توافر الشروط التالية لكي ترتفع درجة التثقيف السياسي :

- يجب أن تتصف الرسالة الإعلامية بالعمق والاهتمام والتنويع .
- يجب أن يشعر كل مواطن بأن هذه المادة الإعلامية موجهة له شخصيا
- يجب تجنب فقد الثقة وذلك بالصدق في أداء الخدمة الإعلامية .

- **احتياجات الدول النامية :**

لعل من أهم ما تحتاج إليه الدول النامية في نهضتها الإعلامية ، إعداد طائفة من الإعلاميين المتخصصين في الشرح والتبسيط والإقناع والتأثير في الجماهير، وإذا كان الإعلام الناجح يبنى على خطط سليمة ومدروسة ، فيجب أن تعد خطة إعلامية للتنمية تتسق مع التخطيط الشامل للمجتمع من أجل التنمية الوطنية ، ولكن المهم أن يشعر الناس بأهمية التغيير والحاجة إليه وذلك يحفز

التطلعات والإحساس بالانتماء .

فالإعلام قوة للتحرير والانتقال من المستوى التقليدي إلى المستوى العصري ، سواء في الحياة السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية للمشاركة في جهود التنمية الزراعية والصناعية والتعليمية وغيرها .

ويمكن القول ... بأن الإعلام هو العملية التي يمكن بها نقل الأفكار العصرية في مجتمع معين ونشرها بين الجماهير على نطاق واسع ، ولكي ينجح الإعلام لابد أن يبدأ بدراسة الحضارة السائدة واتساق الاتصال فيها والأفكار الشائعة بين الناس ، حتى نتمكن من وضع الخطة الملائمة لانتشار الاتجاهات الجديدة في التنمية وفي الحملات الإعلامية المخصصة للتنمية .

ونعرض لدور كل من الراديو التلفزيون في مجال التثقيف السياسي :

أولا : الإذاعة المسموعة (الراديو)

لقد اهتمت الدولة بإنشاء الإذاعة المصرية عام ١٩٣٤ وتعتبر من أخطر أدوات الاتصال تأثيرا في الجماهير وتحملا للمسئولية في الثقافة العامة للجماهير ، والإذاعة بطبيعتها في المجتمع النامي تعتبر الصحافة الأكثر انتشارا وتختلف عن المسرح والسينما وأيضا الكتاب والوسائل الأخرى ولا تقاس الإذاعة بشيء بعد ظهور الترانزيستور حيث يستطيع المرء عن طريق متابعة الأخبار في بلده أو في الأقاليم ككل ، لأن مستمع الراديو لا يتكلف كثيرا من الجهد ، كما أن جهاز الراديو يمكن

الاستماع إليه في السيارة أو أثناء قراءة كتاب ، ومن هنـا يتميز عـن وسائل الإعلام الأخرى بجانب الألفة الشديدة التي يتمتع بها هذا الجـهاز ويشاركه فيها التليفزيون ، ففي الوسائل الإعلامية الأخرى هناك جـهد مكلف مثل الذهاب إلى السينما أو المسرح .

هذا بجانب الثقة الشديدة في الراديو وهي مسألة مـيراث للراديـو منـذ سنوات طويلة ، فالجمهور المستمع لديه الثقة فيه ، ومسـاحات إرسـاله الواسعة عكس الوسائل الأخرى محددة المساحة والزمن -بالإضافة الكم الهائل من البرامج لزيادة ثقافة الإنسان العامة وأنواع من المواد الإذاعية التي تتمشى مع ذوق المستمعين وهواياتهم ، فالراديو مطالب بمخاطبـة كافة المستويات وكافة القطاعات وعليه أن يكون خادما للجميع .

- مستويات وظائف الراديو في التثقيف :

تنقسم هذه الوظائف إلى نوعين أساسيين هما :

١- وظائف مباشرة :

لدينا محو الأمية وتعليم الكبار ونشير إليها كدور أساسي بارز كـدور من أدوار الراديو في التثقيف العام ، وذلك لأن الإنسان لا يستطيع أن يقوم بدوره في التنمية دون أن تكون الثقافة أساسا لهذه التنميـة ، ولا نستطيع أن نلم بأي تنمية دون توعية الإنسان وتبصيره -فليست محو الأمية فقط مجرد محو الأمية الهجائية (أي محـو أميـة القـراءة والكتابة) ولكن محو الأمية العامة . وإذا سلمنا بأن محو الأمية بهذا الشمول فلابد وأن يتضافر مع الراديو وسائل أخرى .

وتزداد أهمية الراديو في الدول النامية -حيث يمكن عن طريقـه

إعطاء الدروس في أكبر مساحة ممكنة -هذا بجانب تعليم من تخرجـــوا في الجامعة - وقد تكون هذه الوظيفة جديدة للمجتمع المصـــري فـــهي معروفة في كثير من الدول ، حيث تخصص إذاعة نسميها جامعة الهواء وهدفها متابعة من تخرج في الجامعة وبث كل جديد يصدر في ميدانـــه أول بأول .

٢- وظائف غير مباشرة :

إذا كان مطلوبا من المثقف أن يكون معاصرا ، فـــهذا يمثـــل الخـــط العريض للراديو ورسالته ، حيث يجعل الفـــرد ملمـــا بقضايـــا هـــذا الإنسان المعاصر ، وهناك الوظيفة الاجتماعية للراديو في أن يجعـــل الإنسان يعيد النظرة في سلوكيات معينة ومفاهيم معينة فالمفروض أن يحل الراديو القيم الإيجابية محل القيم السلبية ، فالهدف هو وضع قيم معينة وعادات معينة نحاول أن نغيرها إلى قيم وأنماط وسلوك جديدة تواكب المجتمع الجديد ، فعليه أن يسهم في تطوير المجتمع اجتماعيا

- ولا يستطيع الراديو أن يتوسع في انطلاقه فـــي عمليـــة التربيـــة والتنمية دون أن يكون لديه الخبرات المدربة واللازمة لهذه العمليات
- بداية من المهندس المتخصص وانتهاء بالعامل المنفذ .

ومع التقدم التكنولوجي الرهيب ازدادت سعة الإذاعة المسموعة " الراديو " حيث يتمكن المرسل باستخدامها من مخاطبة الناس وقد فصلت عنهم آلاف الكيلو مترات ، يسمعونه ميعا في وقت واحد ، كما ينقـــل لهم صورة حية للأحداث الجارية فور حدوثها وبذلك أمكن الربط بيـــن بقاع الأرض بنقل الأحداث الهامة فور وقوعها في أي مكان .

وهذا الربط بين الأحداث الجارية البعيدة أو القريبة والمدرسة يشعر الطالب بعدم تخلف المدرسة عن تلك الأحداث الجارية وراء أسوارها ، كما تشعره أيضا بأن المدرسة تقدم له التطورات الهامة مع التغير العلمي لها -أما الجمهور العام في المجتمع ، فيفيده هذا الربط زيادة في الوعي بما يدور حوله ويقرب المسافة النفسية بينه وبين المسئولين .

ويتميز هذا الربط إلى جانب الفورية ، بأن الخبرات والأحداث المنقولة عن طريق خبرات حية شيقة تفي الموضوعات والتساؤلات التي تشغل انتباه التلاميذ خصوصا والناس عموما ، ويؤثر الراديو في أغلب الناس تأثيرا خاصا ، وهو تأثير التوجيه الشخصي الخاص حيث ينقل إلى السامع عالما من التفاهم غير المنظور موفرا له بذلك خبرة خصوصية فيمس أغوار النفس شبه الشعورية ويعمل عمل رنين طبول القبائل وأبواقها ، ولقد كانت إذاعة برامج عن " الغزو للمريخ " في الراديو الأمريكي لمؤلفها أورسون ويلز - مثلا لمدى الأثر الذي يمكن أن تحدثه الصورة الصوتية في هذا الاتجاه .

ويلعب الراديو دورا خطيرا في التثقيف ولا سيما في المجتمعات المتخلفة ، وذلك لأنه لا يحتاج إلى قراءة أو كتابة ، ولا يحتاج إلى نفقات كما أنه لا يوجد سلاح لمقاومته والحد من انتشار إرساله .

ولما كان الراديو يعتمد على الأذن فقط ، فإن المعلومات والمعارف لابد أن تصدر عنه بصورة مبسطة وبأسلوب أساسه النزول إلى مستوى هذه الأذن ، ومن ثم لابد أن يكون العاملين فيه أصلا لهذه المهمة ، فلا يمكن أن ننتظر من جهاز ترجيه يوجه دون أن يكون قادرا على هذا التوجيه .

ثانيا : التليفزيون :

يعتبر التليفزيون أخطر أداة إعلامية ، ولذلك فهو الأداة التي تلعب الدور الرئيسي في الانتخابات الأمريكية ، ويستخدم البصر والأذن في وقت واحد خلافا للراديو فالرؤية تدعم تسمعه الأذن .

وإذا أخذنا على سبيل المثال تلك البحوث التي تمت حتى يومنا هذا لقياس الآثار المترتبة على البث التليفزيوني في نفوس الأطفال والناشئة لوجد غالبية الباحثين الغربيين يهونون من تلك الآثار وحجتهم في ذلك حجة متشبعة ، فتارة يقولون أن الطفل الطبيعي السوي لا يتأثر بما يبثه التليفزيون من أفلام العنف والجريمة والانحراف ، قد يكون هذا صحيحا ولكن لا ينبغي أن يفوت علينا أن الطفل الطبيعي السوي كفرد ليس هو المعيار الذي ينبغي القياس عليه ، وإلا لجاز لنا أن نقول أن الأوبئة المرضية ليست ضارة مادام نفر قليل من الأفراد يفلتون منها .

وكما يقول بعض الخبراء " فإنه وإن كان صحيحا أن التليفزيون ليس هو السبب الوحيد للانحراف وجناح الأحداث وأنه ليس مسئولا وحده عن الأمراض النفسية والعضوية التي قد تصيب الأطفال والأفراد ، إلا أنه لا يمكنه في الوقت ذاته إنكار أثر التليفزيون في تلوث البيئة التربوية وصحيح أنه لا أحد يحاول أو يقلل من قيمة الدور الذي يلعبه التليفزيون كجهاز تعليمي ، ولا أحد ينكر أنه في هذا المجال يضارع بيئة الأسرة والبيئة المدرسية من حيث أثره ووقعه في عقلية ووجدان من يتعرضون لبرامجه المختلفة ولكن .. الأمر الذي يثور حوله الجدل والنقاش هو مدى عمق وشدة الأثر الذي تتركه برامج التليفزيون في

نفوس وعقول المشاهدين في سلوكهم ، كما تعبر عنـــه نتـــائج البحـــوث والدراسات .

ولقد آن الأوان لأن يتنبه البـــاحثون إلـــى أن الآثـــار التراكميـــة المتفاعلة لبرامج التليفزيون والسينما والإذاعة بعيدة المـــدى لا تلبـــث أن تتطور وتصبح ذوقا عاما لا يرضى عنه المشاهدون بديلا سواء كـــانوا من أطفال أو بالغين .

ومازال النقاش يثور حول تأثير التليفزيون على الصغار والكبار ، غـــير أن غالبية هذا النقاش ذات طابع جدالي يحتـــاج إلـــى بحـــوث تجريبيـــة موضوعية تحسمه بشكل قاطع ، ولكن السبيل إلى هذا الحسم غير متيسر لأسباب عديدة منها :

أولا : أن البحث في مجال الإعلام وفي مجال التليفزيون بخاصة يتطلـــب نفقات باهظة .

ثانيا : أن أنشطة الإعلام تتسم بالدينامية وسرعة الحركة ،الأمر الـــذي لا يستطيع أن يجاريه الباحث الذي يحتاج إلى التأني بحكم طبيعة عمله .

ثالثا : أن البحوث في مجال تأثيرات أجهزة الإعـــلام لا تســـتطيع أن تحمي نفسها من الضغوط السياسية وضغوط أصحاب المصلحة في بقاء هذه الأجهزة وازدهارها .

رابعا : أن البحث في مجال قياس تأثيرات برامج الإعلام على ســـلوك الأفراد يحتاج إلى ضوابط عديدة معقدة وإلـــى فـــترات زمنيـــة طويلة وهي أمور لا يقوم عليها الباحث حتى لو توفر فيه قـــدر

كبير من الحرص والموضوعية والإخلاص للعمل .

وكما أن التلوث التربوي قد تطرق إلى أجهزة الإعلام فإنه يمكن القول بأن المدرسة المعاصرة ، وهي أداة تربوية يفترض فيها النقاء ، قد ابتعدت كثيرا عن هذا النقاء التربوي ، مما جعل التربويون من رجال التعليم يصرخون وينادون بضرورة إصلاح المناخ المدرسي وتنقيته بعد أن وصلته عناصر التلوث التربوي .

وأيا كان موقف الباحثين من التأثيرات التربوية الضارة للإعلام المعاصر وبخاصة تلك التي تصدر عن التليفزيون فإن الناس يقفون مشدوهين أمام ما تتركه تلك الأداة في نفوس الصغار والكبار ويحاول البعض التهوين من قدر هذه الآثار معتقدين أن الأسرة المتكاملة المتماسكة تستطيع بأساليبها التربوية أن تتغلب على هذه الآثار وبذلك تجعل دور التليفزيون دورا هامشيا غير أن هذا الاعتقاد مردود عليه ، فالأسرة المعاصرة ليست متكاملة ولا متماسكة بل أن دورها في التربية وبخاصة فيما يتعلق بالقيم والمعايير الاجتماعية دورا أخذ في التدهور والانحسار ويخطئ البعض عندما يظنون أن التليفزيون يجمع بين أفراد الأسرة ويقرب بينهم ، فإن هذا الظن صحيح لو نظرنا إليه من المنظور المادي الجدي ، غير أن جمع أفراد الأسرة والتقريب بين أعضائها لا يكون له الأثر التربوي المرغوب إلا إذا صاحبه تبادل في الخبرات والآراء والأفكار ، وهذا ما تفقده الأسرة المعاصرة عندما تجتمع أمام شاشة التليفزيون لأن كل عضو فيها إنما يرى ما يراه من زاويته الخاصة متأثرا بظروفه وخبراته الشخصية وتكون حصيلة ما يشاهده

عضو في الأسرة مختلفا تماما عن حصيلة أي فرد آخر في نفس الأسرة ، ويترتب على هذا أن الخبرات والقيم التي تنمو وتثبت في نفوس الناشئة تصبح مع مرور الوقت مختلفة تماما عن تلك التي يحاول الآباء غرسها في نفوس أبنائهم .

ومن ناحية أخرى ، قد تتأثر الأسرة بالقيم التي يبثها التليفزيون من خلال أفلامه ومسلسلاته ، فالكثير من هذه القيم التليفزيونية قد حلت تماما محل القيم التي تغرسها الأسرة في أبنائها ، فالأطفال والصغار عندما يتابعون الأفلام والمسلسلات التليفزيونية قبل أن يتعلموا القراءة والكتابة يستطيعون إدراك معاني كثيرة من معاني الحياة ولكن بشكلها التليفزيوني فيرسخ في ذهن الطفل منذ نعومة أظافره -على سبيل المثال - تمجيد الفنانات والممثلات ونجوم الكرة والمصارعة والحواة على حساب أصحاب المهن المنتجة الأخرى كالأطباء والمهندسين والمعلمين والعلماء في شتى تخصصاتهم ، فتكون نتيجة ذلك تغير نظرة الطفل إلى أمه وأبيه مع مرور السنين ، ويتأثر سلوكه معهم وتتضاءل استجابته لنصحهم وتوجيهاتهم لهؤلاء الصغار .

ومن ثم يجب إعادة النظر في السياسة الإعلامية لتأخذ الشكل التثقيفي التربوي البناء من أجل تدعيم القيم والمبادئ المرغوبة وإكساب الأفراد القدرة على الاختيار بين الثمين و الردئ من السلع الإعلامية .

مراجع الفصل الرابع :

١. إبراهيم إمام : **الإعلام الإذاعي والتليفزيون** ، دار الفكر التربوي ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

٢. إميل فهمي حنا : **التربية السياسية والوعي السياسي لدى طلاب كليات التربية** (دراسة ميدانية) ، الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨ .

٣. أمين عباس عبد البديع : **اتجاهات السياسة الإنمائية في دول العالم الثالث** ، المجلة الاجتماعية القومية ، المركز القومي للبحوث القومية والجنائية ، القاهرة ، يناير ١٩٧٨ .

٤. جامعة الإسكندرية : **الشباب المصري في إطار التنمية الاجتماعية والاقتصادية** ، بحوث إعادة بناء الإنسان المصري ، مطبعة جامعة الإسكندرية ، الإسكندرية ، ١٩٨٠ .

٥. حامد ربيع : **نظرية القيم السياسية** ، نهضة الشروق ، ١٩٧٤ .

٦. حامد ربيع : دور وسائل الإعلام في التثقيف السياسي ، **دورة قيادات الشباب بالحزب الوطني** المدة بين ١٠/١ - ١٩٨٠/١/٢٠ مركز النيل للإعلام والتعليم والتدريب .

٧. سعيد إسماعيل على ، فاروق اللقاني : **الأصول السياسية للتربية** ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٧٧ .

٨. صلاح الدين جوهر : نحو بيئة تربوية أنقى ، جامعة قطر ، **حولية كلية التربية** ، السنة الثانية ، العدد(٢) ، ١٩٨٣ .

٩. عبد الفتاح حجاج : التربية والتنمية السياسية ، **حولية كلية التربية** ، جامعة قطر ، السنة الأولى ، العدد الأول ، ١٩٨٢ .

١٠. عبد العزيز شرف : تكنولوجيا الإعلام والمجتمع الحديث ، **الفيصل** ، العدد (٨) يناير ، ١٩٧٨ .

١١. عبد العزيز شرف : وسائل الإعلام ومستقبل الطفل العربي ، **الفيصل** ، العدد(٣١) ، ديسمبر ١٩٧٩ .

١٢. عبد الملك عودة : دور وسائل الإعلام في حل المشكلات الاجتماعية ، **دورة قيادات الشباب بالحزب الوطني** المدة بين ١/١٠ - ١٩٨١/١/٢٠ .

١٣. عفاف طبالة : الاتصال الجماهيري والرأي العام ، (الإذاعة والتليفزيون) ، **دورة أخصائي رأي عام** ، مركز النيل للإعلام والتعليم والتدريب ، المدة بين ٦/١ -١٩٨٠/٦/١٠ .

١٤. فاروق عبد حسن فليه : التثقيف السياسي وعلاقته بالمستوى التعليمي ، دراسة تحليلية ، **مجلة كلية التربية بدمياط** -جامعة المنصورة ، العدد(١١) الجزء الأول ، يناير ١٩٨٩ .

١٥. فوزية دياب : **القيم والعادات الاجتماعية** ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

١٦. محمد الهادي عفيفي : **في أصول التربية ، الأصول الثقافية** ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٧ .

١٧. محمد البيلي : وكالة الأنباء وطريقة استخدامها والاستفادة منها ، " **دورة أحدث الوسائل الإعلامية المستخدمة في مجال الإعلام** " الفترة بين ١/٢٠ - ١٩٨١/١/٢٦ ، مركز النيل للإعلام والتعليم والتدريب

١٨.محمد شرف : دور وسائل الإعلام في التنمية ، دورة أحدث الوسائل الإعلامية المستخدمة في مجال الإعلام ، في الفـــترة بيـــن ١/١٠ - ١٩٨١/١/٢٦ ، مركز النيل للإعلام والتعليم والتدريب .

19.Andreas m. kazamaias : Education and the Quest for modernity in Turkey (Chicago university of Chicago press 1966) .

20.Andreas m. kazamaias and Byron G. Massialas : Tradiations and change in Education .A. Comparative study .(Englewood Cliffs ,N.J. press 1965)

21 Byron Massialas (ed.) : Education and the Political system .(Reading Man . Addison Wesley 1969)

22.C.wright mills : the Pouser Elits : (New yourk Ox.ford university press 1959) .

23.Carter Good : Dictionary of Education N.Y. Mc. Graw Hall 1973

24.Ellen Shates : the Political Education of the High school students in : Byron Massialas (ed.) Political youth Traclitional Perspective (Englewood Cliffs ,N.J.Prentice Hall 1972) .

25.Eric Rome : Modern Political An introduction to Behaviour and institution London , Routledge Kogan Paul 1979 .

26.Frederick W. Frey : the Turkish Political Elite (Cambridge : M.I.T. Pres) .

27.James Coleman : (ed.) Education and Political Development . Princeton : Princeton university press .1965 .

28.Jennings , Robert E. : Education and Political , B.T. Bats ford , London 1977 .

29 John E.P. : Modern Elementary slatistics , 5the ed. Printice Hall of India New Delhi 1979 .

30.Kindel bleger , C.D. : Economic Development S.E. Harris

(ed.) Mc. Graw Hill Tochyo 1965 .

31 J.P : Guilford : Fundamental statistics in Psychology and Education (TVD) Mc. Graw Hill , Company 1965 .

32.M. Ruch and P. Althof : An introduction to Political Psychology , London , delson , Sons , 1971 .

33. Molosicy , H : Political Participation introduction Encyclopedia of the social Sciences vol. 12 .

34.MyrorWliner: Political Participation crisis of Political Procession L. Binder (ed.) crisis and sequences in Political Development (Princeton) : Princeton university press 1971)

35 T.S. Bottomorf : Elites and society Homond worth Penguin 1966 .

36.young , Dran,R : systems of Political Sciences Prentice Hall , Inc Englewood Cliffs N.J. 1958 .

الفصل الخامس

بوليتكنيكا

الثقافة والتربية والاعلام

مقدمة :

يعتبر جهاز الثقافة الجماهيرية من أهم مؤسسات الدولة الثقافية بحكم الوعي بالمسئولية القومية وبالاستراتيجية الثقافية وأبعادها التي تتحرك في أطر تخدم الأهداف القومية بحكم قربها والتصاقها بحركة الجماهير في المدن والقرى وأهدافها الاستراتيجية هي :

١- استلهام التراث الفكري والفني للشخصية المصرية .
٢- القضاء على التخلف الثقافي عن طريق توسيع رقعة المستفيدين بالعمل الثقافي والوصول بالنشاط الى المناطق النائية في القرى والنجوع البعيدة .
٣- تفجير طاقات الابداع الفني لدى الجماهير .
٤- اكتشاف ورعاية المواهب الشابة الواعدة في مختلف مجالات الفنون والعلوم .
٥- إشاعة النظرة العلمية ودعم القيم الروحية والدينية كأساس راسخ في انطلاق المجتمع الجديد .

ويختلف جهاز الثقافة الجماهيرية اختلافا واضحا عن غيره من الأجهزة الثقافية والفنية الأخرى وذلك من خلال أسلوب التعامل والتفاعل المباشر مع جماهير الفنانين والمبدعين في المجالات المختلفة ، فهي ليست جهاز يعرض فنون وإبداعات جاهزة لجمهور سلبي ، ولكنها شكل من أشكال تنظيم المبادرة الفعالة لهذا الجمهور والتقاط ورعاية الفنانين الذين يبرزون في صفوف الجمهور بالمدن والقرى المختلفة . وقصور الثقافة هي إحدى أدوات الثقافة الجماهيرية .

والتربية البوليتكنيكية نوع من العمل التربوي يجمع بين الجوانب المعرفية المختلفة ، وهي لا تعني نوعا تعليميا مهنيا أو فنيا فقط ، وإنما نوع من التربية المتنوعة والتي تراعي حرية استعداد الفرد وما يتناسب معه والعمل التربوي ، لهذا يطلق عليها أحيانا بالتربية الحرة .

وقصور الثقافة كأداة من أدوات الثقافة الجماهيرية فهي تقوم بتقديم الكثير من الخدمات الثقافية لجميع الأفراد في جميع الأعمار ، كما تكشف ابداعاتهم وتعمل على تنمية مواهبهم وتقدم لهم السبل المختلفة لذلك ، كل حسب قدراته واستعداداته بما يعود على الأفراد بالتنمية الشاملة اقتصاديا واجتماعيا .

وإذا كانت التربية البوليتكنيكية هي التربية الحرة بمفهومها الواسع فهل هذا النوع من التربية يشابه في نوعه ما تقوم به قصور الثقافة في صورة الأنشطة المختلفة المقدمة للفرد ؟

وهنا يبرز التساؤلات التالية :

- **ما الفلسفة التي تقوم عليها الأنشطة في قصور الثقافة ؟**
- **ما علاقة فلسفة الأنشطة في قصور الثقافة بالبوليتكنيكية ؟**

وفي سبيل الاجابة على هذه التساؤلات سوف يتم الدراسة في هذا الفصل من خلال المحاور التالية :

- **المحور الأول** : مفهوم التربية البوليتكنيكية .
- **المحور الثاني** : فلسفة الأنشطة في قصور الثقافة من منظور البوليتكنيك .

- **المحور الثالث** : العلاقة بين فلسفة الأنشطة في قصور الثقافة والتربية البوليتكنيكية .

وسوف نتبع في ذلك المنهج الوصفي التحليلي ، حيث يمكننا من الوقوف على الفلسفة التي تقوم عليها الأنشطة في قصور الثقافة وعلاقتها بالبوليتكنيك .

*** المحور الأول : مفهوم التربية البوليتكنيكية :**

البوليتكنيك : وتعني سد الفجوة بين التعليم والتدريب المهني والعملي فهي تربية تجمع بين الجوانب المعرفية المختلفة ، فهي لا تعني تعليما مهنيا أو فنيا فقط ، وإنما هي نوع من التربية المتنوعة أو ما يعرف أحيانا بالتربية الحرة ، فهي تشمل مواد نظرية عامة ومواد فنية عامة حيث تؤدي الى اكساب الفرد الاتجاهات السليمة نحو العمل واحترامه وتقديره وإدراك العلاقة بين طرق الانتاج والمهارات الفنية وأسسها النظرية ، ومعنى ذلك أن يكون التعليم ممتزجا بالعمل المنتج أو بالعمل ذي النفع الاجتماعي ، حيث يطبق التلميذ ما يدرسه من مواد نظرية في المصانع والشركات الانتاجية والمزارع المختلفة ، مكتسبا مهارات الأداء العالية ومتقنا لها ، بما يعود عليه بالنفع في مستقبل حياته .

*** التربية البوليتكنيكية من المنظور الدولي :**

تأخذ صورا متعددة من التعليم الثانوي منها :

١- التعليم الثانوي الشامل ٢ - التعليم الثانوي المتكامل

٣- التعليم الثانوي المتعدد الأغراض ٤- التعليم الثانوي المتعدد التقنيات

وهو تنظيم للتعليم الثانوي – تتبناه العديد من البلـــدان – ويقـــدم منـــهجا عريضا يندمج فيه التعليم العام ، العملي والتقنـــي ، وذلـــك ليســـتجيب لحاجات الطلاب ذوي الاستعدادات أو الاهتمامات المختلفة ، وعادة مـــا تكون بعض الموضوعات الدراسية في أفرع معينة مثل : (الرياضيـــات والعلوم والتكنولوجيا والآداب) إجبارية فيما عدا ذلك واعتمـــادا علـــى المستقبل التعليمي والوظيفي وكذلك على قدرات واستعدادات الطـــلاب ، فإنه يتاح لهم موضوعات اختيارية يكمل بها منهجهم .

ويمكن دراسة مفهوم وواقع **التربية البوليتكنيكية** مـــن خـــلال دراسة بعض الأيديولوجيات المختلفة ، وتطورها التاريخي ، وصولا بها الى الحاضر ، رغم التغيرات التي طرأت في السنوات الأخيرة وظـــهور النظام العالمي الجديد ذو القطب الواحد ، ولكن لغرض الدراسة ســـنتتبع مفهوم التربية البوليتكنيكية في النظـــام الاشـــتراكي ومفـــهوم التربيـــة البوليتكنيكية في النظام الرأسمالي ، ثم التربية البوليتكنيكية في مصر .

أولا : التربية البوليتكنيكية في النظام الاشتراكي :

وهي تتضمن المعرفة بالفروع الرئيسية للاقتصاد والعمـــل فـــي الانتاج والصناعة وتتضمن المبادئ الآتية :-

١- المبادئ الاقتصادية والاجتماعية للإنتاج الاشتراكي ، مثـــل الملكيـــة العامة لوسائل الانتاج ، وتخطيط التنمية الاقتصادية وزيادة الطاقـــة الانتاجية وحماية مصالح العمال .

٢- المبادئ الفنية والعلمية الاقتصادية التي تتضمـــن التطبيـــق الواســـع

للعلوم على الصناعة واكتشاف طرق جديدة للإنتاج وتطوير التشغيل الذاتي أو الآلي .

٣- تنظيم الجوانب الاقتصادية التي توضح أثر تحـول طـرق الانتـاج بالنسبة للعمل من العمل الفردي الى العمل الجماعي .

وتتضح واجبات التربية البوليتكنيكية في هذا النظام في : -

- العمل على رفع وزيادة الانتاج والتدريب للعمـال مـن أجـل عـالم صناعي متغير وجديد .
- ترقية وتنمية النمو المتكامل للفرد حتى يسهم مساهمة فعالة في بنـاء المجتمع من أجل استمتاع كل فرد بوقت فراغه .

وتتشابه التربية البوليتكنيكية في النظام الاشتراكي ومثاله الاتحـاد السوفيتي سابقا ، مع التربية فـي المدرسـة الشاملـة Polytechnical Education في النظام الرأسمالي ومثاله انجلترا والولايـات المتحـدة الأمريكية وكندا وكثير من الدول الأوربية الآخذة بفكرة المدرسة الموحدة فعلى مدى إحدى عشر سنة تمتد التربية البوليتكنيكية في المدرسة الشاملة الكاملة ، وبملاحظة نسبة المـواد المختلفـة فـي الخطـة الدراسـية الأسبوعية يمكن التعرف على مدى أهميتها وهي :

- ٣٦٪ دراسات انسانية .
- ٣٢,٥٪ مواد عامة (رياضيات وعلوم).
- ٢١٪ تدريب يدوي وتجاري وانتاج ومهارات فنية هامة .
- ١٠,٥٪ تربية فنية وتربية رياضية .

فنظام التعليم في الاتحاد السوفيتي سابقا ، يستند الى فلسفة خاصة تلائم الأيديولوجية السياسية التي تؤمن بها الدولة ، ومن أجل ذلك تـــهتم الدولة بالعناية بإعداد الفرد لخدمة المجتمع مع تزويده بالمهارات المختلفة اللازمة لمواجهة الحياة العملية في مختلف مراحـــل نمـــوه . فــاهتمت بالمناهج النظرية بجانب الدراسات المهنية والفنية ، حيث توجد مـــدارس موحدة تجمع بين سنوات التعليم الابتدائي والمتوسط ، وتعتمد على الربط بين الدراسات العامة والفنون العملية فتتم الدراسة تبعا لميــول وقــدرات واستعدادات الطلاب وبما يحقق احتياجات التنمية الاقتصادية مع مراعاة الفروق الموجودة بين البيئات الطبيعية في الأقاليم المختلفة ، ويتم تزويــد الطلاب بالتدريب العملي على الانتاج ، حيث يدرس تعليم عــام بجــانب تدريب مهني في أحد فروع الاقتصاد القومي .

ثانيا : التربية البوليتكنيكية في النظام الرأسمالي :-

تتمثل في التعليم بالمدارس الشاملة حيث تشتمل على أنواع مختلفة من التعليم الثانوي ، ويقبل فيه جميع التلاميذ بدون تمايز وقد بنيت على اعتبارات اجتماعية وتربوية منها :

١- القضاء على طبقية التعليم الثانوي .
٢- تكافؤ الفرص التعليمية للجميع .
٣- التغلب على مشكلة القبول والاختيار للتعليم الثانوي .
٤- مواجهة الحاجات المختلفة للتلاميذ بتنوع المقررات وتعددها .
٥- وجود فرص أكبر للتدريب العملي والعلمي .
٦- التسهيلات الإدارية والعملية في توجيه التلاميذ ونقلـــهم مـــن فـــرع

دراسي الى آخر داخل المدرسة وفق استعداداتهم وحاجاتهم .

وتتعدد صور المدرسة الشاملة كالآتي :

- المدرسة الشاملة التقليدية وهي من ١١-١٨ سنة .

- المدرسة الشاملة ذات المرحلتين :

المرحلة الأولى من ١١- ١٣، ١٤ سنة .

المرحلة الثانية من ١٣ ، ١٤ - ١٨ سنة .

- المدرسة الشاملة ذات المرحلتين :

المرحلة الأولى : من ١٢ الى ١٣ ، ١٤ سنة .

المرحلة الثانية : يلتحق بها التلاميذ الذين لا يتقدمون لامتحان الشهادة الثانوية ويبقون بها حتى نهاية سن الإلزام وهو ١٥ سنة .

- المدرسة الشاملة ذات المرحلتين :

المرحلة الأولى : من ١١ الى ١٣ ، ١٤ سنة .

المرحلة الثانية : من ١٣ ، ١٤ سنة ويبقى بها التلاميذ حتى سن الإلزام وله حق الالتحاق بالمدرسة الثانوية الشاملة لمدة ٦ سنوات حتى سن ١٨ سنة .

ثالثا : التربية البوليتكنيكية في مصر :

- التطور التاريخي للتربية البوليتكنيكية في مصر :

لم تدخل التربية البوليتكنيكية التعليم المصري فجأة ، ولكنها مرت بعدة تجارب لتوثيق الارتباط بين البيئة والتعليم في حياة الناشئين منها :

(١) المدارس الابتدائية الراقية : انشئت عام ١٩١٦ بهدف تقوية مواهب

التلاميذ واستعداداتهم والتي تساعدهم على الدخول المبكر في مقر الحياة وامتدت حتى عام ١٩٢٥ بالنسبة للبنين ، أما بالنسبة للبنات فامتدت حتى عام ١٩٥١.

(٢) مدرسة قرية المنايل الريفية بالقليوبية والتي أنشأتها الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية عام ١٩٤٠ ، بهدف ربط أبناء القرية ببيئتهم واكسابهم قسطا من المعلومات النظرية ، ثم انتقلت لوزارة الشئون الاجتماعية عام ١٩٥٤ .

(٣) المدارس الأولية الريفية والتي تم انشاؤها عام ١٩٤٣ بهدف أن يتلقى التلاميذ فيها التعليم الزراعي والصناعات الزراعية الى جانب الدراسة بالمدارس الأولية .

(٤) مدارس الوحدات المجمعة الريفية والتي أنشأت علم ١٩٥٥ للجمع بين الإعداد المهني والتعليمي للتلاميذ في المرحلة الابتدائية .

(٥) المدارس الراقية : انشأت أيضا عام ١٩٥٥ ويلتحق بها من أتم المرحلة الابتدائية بنجاح ، وكانت مناهجها ثقافية وعملية وفقا لاحتياجات البيئة .

(٦) المدارس الاعدادية العملية : انشأت طبقا للقانون ٥٥ لعام ١٩٥٧ على سبيل التجريب مدة خمس سنوات حيث قامت الدراسات الفنية والمهنية والمهارات اليدوية التي مكنت الطلاب من المشاركة في عمليات الانتاج في الأعمال الزراعية والشركات الصناعية والمحلات التجارية ، أي أنها مدرسة تعد تلاميذها للحياة العملية .

(٧) المدرسة الإعدادية الحديثة ذات المجالات العملية : ضمت فيها المدارس الاعدادية كلها عام ١٩٦٣ وجمعت مناهجها بين العملي

والنظري والسماح بالاختيار فيها للبنين والبنات ومراعاة ظروف البيئات المختلفة .

(٨) المدرسة التجريبية الموحدة بمدينة نصر : وقد تم انشاؤها بالتعاون مع ألمانيا الديمقراطية عام ١٩٧٢/١٩٧٣ للربط بين النظري والعملي - وإحداث التكامل بين التعليم والتدريب العملي والاهتمام بالنواحي المهنية والفنية ، حيث يكتسب التلميذ في جميع الصفوف مجموعة من المهارات - تتدرج بما يتفق وسن التلميذ وقدراته الذهنية والعقلية . ويتم ذلك كالآتي :

- الصفين الأول والثاني : استخدام الورق والطين .
- الصفين الثالث والرابع : استخدام الخشب والخزف والبلاستيك .
- الصف الخامس : استخدام المعادن تمهيدا للصفوف من السادس الى الثامن ، حيث تعتبر المعادن عنصر أساسي في الدراسة بعد ذلك ، ثم تعميم المجالات العملية في التعليم الأساسي طبقا للقانون ١٣٩ لعام ١٩٨١ ، حيث أكد في المادة ١٧ على " توثيق الارتباط بالبيئة على اساس تنويع المجالات العملية والمهنية بما يتفق وظروف البيئات المحلية ومقتضيات تنمية هذه البيئات " . وربط التعليم بحياة الناشئين وواقع البيئة التي يعيشون فيها ، بشكل يؤكد العلاقة بين الدراسة والنواحي التطبيقية على أن تكون البيئة وأنماط النشاط الاجتماعي والاقتصادي بها من العناصر الرئيسية للمعرفة والبحث والنشاط في مختلف موضوعات الدراسة .

*** البوليتكنيك والمجالات العملية :**

تهدف المجالات العملية أن يكون

التلميذ قادرا على أن يؤدي بمهارة كل الأعمال التي يحتاج إليها في حياته اليومية في المدرسة وفي المنزل وفي الحياة خارجها ، ليعيشوا كمواطنين في مجتمع عصري وفيها يكتسب التلاميذ مهارات متعددة ومتنوعة تمكنهم من أن يكونوا مواطنين صالحين في وطنهم والتي تتحدد في أربعة محاور رئيسية هي :

- مهارات أساسية وتشمل :

حاجات التلاميذ الشخصية

متطلبات المنزل

متطلبات المدرسة

متطلبات البيئة المحلية

ويتطلب ذلك تنمية قدرة التلميذ على : التعرف على بيئته - التعامل مع البيئة - التحكم في بيئته .

- تحدد هذه المهارات في ضوء مطالب المستقبل للتلاميذ بعد انتهاء دراستهم ، التعليم الأساسي في ضوء المتغيرات المستقبلية المحتملة.
- ابراز العائد الاقتصادي للتلاميذ وأسرهم .
- أن يكون الهدف من تعليم المهارات هو الاتقان وليس مجرد النجاح في الامتحان .
- ربط المواد الدراسية المختلفة بالنواحي العملية والتطبيقية .

٢- الأهداف العامة للمجالات العملية :

- المساهمة في تحقيق التوافق الاجتماعي بين الفرد والبيئة .

- الربط بين التعليم والعمل المنتج .
- المساعدة في عرس انتماء التلميذ لمجتمعه وبيئته ، وذلك يجعل البيئة الخارجية ومصادر الانتاج والثروة المتوافرة في البيئة من بين مصادر المعرفة ومجال البحث والنشاط .
- تأكيد الاهتمام بالناحية التطبيقية للتعليم بالتكامل بين النظرية والتطبيق والربط بين الجوانب العملية والجوانب النظرية للعلم .
- تعويد التلاميذ احترام العمل اليدوي والمهني .
- تدريب التلاميذ على استخدام ما يكون من معارف ومهارات في معالجة ما يقابلهم من مشكلات عملية .
- تشجيع النشاط الابتكاري للتلاميذ في المجالات العملية التي يدرسونها
- اكساب التلاميذ الخبرة والمهارات العملية التي تؤدي الى ممارسة بعض الفنون بمستوى لائق .
- افساح المجال أمام التلاميذ للكشف عن ميولهم واستعداداتهم المهنية والعملية لمعاونتهم على تنميتها لتهيئتهم للانخراط في ميادين الحياة العملية التي تناسبهم ومساعدتهم على التوجه الى نوع التعليم والتدريب الذي يتفق مع استعداداتهم .
- تعريف التلاميذ بمصادر الطبيعة في البيئة والتدريب على كيفية استغلالها .
- التعود على اتباع احتياجات الأمن أثناء تأدية الأعمال المختلفة .
- العناية بالتطبيق في كل ما يدرس حتى يتمكن من توظيف المعرفة والخبرة المدرسية في الحياة داخل البيئة وفي مختلف أنماط الأنشطة الانتاجية .

- استثمار أوقات الفراغ في انتاج أشياء مفيدة للمنزل والمجتمع .
- اتساع إدراك التلاميذ بمدهم بالقدر المناسب من ثقافة تكنولوجية تساير التطورات الحديثة .

وتنقسم المجالات الى أربعة أقسام :-

١- المجال التجاري
٢- المجال الزراعي
٣- المجال الصناعي
٤- الاقتصاد المنزلي .

وكان لتطبيق أسلوب البوليتكنيك في مرحلة التعليم الأساسي في صـــورة المجالات العملية إيجابياته وسلبياته .

أولا : الايجابيات :

١- اتاحة فرص العمل الشريف أمام الشباب الذين انتهت دراستهم بانتهاء مرحلة التعليم الأساسي .
٢- اتاحة الفرصة أمام الشباب للعمل أثناء وقت الفراغ خلال مواصلتـــه للتعليم في مراحله العليا .
٣- المساهمة في حل بعض المشكلات المادية داخل الأسرة حتى يقـــوم التلاميذ بالأعمال الفنية التي تحتاج الى عامل متخصص .
٤- التغلب على مشكلة هجرة الحرفيين الى الخارج بتوفير عمالة فنيـــة سابقة الإعداد .
٥- تعويد التلاميذ على حب العمل اليدوي واكسابهم المرونة اليدوية في سن مبكرة .
٦- المساهمة في حل مشكلات بعض المدارس التي تعاني من نقص في الوسائل التعليمية الجيدة الإعداد .

ثانيا : السلبيات :

١- عدم توافر الأماكن المناسبة للتدريبات العملية في بعض المدارس .

٢- الاحجام عن استعمال التجهيزات والأدوات المعملية التي تزود بها المدارس سواء بواسطة التلاميذ أو المدرسين . وذلك لعدم وجود أماكن مناسبة للتخزين أو عدم التدريب الكافي للمدرسين على استخدامها وكذلك ارتفاع الكثافة داخل الفصول وتعدد الفترات الدراسية في اليوم الدراسي .

٣- عدم اقبال الكثير من المدرسين بتدريس المجالات العملية لأن ذلك يحرمهم من مزاولة نشاط الدروس الخصوصية .

٤- اختيار المجالات يتم وفقا للكثافة البشرية اللازمة للتدريس يحرم التلاميذ من فرص اختيارهم لها .

المحور الثاني : فلسفة الأنشطة في قصور الثقافة من منظور البوليتكنيك:

يتم دراسة هذا المحور من خلال عرض لبعض التجارب العالمية في هذا المجال ، وللفلسفة التي تقوم عليها ، وكذلك من خلال فلسفة الأنشطة في قصور الثقافة المصرية (تاريخها - واقعها) .

أولا : بعض التجارب العالمية :

١- *تجربة الدانمارك* :

كان الهدف الأساسي من الحركة الثقافية في الدانمارك هو تعليم الأهالي بأسلوب حيوي لتاريخ بلادهم والبلاد الأخرى لبث الاعتزاز القومي والقضاء على المحاولات الاستعمارية الفكرية

بالإضافة الى فروع أخرى من الثقافة والمعرفة ، ومنذ ذلك الحين وتعتبر الدانمارك اصل هذه الحركة الفكرية الاجتماعية ، وأخذت عنها الدول الأخرى بما يتلاءم وطبيعة البيئات المتباينة أفتتح الكثير من المدارس التي لا تعرف الامتحانات ولا الدرجات ، يتلقى فيها الرجال والنساء تاريخ بلادهم وتراثهم الفكري ، إلا أن حركة الثقافة الجماهيرية في الدانمارك تقودها الأجهزة التالية :

١ - المدارس الشعبية .

٢- المدارس المسائية العامة .

٣- مدارس العمال .

٤- المدارس التعاونية .

٥- مدارس بيوت الشباب .

ولكل مدرسة من هذه المدارس رسالة وغاية ومنهاج . وتتلاقى في عدة نقاط مها ، أنها معاهد مشتركة للسيدات والرجال واشتراكاتها السنوية زهيدة جدا ، وتعتمد ماليا على معونات الحكومة والأهالي . كما أن الشعب الدانماركي يحب تلك المدارس لما يجد فيها من اساليب تحقق المتعة العقلية والنفسية مما يؤكد صلاحيتها لأن تكون مركز اشعاع ثقافي

٢- *تجربة فرنسا* :

إيمانا بالعلم والمعرفة والمثل العليا تعالت صيحات رواد الحركة الفكرية والثقافية في فرنسا ، بإعطاء الشعب نوعا من التعليم يهتم بوقت الفراغ ، وتهدئة المنازعات الاجتماعية وتجعل العمال أكثر تعقلا وتمثلت هذه الجهود حينذاك في المحاضرات والقراءات في

مجال الدين والأخلاق والتاريخ .

وبعد بضع سنوات توالت خلال التجارب في ميدان الثقافة الجماهيرية وصلوا الى ما أطلق عليه " كاتدرائيات الديمقراطية " وهي الجامعات الشعبية ،وهذا الشعار يوضح إيمان المسئولين عنها بالمعرفة كضمانة لتقدم الشعب وتحريره من الجهل والتحزب ، ولقد اعتبر رواد الجامعات الشعبية ان هذا هو السبيل لإخراج الشعب من حالة الانتظار والأحلام ليدخل في طور التفكير الواضح والعمل الإيجابي .

وكان من اختصاص مديرية التربية الشعبية - والتي أنشئت في عام ١٩٤٥- أن تكمل أنظمة التعليم المختلفة وذلك بأن تعاون وتنسق وتراقب فعالية أعمال ما بعد الدراسة التي تقوم بها مؤسسات الشباب وغيرها من المنظمات بهدف رقي التفكير والارتفاع بمستوى الثقافة والوعي للأمة الفرنسية ، إلا أنه كانت هناك بعض الجهود الشعبية في مجال الثقافة ، ويؤكد ذلك وجود عشرات من الأجهزة المتخصصة في العمل الثقافي بعضها قديم مثل " عصبة التعليم " التي تأسست عام ١٨٦٦ والآخر حديث مثل " شعب وثقافة " ، مركز الثقافة العمالية " ، وبجانب تلك الجهود الشعبية ، الجهود الرسمية من جانب الدولة وتتمثل في وزارة الشئون الثقافية والشباب والرياضة ، ما أقيم في هذا الصدد :

أ- معاهد اعداد المحرك الثقافي : وهي مهيأة لاستقبال الشباب من جميع أنحاء العالم للتدريب على العمل الثقافي وهي معاهد معدة بامكانيات التدريب الكامل في شتى المجالات الثقافية من مسرح وموسيقى وسينما وفنون تشكيلية .

ب - بيوت الثقافة : عددها في فرنسا لا يتعدى (٧) وتشمل قاعة عرض سينمائي وقاعات للمعارض والحفلات والموسيقى .

ج - بيوت الثقافة والشباب : وهي مسئولة وزارة الشباب وتعتبر مجمعات للشباب لقضاء بصورة مثمرة حيث تمارس الهوايات التي ترضي ميول الشباب .

د - المؤسسات الثقافية الخاصة : وتقوم بنفس الرسالة التي تقوم بها بيوت الثقافة والشباب .

٣- *تجربة الاتحاد السوفيتي (سابقا)* :

بدأت الدولة السوفيتية تبذل كل جهد لتعريف الشعب تاريخه وتاريخ الأمم الأخرى وكنوزها الثقافية ، ففي عام ١٩١٧ عقب الثورة الاشتراكية نشرت أعمال لمفكرين عالميين وقوميين ـ لعب النشر دورا هاما وحاسما تجلى في نجاح المشروع وتخطيه المعدلات المقررة ، لقد تولد عن هذا التراث التاريخي نشر المعرفة وعن الارهاصات الثورية عقب ثورة ١٩١٧ تنظيم جماهيري قائم على أساس التطوع من المثقفين السوفيت تحت شعار " المعرفة للشعب " .

وتحت هذا اشعار " المعرفة للشعب " أنشئ الكثير من " جمعيات المعرفة " و " بيوت الثقافة والشباب " إلا أن هذه الجمعيات وبيوت الثقافة تشترك في أهداف عامة تتحقق من خلال :

أ- مساعدة العمال في الصناعة والزراعة على تحسين مستوى تأهيلهم

ب- تمكين الشعب من المعرفة في مجال الاقتصاد والفلسفة والقانون والتربية .

ج- نشر العلم بين الجماهير .

د- مساعدة كل مواطن سوفيتي على اشباع اهتماماته في أي فرع من فروع المعرفة سواء في العلوم الطبيعية أو الاجتماعية أو التكنولوجية أو الأدبية أو الفنية .

٤- تجربة المجر :

بدأت جمهورية المجر الشعبية في دعم شبكة قصور الثقافة منذ عام ١٩٤٩ وكان أهم أهدافها :

أ - وضع نهاية الاحتكار الثقافي للطبقات المترفة وأثرياء الريف .

ب - منح قوى الشعب العامل الثقافة التقدمية ومعطيات الحضارة الانسانية

ج - القضاء على الأمية وتزويد الأهالي بالثقافة العامة والمعرفة الضرورية .

وتقوم قصور الثقافة بالدور الرئيسي في عملية التغيير الثقافي في المجر مع وجود زيادة مطردة في عددها حيث تبلغ ٣٨٩٨ قصرا ثقافيا تغطي احتياجات حوالي ١٠ مليون مواطن مجري وحوالي ١٠٠ مليون زائر سنويا ،وذلك مقابل ٢٤٦٠ قصرا ثقافيا في الفترة بين ٤٩-١٩٥٩ وبتنوع النشاط الثقافي لهذه القصور ما بين فرق مسرحية ومكتبات يبلغ عددها ٢٢٠٠ مكتبة عامة من بين ٦١٦٢ مكتبة بالإضافة الى الفرق المسرحية والمعارض الفنية المختلفة والمعارض الدورية للفنون التشكيلية والتي تشبع رغبات المواطنين والزائرين في مجالات الخدمة العامة والاستمتاع بأوقات فراغهم .

وتوجد علاقات متبادلة وثيقة الصلة بين قصور الثقافة وكل من المؤسسات التعليمية والتربوية بكافة مستوياتها ، وكذلك المكتبات العامة والمنظمات الثقافية والاجتماعية والسياسية من مختلف مستويات الانتاج حيث تقوم قصور الثقافة بتهيئة أسباب المعرفة لكل ما له قيمة عامة من الأعمال العظيمة في الماضي والحاضر .

ثانيا : فلسفة الأنشطة في قصور الثقافة المصرية :

لم تعد جماهيرية الثقافة ترفا مقصورا على طبقة أو شريحة اجتماعية بعينها ، وإنما أصبحت سمة العصر ، تكتسب طابعها الجماهيري من اشعاعها لثقافة قومية شاملة تنتشر وتتغلغل بين أفراد المجتمع ، تتمثل فيها الوحدة الوجدانية والفكرية وتحقق تطوير وتنوير الانسان وتساعده على تحقيق انسانيته على المستوى الوطني والقومي ، وتعتبر قصور الثقافة إحدى مراكز الاشعاع الثقافي لجامعة الثقافة الحرة والتي تتحدد أهدافها في :

- رفع مستوى الكفاية العملية والعلمية .
- شغل أوقات الفراغ بما يعود بالنفع على المواطن ويحميه من الانحراف .
- رفع الفرد الى المجتمع والمجتمع الى الاشتراكية وممارسة الحياة الديمقراطية التعاونية وإذكاء الشعور بالمسئولية .

- ***التطور التاريخي للأنشطة في قصور الثقافة المصرية :***

لقد ظهرت حركة الثقافة الجماهيرية (شعبية في مصر) في نهاية

الأربعينات من القرن العشرين متأثرة بالاتجاهات الغربية في ذلك الوقت حيث كانت الرئاسة التقليدية المسئولة عن توجيه الأمور في مختلف نواحي العمل السياسي والتنفيذي تنظر الى الدول الغربية في قدسية وتبجيل واعتبار مؤسساتها التعليمية والثقافية هي النموذج الأمثل والواجب أن يحتذى به .

لقد كان لرفاعه الطهطاوي وعبد الله النديم ومحمد فريد محاولات شعبية جادة للثقافة الجماهيرية ، وعن مقولات محمد فريد التي تنم عن إيمان كامل بالثقافة الجماهيرية ودورها الحيوي في استنفار الانتماء الوطني قوله : " مما يزيد سروري أن شعراء الأرياف وضعوا عدة أناشيد وأغان في مسألة دنشواي وما نشأ عنها ، وفي المرحوم مصطفى كامل باشا ومجهوداته الوطنية ، وفي موضوع قناة السويس ، ورفض الجمعية العمومية لمشروعها ، وأخذوا ينشدونها في سمرهم ، وأفراحهم على آلاتهم الموسيقية البسيطة ، وهي حركة مباركة إن شاء الله تدل على مجهودات الوطنيين ، قد أثرت ووصل تأثيرها الى أعماق القلوب في جميع طبقات الأمة ، وتبشر باقتراب زمن الخلاص من الاحتلال ومن سلطة الفرد بإذن الله .

وفي ٢٥ ديسمبر ١٩٠٨ تضمن التقرير السنوي للحزب الوطني بزعامة محمد فريد قرارا بانشاء مدارس الشعب لمكافحة الأمية بنوعيها العلمي والسياسي ، حيث قام بالتدريس بها محمد فريد وأنصاره ، مثل عبد العزيز جاويش ، أحمد لطفي السيد ، عمر لطفي ، للعمال وأرباب الحرف الصغيرة وذلك لتوفير الثقافة السياسية والاجتماعية

للعمال في المدن وتعليم القراءة والكتابة ودروس الدين وقانون الصحة والاحتياطات الصحية والعناية بتربية الأطفال ، والحساب وتاريخ مصر الإسلامي والأخلاق والآداب ، ثم ظهرت الحركة الجماهيرية عملا وفكرا كجهاز من أجهزة الدولة عندما أصدر الدكتور عبد الرزاق السنهوري باشا وزير المعارف العمومية في ١٠ اكتوبر ١٩٤٥ القرار رقم ٦٥٤٥ بإنشاء جامعة شعبية بمدينة القاهرة لتعطي الفرصة للمواطنين الكبار الذين فاتهم قطار التعليم ، أو الذين لم ينالوا من الثقافة والمعرفة القدر الذي يجعلهم في مصاف المواطنين الصالحين المنتجين حيث بدأت عملها بالقاهرة في ٤ فبراير ١٩٤٦ ، وكان لنجاحها في أداء وظيفتها أن أنشأت الوزارة خمسة عشر فرعا لها في عواصم المديريات أطلق عليها اسم " المراكز الثقافية " ، وفي ١٧ مايو ١٩٤٨ عدلت التسمية الى " مؤسسة الثقافة الشعبية " بمرسوم ملكي لتدعيم كيانها وتوضيح أغراضها حتى يتحقق لها الاستقرار . حيث اتسعت رسالتها ولم تعد تقف عند حد تعليم الكبار أو تثقيف الراغبين في المعرفة والثقافة ، بل شملت التدريب على الهوايات والفنون المختلفة في أوقات الفراغ بقصد تنمية معلومات المواطنين وزيادة كفاءتهم بما يعود عليم بالخير .

وكانت أهداف المؤسسة هي :-

أ- العمل على نشر الثقافة العامة بين أفراد الشعب على أساس الرغبة والاستعداد الشخصي .

ب- المساهمة في إيقاظ الوعي عن طريق العمل على رفع المستوى العام الفكري والاجتماعي .

ج- تنظيم دراسات عملية وفنية بقصد تكوين الشخصية وترقية الملكات

ورفع المستوى الثقافي .

د- العناية بنواحي النشاط الاجتماعي والرياضي .

وقد كان لمؤسسة الثقافة الشعبية دور بارز في تعريف المواطنين بأهداف ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، كما أسهمت بدور كبير في التعبئة القومية أثناء الأزمات السياسية الضارية التي مرت بها مصر والثورة مثل معركة تأميم قناة السويس ومعركة بور سعيد ١٩٥٦ ، كما قدمت المتاح لديها من موارد مادية وقوى بشرية وبرامج لتنوير الرأي العام وتبصيره بخفايا الاستعمار وألاعيبه ، واستمرت مسيرة المؤسسة التثقيفية من خلال ٢٠ مركزا للثقافة في المحافظات لها ٥٤ فرعا في المدن والقرى وشملت عضويتها التجار والزراع والموظفين وربات البيوت بالإضافة الى الفتيان والفتيات الذين عاقتهم ظروفهم عن الالتحاق بمدارس التعليم العام .

وفي عام ١٩٥٧ ، حيث جسدت السلطة السياسية والتنفيذية التوجيه الخلاق للرئيس جمال عبد الناصر نحو إعادة النظر في الثقافة وأجهزتها لتصبح أداة فعالة في خدمة الانسان ، وأنشئت وزارة الثقافة التي أخذت على عاتقها مهمة القضاء على الآثار السلبية التي دفع بها الاستعمار بعض مقومات الشخصية الوطنية والتي أبعدها أثرا ما يتصل بنفوس البشر وعقولهم ووجدانهم ، حيث قامت بإحياء واستنفار روح القوة والعزة ونشر الوعي وتهيئة المواطنين للقيام بدورهم الايجابي الفعال في المشاركة الشعبية في حكم مصر ديمقراطيا وتقرر تغيير اسم مؤسسة الثقافة الشعبية الى " جامعة الثقافة الحرة "

وفروعها في الأقاليم الى " المراكز الثقافية " .

وقد أعطى حق الانتساب لكل من الجنسين علـــى ألا يقـل سـن المنتسب عن السادسة عشرة وأن يكون ملما بالقراءة والكتابة ، ثم جاءت قصور الثقافة كنتاج للحركة الثقافية لجامعة الثقافة الحرة ، حيث تضمنت المرحلة الأولى من خطة التنمية إنشاء ١٥ قصرا للثقافة .

*** رسالة قصور الثقافة في مصر :-**

١- العمل على نشر الثقافة بين المواطنين على أساس الرغبة الشخصية دون التقيد بمؤهلات معينة .

٢- المساهمة في إيقاظ الوعي والشعور بالمسئولية وتوضيـح واجبـات الأفراد القومية .

٣- نشر أنواع النشاط الثقافي والفني الذي تمارسه إدارات وزارة الثقافة الى المدن والقرى لينتفع بها أكبر عدد من أفراد الشعب .

٤- تنظيم دراسات لمن يرغب من الجنسين في توسيع مداركهم ورفـع مستوياتهم ومعاونتهم في الاستمرار على تثقيف أنفسهم .

٥- تدريب الراغبين منهم على تنمية الفنون والهوايات لديهم .

٦- معاونة المواطنين في مختلف المدن والرقى علـى تـذوق الفنـون والآداب .

٧- بث التربية القومية والخلقية بين المواطنين .

٨- شغل أوقات الفراغ بما يعود بالنفع على المواطنين .

*** واقع الأنشطة في قصور الثقافة المصرية :-**

تتيح قصور الثقافة لكل فرد أن يرتوي من نبع الثقافة خلال شريانه الممتد من شمال الدلتا لأقصى الصعيد ولكل من يرغب في التزود بجرعات ثقافية أو تنمية المواهب الفنية والابداعية ولرعاية أطفال مصر ثقافيا حتى يشبوا مسلحين بالثقافة والعلم .

فتبذل الثقافة الجماهيرية جهودها الخصبة من خلال قصور الثقافة في شتى المجالات والميادين في الفنون الجميلة - المسرح - السينما - الموسيقى - ثقافة الطفل - القرية - ثقافة الشباب - الثقافة العامة ، تضم نوادي المرأة ونوادي العلم بجانب المحاضرات والندوات الثقافية لصقل الشخصية ، كذلك في مجال المهرجانات والعلاقات العامة والفنون الشعبية والمكتبات والنشر .

كما تشجع الفنون التلقائية في مجال الفن الشعبي والحرف البيئية في عروضها الناجحة ، لقد بلغ عدد قصور الثقافة المنتشرة على مستوى الدولة ٤٤ قصرا يرتبط بها ٦ مراكز طفل متخصص ، و٢٥ نادي طفل و٩١ مكتبة فرعية ، و٦ قصور متخصصة بالقاهرة والاسكندرية ، ٨١ فرقة موسيقية بالأقاليم ، ١٨ فرقة فنون شعبية وكذلك ٢٤ نادي سينما .

يتنوع النشاط الثقافي في قصور الثقافة ويشمل النشاطات الثقافية الآتية

١- نشاط مسرحي .

٢ - نشاط موسيقي .

٣ - نشاط سينمائي .

٤ - فنون تشكيلية وتتضمن الآتي :

- محاضرات وندوات .
- معارض فنية .
- دورات فنية (انتاج بيئي) .
- معارض للحرف البيئية .

٥ - نشاط مكتبات وتتضمن الآتي :-

معارض - محاضرات - ندوات - مسابقات .

٦ - نشاط ثقافة عامة ويتضمن :-

محاضرات - ندوات ولقاءات أدبية - دورات محو أمية .

٧- نشاط القوافل والمهرجانات .

٨- ثقافة القرية ، حيث يتضمن :

أسابيع ثقافية - محو أمية - دراسات وبحوث ثقافية - وكذلك المشاركة في مسابقة " نحو ابداع مصري اصيل " وذلك في مجال بحوث البيئة والتنمية الثقافية .

٩- وتولي قصور الثقافة اهتمامات كبيرة نحو ثقافة الطفل حيث تشمل النشاطات التالية :

مكتبات - فنون تشكيلية - سينما وفانوس سحري - موسيقى ومسرح ورحلات - بالإضافة لنشاط الإدارات المركزية لثقافة الطفل والمتمثل في :

- تجميع الأبحاث من الجهات المختصة في أبحاث الطفولة وفهرستها لتكون مرجع للأبحاث .
- تجميع أبحاث الأطفال من المدارس وقصور الثقافة وتقييمها .
- طبع استمارات استبيانية للأعمال الفنية للإدارة المركزية لزيادة

وعي الطفل الثقافي بهذه الأبحاث وتزويده بخبرات ثقافية ، حيث تؤدي الى اتساع أفقه وتنمية مواهبه

- القيام بأبحاث خاصة عن الطفل تشمل النواحي التربوية والنفسية والفنية .
- إجراء بحث ميداني عام تحت اشراف متخصص .
- تنظيم دورات تدريبية للعاملين في مجال الطفولة على مستوى قصور الثقافة وبيوت الثقافة .

وهكذا تتعدد أوجه الأنشطة التربوية في قصور الثقافة ، حيث تتنوع حسب الأعمار الزمنية للأفراد ، وكذا درجة النضج لدى الأفراد حيث توجه نحو تحقيق حاجات الأفراد من أطفال وكبار ، فيرتوي كل فرد منها حسب ميوله واستعداداته وقدراته . مؤدية في النهاية الى رفع كفاية الفرد ، وإعداده مهاريا ، مما يرفع من مستواه الاقتصادي ، هذا بالإضافة الى الدور الترويحي نحو كل أفراد المجتمع بلا حدود فاصلة ، وبلا قيود تعوق أدائها لرسالتها الثقافية ومحققة للأهداف التربوية التي أنشئت من أجلها .

*** المحور الثالث : دراسة العلاقة بين التربية البوليتكنيكية والأنشطة بقصور الثقافة :**

تهدف التربية البوليتكنيكية الى اعداد اجيال من الشباب للحياة عن طريق المنافع وعن طريق خلق الاحترام العميق لدى الشباب للمبادئ الأساسية للمجتمع ، ويتم ذلك باعتبار أن تعليم الفنون التطبيقية هو الصورة الصحيحة للتعليم العام ، حيث ينظم حول القوى الانتاجية

الأساسية في المجتمع الصناعي والانتاج الزراعي ،واكتساب التجارب في المصانع والمزارع الكبرى لكي يكون انتقال التلميذ من المدرسة الى العمل انتقالا طبيعيا ، وذلك بتفهم الأساليب المختلفة للإنتاج الزراعي والصناعي ، وتطبيق الأساليب العلمية على الانتاج ، ووسائل تنظيم واستخدام العمال وتنمية عادات العمل ورفع مستوى القدرات العملية والفنية . وتلتقي في ذلك التربية البوليتكنيكية مع الأنشطة في قصور الثقافة ، حيث تعمل على زيادة الحصيلة المعرفية و المهارية لدى الأفراد من جميع المستويات التعليمية والعمرية ، وذلك عن طريق النشاطات المختلفة فيها من ندوات وحفلات موسيقية وعروض مسرحية ومعارض فنية تشكيلية ودورات مختلفة لرفع مستوى الأداء المهني ، ودورات لإتاحة تعليم الكمبيوتر بمجالاته المختلفة بأسعار زهيدة بالإضافة الى الدور البناء الذي تقوم به مكتبات قصور الثقافة في نشر رسالتها التثقيفية لجميع الأفراد في مساحة زمنية طويلة يوميا .

ولما كانت الثقافة حقا أساسيا لكل مواطن إعمالا لنص الدستور ، تكون الدولة مسئولة عن توفير امكانية تنفيذه في المدينة والقرية دون تفرقة على أن تكون جادة ورفيقه ومتفاعلة مع الحضارة العالمية منفتحة على التجارب الانسانية محليا وقوميا وعالميا مرتبطة بتراث الشعب وآدابه وقيمه الدينية والروحية ، أي تكون ثقافة ديمقراطية ، تقدمية ، انسانية ، تربط بين التراث والحداثة وبين الأصالة والمعاصرة ، ويتم ذلك من خلال :

١- ترسيخ أسس المعاصرة وإحياء الجوانب المضيئة في تراثنا .

٢- زيادة الارتباط بين الثقافـــة وأدواتـــها وبيـــن التنميـــة الاقتصاديـــة والاجتماعية وتهيئة الارتباط بين الثقافة والتنمية الشاملة ، وذلك مـــن خلال خصائص البيئات وذاتيتها الثقافية .

٣- عدالة توزيع الانتاج الثقافي والفني على الجماهير ضرورة حضارية

٤- اهتمام الدولة برفع القيود عن المنظمـــات الأهليـــة للثقافـــة والآداب والفنون ودعمها ماديا وأدبيا .

٥- تهيئة المناخ للإنتاج الثقافي والفني وإعداد العاملين ذوي الكفاءات

٦- التصدي لتحديات التخلف والقهر الثقافي بإســـقاط القوانيـــن المقيـــدة للحريات العامة في ظروف الثقافة الموجهة وكفالـــــة حريـــة الفكـــر والثقافة والعمل الثقافي .

٧- من أجل الوصول الى آراء رواد قصور الثقافة يجب الأخذ بطـــــرق تتراوح بين دراسة اتجاهات الراي العام بالأسلوب العلمي ، اســـــتنادا على الاستقصاءات واستخلاص النتائج واتخاذ قرارات توضـــــع فـــي الاعتبار عند التقييم والتخطيط بمستقبل العمل الثقافي .

٨- يجب تشكيل مجالس إدارة نوادي الأدب في قصور الثقافة بالانتخاب الحر المباشر ، ويقوم مجلس إدارة النـــادي بوضـــع خطـــط العمـــل والمشاركة في تنفيذها .

٩- يجب وضوح العلاقة بين قصور الثقافة والحم المحلي ووضعها فـــي إطار قانوني يلزم المحافظة بالمساهمة الايجابية وفـــي الدفـــاع عـــن الثقافة وفي تحويل الخطة الثقافية بموازنة محددة .

وهكذا فالتربية البوليتكنيكية وهي نوع من التربية الحرة الشكليـــة

تتم حسب ميول واستعدادات الأفراد في المدرسة والتي تعتبر مؤسسة اجتماعية ووسط ثقافي له تقاليده وأهدافه وفلسفته وقوانينه التي وضعت لكي تتمشى مع أهداف وفلسفة المجتمع الكبير الذي هي جزء منه ، وتضم مجموعة من الأفراد والقيام بوظائفهم ، حيث تقدم على تخطيط واع يستهدف تحقيق آمال وأهداف المجتمع على المدى الطويل من أجل الوصول الى مستقبل أفضل .

وفي ذات الوقت تقوم قصور الثقافة بدورها التربوي في ضوء فلسفة معينة لإكساب الأفراد الخبرة الحرة كل حسب ميوله واستعداداته على نحو شامل واسع من خلال تربية حرة غير شكلية ، وفي كل من التربية البوليتكنيكية والأنشطة في قصور الثقافة يكتسب الأفراد الخبرة المتنوعة والمتعددة مما يتيح للمجتمع الاستمرار والتجدد .

مراجع الفصل الخامس :

١- اليونسكو : **دليل مصطلحات التعليم التقني والمهني** ، طبعة مراجعة باريس ، ١٩٨٤ .

٢- بديعه الهاكع : البوليتكنيك كأسلوب لتطبيق المجالات العملية في المدرسة التجريبية الموحدة بمدينة نصر ، **ندوة التجديد التربوي في مصر** ، المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية ، القاهرة ، فبراير ، ١٩٨٨.

٣- حسن الفقي : **التاريخ الثقافي للتعليم في الجمهورية العربية المتحدة** ، القاهرة ، النهضة العربية ، ١٩٦٦

٤- حسين بشير محمود : المجالات العملية في مرحلة التعليم الأساسي ، **ندوة التجديد التربوي في مصر** ، المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية ، القاهرة ، فبرايز ، ١٩٨٨.

٥- حسين بشير محمود وآخرون : المجالات العملية (محاولات سابقة- واقع حالي - نظرة مستقبلية) ، **ندوة التجديد التربوي في مصر** ، المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية ، القاهرة ، فبراير ، ١٩٨٨.

٦- عبد المنعم الصاوي : **التخطيط في المجال الثقافي** ، معهد التخطيط القومي ، المذكرة رقم ٣٦٤.

٧- عزمي نوار : **تقرير عن مؤسسات الثقافة الشعبية** ، وزارة التربية والتعليم ، ١٩٥٦ .

٨- فارس خليل : **تثقيف الكبار** ، مكتبة القاهرة ، د.ت.

٩- فتحي رضوان : **مشهورون منسيون** - كتاب اليوم ، القاهرة ، اكتوبر ١٩٧٠.

١٠- محمد منير المرسي : **التعليم العام في البلاد العربية** ، دراسة مقارنة ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٧٢ .

١١- محمود سعيد محمود : **الثقافة الجماهيرية** : المسيرة والواقع - آفاق المستقبل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

١٢- نبيل أحمد عامر صبيح : **التعليم الثانوي في البلاد العربية** : (الجمهورية العربية المتحدة - الجمهورية العراقية - الجمهورية السورية) ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٧١ .

١٣- وزارة التربية والتعليم : **التربية في ثمان سنوات من ١٩٥٢ - ١٩٦٠**.

١٤- ــــــــــــــــ : **القانون ١٣٩ لعام ١٩٨١** .

١٥- ــــــــــــــــ : **تطوير التعليم في مصر " سياسته واستراتيجيته وخطة تنفيذه ، التعليم قبل الجامعي** ، القاهرة ، ١٩٨٩ .

١٦- وزارة الثقافة والإرشاد القومي : **الثقافة في خدمة الانسان** ، ١٩٦٠.

١٧- وزارة الثقافة : **الثقافة الجماهيرية** ، انجازات الثقافة الجماهيرية ، ١٩٨٧ -١٩٨٨.

18- Amir Bouktor : The development and Expansion of Education in UAR, (Cairo, American University of Cairo , 1963)

19- Holms ,Brian : Problem in Education, A comparative Approach (London, Routhledge and Kegan Paul, 965) .

20- Moes ,Elizabeth, The Changes in soviet Schools September 1964, Comparative Education Review (ed. Bereday . Georgof.) VOL. 8 . No. 3 December 1964, N.Y. Teachers College Columbia Univ. 1964.

21- UNESCO: World Trends in Secondary of Education , Reprinted from World Survey of Education.(111)Secondary Education.(Zurich, Switzerland , UNESCO,) 1962

22-UNESCO: Polytechnical Education in The M.S.S.A. Editedby :S. G. Sharalenkot Education Studies and. Documents . No. 39 , UNESCO, Paris, 1964

-الفصل السادس

هوية الإنسان

بين

التربية والثقافة والإعلام

الوظيفة الاجتماعية للتربية :

تتضح الوظيفة الاجتماعية للتربية في أنها عملية استثمارية تستهدف تشكيل السلوك الإنساني وفق قيم ومعايير أخلاقية ، وعملية يرتضيها المجتمع لنفسه ، وهي العملية التي يتم عن طريقها إحداث تكيف الفرد البشري مع المجتمع الإنساني ، كما أنها عملية الإعداد لعالم متغير بشكل دائم ومستمر .

والتربية في وظيفتها كما أوضحها دور كايم " هي إدماج الفرد في البناء الهرمي الاجتماعي " وتزويده بتراث الآباء والأجداد وسبل تحقيق التواصل والتكيف كما أنها عملية إعداد المواطن لحياة متغيرة في المجتمع الإنساني ، طبقا للنسق الثقافي الذي يعيش في ظله مؤثرا فيه ومتأثرا به ، إما انتماءا له أو اغترابا عنه ، وتشير الدراسات إلى وجود ترابط قوي بين الهجرة ومشاكل الاغتراب الثقافي وضياع الهوية الثقافية ومشاكل التكيف والشعور بالانتماء .

* الانتماء :

يعتبر الانتماء من المطالب النفسية الأساسية في عملية التنشئة ، فهو أساس لأمن الإنسان واستقراره وتطلعه للتقدم ، والقصور في الانتماء يصيب الفرد بالتوتر والضيق وفقد الدافع تجاه العمل البناء في المجتمع ، ففيه ارتباط الإنسان بمجتمعه ارتباطا وثيقا ، حيث تتأكد هوية الشعوب ، من خلال كم المشاعر والأحاسيس التي يبديها الإنسان مترجمة في سلوكيات تجاه مجتمع معين ، وبالتالي فهو مفهوم معاكس

للاغتراب الذي يعني انسلاخ الإنسان عن مجتمعه وذاته وعــن الأطــر الجماعوية Cardes communataires وبالتالي فالانتمــاء أســاس تكويــن حضارات الأمم والتطلع لمستقبل أفضل .

والانتماء أيضا :

- مفهوما حياتيا – يحتل سعة كبيرة في التداول في الحياة الاجتماعيــة والثقافية .
- تقمص روح الجماعة ومعايشتها أو معايشة فكرة أو اعتناق مذهب أو الاندماج في جماعة والاعتراف بفضلها .
- كما توضحه الموسوعة المختصرة في علم النفس والطب العقلي " هو شعور الفرد بكونه جزء من مجموعة أشمل كالأســرة ، الفصيلــة ، الحزب ، الجماعة ...الخ .
- سمة أساسية للإنسان لتكوين المجتمعات وهو أساس العلاقة الإنســانية في هذه المجتمعات وأساسه الاطمئنان ، ولا يتحقــق ذلــك إلا مــن خلال وحدة الجماعة .

ويتأكد الانتماء من خلال التخطيط الجيد لرسم السياســات لبنــاء الفرد البشري وتنشئته ، وتلعب هذه التنشئــة دورا فــي كفــاءة تحقيــق الانتماء حيث يزود الفرد البشري بالأفكار الجيدة لمجابهة التغير وتؤثــر الضغوط الخارجية على تحقيق الانتماء .

ويرى " هلجارو " أن الانتماء حاجة إنسانية ضروريــة أساســها الانتماء للأسرة والجماعة على أن تبادله الأسرة إحساسه هذا بالانتماء ، حيث تجمع بينهما الروابط ويسهم في ذلــك التقيــد والعزلــة والحاجــة

لعلاقات متبادلة والقلق والضيق والحزن.

ويرى " كولي " أن الوعي الفردي والاجتماعي هما توأمان يولدان معا ويتطوران معا داخل الجماعة وأنه لا وجود لأحدهما بدون الآخر ومن ثم لا يكون الانتماء إلا رباطا وثيقا بين الفرد وبنيته الاجتماعية أو الوسط الذي يتعايش فيه .

*** الاغتراب :**

هو انسلاخ الإنسان عن المجتمع وعن واقعه أو ذاته وقيمه وثقافته ، وهو ظاهرة لا تفرق بين الأفراد والجماعات وهو نوع من الانفصال الاجتماعي Leparation وهو عدم الرضا عن الواقع نتيجة لعدم التكيف والضغوط السياسية والاقتصادية والاجتماعية أو النفسية .

والاغتراب أيضا إحساس الإنسان بالعجز تجاه الحياة والمجتمع وافتقاد الإنسان لمعنى الحياة وأن يصبح كل شئ بلا معنى .

والاغتراب عند هيجل هو الانفصال Separation والتحلل والتنازل وهو العلاقة المتداعية بين الفرد وأعضاء مجتمعه الإنساني .

وقد حدد نتلر Nettler أنواع الاغتراب فيما يلي :

- اغتراب أسري Family Alienation
- اغتراب ديني Religious Alienation
- اغتراب سياسي political Alienation

ويتميز عالم اليوم بسلطة الإعلام على نحو يجعل منها ظاهرة لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية ، هذا بجانب تنوع وسائل الإعلام هذه

فإن التطور التكنولوجي العلمي والاجتماعي يضيف إليها الجديد باستمرار وأهمية هذه الوسائل سواء مقروءة أو مرئية أو مسموعة لا تتمثل فقط في الدور الإخباري والتثقيفي ، بل أن خطورتها تتجلى على الخصوص فيما تمارسه من تأثير تبعا لذلك في توجيه السلوك وتغيير الرأي والاتجاه ، مما يجعلها لا تقف عند حدود النقل والوصف بل تتعدى إلى خلق ظروف التوقع وصنع الظاهرة .

الهجرة الثقافية والسياسية :

تقول أماني مسعود " أن هجرة المصري للعمل في الدول العربية وإن كان لها ما يبررها ، تحمل في طياتها مخاطر ضعف مشاعر الانتماء للوطن ، فالمهاجر يعجز عن التأقلم مع الظروف الاقتصادية لوطنه ليقل إحساسه بها بعد أن اعتاد في الخارج نمطا حياتيا خاليا من المشكلات " .

وتشير إحدى الدراسات الميدانية أن النسبة الأكبر من المصريين العاملين في الكويت مستعدون للإقامة هناك بحجة أنهم لم يعودوا قادرين على العودة لعملهم السابق ، وأن حجم المعاناة التي يتلقاها هؤلاء من مشكلات زحام ومواصلات ... الخ تفوق حجم الإحساس باغترابهم عن دولتهم .

ويعزو البعض ضعف الانتماء الى عدم قدرة المهاجر على تحقيق هدفه داخل دولته ، ثم اضطراره لانتهاج أنماط سلوكية قد تكون بعيدة عن سمات شخصية مثل المهادنة وإيثار السلامة في دولة المهجر ،

وبذلك يعاني المهاجرين من الاغتراب ، سواء في بلـــده أو فـــي دولـــة الاستقبال ، حيث يشعر هناك بالدونية في علاقته الاجتماعية مع شعـــب هذه الدولة المضيفة ومعاملته كمرتزق في ظل كفيل وإقامته في أحياء معزولة عن تلك التي يسكن فيها المواطنون .
ويزيد من درجة الشعور بالاغتراب كون السفارات والقنصليات المصرية لا تحرص على الاجتماع بالمهاجـرين لمناقشتهم مشاكلـــهم ولا تـــهتم بالدفاع عن حقوقهم ، وبالتالي تتعاظم مشاعر الاحباط لديهم تجاه نظـــام عجز عن اشباع حاجاتهم الاساسية في الداخل وعن رعاية مصالحهم في الخارج .

وامتد التأثير السلبي للهجرة على الانتماء ليشمل غير المهاجرين الذين يمارسون أعمالا لا تتفق ومؤهلاتهم ، فالمهندس الذي يعمل عامل بناء يظل ساخطا على مجتمعه والسلطة السياسية فيه بعد أن وضعته في موقع لا يتفق وقدراته ومؤهلاته . ولا يقتصر التأثير السلبي للهجرة فقط على جيل الهجرة ، بل يمتد أيضا ليشمل أبناء المهاجرين ، فتفيد دراســة أماني مسعود بوجود مردود سلبي للهجرة علـــى الانتمـــاء لـــدى أبنـــاء المهاجرين ، إذ فضل ٦٤٪ من أفراد العينة المـــهاجرة العمـــل داخـــل مصر عقب التخرج مقابل ٧٩٪ من أفراد العينة غير المـــهاجرة ، أي بفارق ١٥٪ .

وتشير الاحصائيات الى زيادة نسبة المصريين المهاجرين للخارج منذ حرب ٩٧٣ سواء للعمل في الـــدول العربيـــة أو الدراســـة بـــالدول الأجنبية أو الهجرة للعمل في الدول الأوربية والأمريكية ، وقد بلغ عددهم

وفقا لتعداد ١٩٨٦ الى ٢٢٥٠٠٠٠ نسمة ، أي حوالي ٤,٥٪من تعـــداد السكان عام ١٩٨٦.

ولقد نجم عن الهجرة العديد من الآثـــار السياســـية والاجتماعيـــة والاقتصادية ، تناولتها دراسات عديدة بالدراسة والتحليل وأفـــادت بـــأن المهاجر أثناء هجرته هو وأسرته يتعامل مع المجتمع المهاجر إليه وكأنه فرد منه يتشرب القيم والعادات والتقاليد ، حتى أن أبناء هـــذا المـــهاجر يتشربون قيم وعادات وتقاليد المجتمع المستقبل لـــهم ، إلا أنـــهم أثنـــاء التحاقهم بالسلم التعليمي لهذه الدول ينالون قسطا من الثقافة

ويتعرض المهاجرون المصريون الى الخـــارج أثنـــاء هجرتـــهم خاصة في بدايتها الى هزات ثقافية واجتماعيـــة تـــؤدي الـــى حـــدوث مؤثرات في حياتهم الاجتماعية والثقافية والأسرية ، وعندما يستقر بـــهم المقام يأتي قرار العودة الى أرض الوطن (مصر) مرة أخرى ، وهنـــا تحدث مؤثرات اجتماعية وثقافية خاصة للأبناء الذيـــن قضـــوا بدايـــة تعليمهم مع أسرهم في الخارج ، ومن ثم تظهر مشكلات بعد العودة وبع تشربهم قيم وعادات وتقاليد المجتمع الذين هاجروا إليه ، وبالتالي مشكلة التوافق مع ثقافة مجتمعهم الأصلي ونظامه التعليمي بعد عودتهم .

جدول (١) يبين أعداد المهاجرين المصريين الى الدول الأجنبية

الدولة	العدد	الدولة	العدد	الدولة	العدد
امريكا	٢٠٠٠٠٠	العراق	١٢٥٠٠٠٠	الصومال	٥٠٠
كندا	٦٠٠٠٠	السعودية	٨٠٠٠٠٠	موريتانيا	١٢٠
استراليا	٥٠٠٠٠	الكويت	٢٠٠٠٠٠	نيجيريا	٢٠٠٠
انجلترا	٧٠٠٠٠	ليبيا	٣٠٠٠٠٠	اليمن ش	١٢٠٠٠
فرنسا	٩٠٠٠	الجزائر	٣٥٠٠٠	عمان	١١٥٠٠
ايطاليا	٣٠٠٠٠	الإمارات	١٥٠٠٠٠	النرويج	٢٥
النمسا	٧٠٠٠	الأردن	١٢٥٠٠٠	أسبانيا	٢٥٠٨
اليونان	٢٧٠٠٠	قطر	٢٥٠٠٠	السويد	١٠٠٠
المانيا غ	٩٠٠٠	السودان	٢٠٠٠٠		
سوريا	١٥٠٠٠	سويسرا	٢٥٠٠		

ومن الجدول السابق نتبين أن أكبر جالية مصرية في الدول الغربية توجد في أمريكا ، وأكبر جالية مصرية في الدول العربية توجد في العراق والسعودية . وبصفة عامة هناك تواجد مصري في غالبية دول العالم يستحق الاهتمام والدراسة . ومن تقرير عن حجم الهجرة الى الخارج وفقا لدول المهجر وهي الولايات المتحدة الأمريكية واستراليا وكندا والبرازيل ودول أخرى يوضحها الجدول التالي :

جدول (٢) يوضح إجمالي إحصائي بالمهاجرين خلال الفترة بين ١٩٦٢-١٩٨٢

السنة	العدد	النسبة المئوية	السنة	العدد	النسبة المئوية
١٩٦٢	٨٦٩	٢,٣٨	١٩٧٣	١٤١٤	٣,٨٧
١٩٦٣	١٧٨٧	٤,٨٩	١٩٧٤	١٢٣٠	٣,٣٦
١٩٦٤	١٦٤٥	٤,٥٠	١٩٧٥	٨٤٥	٢,٣١
١٩٦٥	١٤٧٩	٤,٠٤	١٩٧٦	٨٨٨	٢,٤٣
١٩٦٦	٢٣٣٤	٦,٣٨	١٩٧٧	٨٥٦	٢,٣٤
١٩٦٧	٢٥٨٢	٧,٠٦	١٩٧٨	٨٤٩	٢,٣٢
١٩٦٨	٣٦٣٦	٩,٩٤	١٩٧٩	٤٦٠	١,٢٧
١٩٦٩	٥٦٤٥	١٥,٤٤	١٩٨٠	٥٧٦	١,٥٨
١٩٧٠	٣٧٢٦	١٠,١٩	١٩٨١	٤٨٢	٢,٢٥
١٩٧١	٢٨٦٥	٧,٨٣	١٩٨٢	٣٤٨	٠,٩٥
١٩٧٢	١٧٠٨	٤,٦٧			
			المجمـوع الكلي	٣٦٥٦٦	١٠٠٪

يوضح الجدول السابق أن معدلات الهجرة الخارجية بلغت ذروتها حتى عام ١٩٦٩ ثم أخذت في التناقص منذ عـــام ١٩٧٢ ، واســتمرت لمعدل متقارب حتى عام ١٩٨٢ ، إلا أن المجموع الكلـــي للمــهاجرين للدول الأجنبية وغالبيتهم هجرة دائمة لا يستحق الاهتمام والدراسة .

ومن الملاحظ أن الوطن العربي يتعرض لخسائر متعددة نتيجــــة هجرة كفاءاته وقدراته البشرية ، فبالإضافة للخسائر المادية التي تنتج عن الظاهرة والمتمثلة في الفاقد من الاستثمارات في التعليم والتي هي نتــاج

فقدان الوطن العربي لموارد طائلة أنفقتها على تكوين تلك الكفاءات العلمية والفنية المهاجرة والتكاليف التي تتحملها البلاد العربية نتيجة استقدام الخبرات الأجنبية لتحل محل الكفاءات العلمية والفنية المهاجرة فإن هذه الظاهرة تؤدي الى عرقلة الجهود التي تبذل للتنمية الشاملة والمتكاملة في الوطن العربي .

والهجرة هنا تعني انتقال المواطن سواء أكان مؤهلاً أم كان غير مؤهل من مصر الى الخارج والأسرة المهاجرة هي الأسرة التي انتقلت بكامل أفرادها الى خارج حدود الوطن وعادت مرة ثانية الى مصر .

*** دوافع الهجرة وتأثيراتها :**

نظرا لدور الهجرة في حياة الدول والشعوب فإن علماء الجغرافيا البشرية السكانية والاجتماع وعلم النفس ، قد اهتموا بدراسة الهجرات الدولية والمحلية وأنواعها وأسبابها والنتائج المترتبة عليها .

وإيمانا من الحكومات على اختلاف نوعياتها ومذاهبها بأهمية الهجرة وآثارها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، فقد أنشأت تلك الحكومات المراكز المتخصصة لعمل الدراسات المسحية وجمع البيانات للاستفادة بها في مجال التخطيط .

وقد قامت جمهورية مصر العربية من خلال الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء بعدة دراسات بغرض التعرف على نتائج الهجرة وحجم وخصائص المصريين المتواجدين بالخارج وعلى آثارها

الاقتصادية والاجتماعية والجغرافية .

ويلاحظ على هجرة المصريين للخارج أنـــها اختياريـــة ، فـــهي اختيار للمهاجرين الذين يحسون أن أوضاعهم داخل مجتمعهم لا تشبـــع حاجاتهم الأساسية ولا تتواءم مع مطامحهم .

وهجرة المصريين للخارج ليست وليدة العصر ولكنها قديمة قـــدم التاريخ نفسه ، والجديد هو التحول الذي حدث في نمط وشكـــل واتجـــاه الهجرة . ففي فترة ما قبل السبعينات كان النمط السائد للهجرة هو الهجرة الدائمة لذوي الكفاءات العلمية وأسرهم غالبا في اتجاه أوربـــا وأمريكـــا واستراليا ، ومع بداية السبعينات بدأ نمط الهجرة المؤقتة للعمالـــة علـــى مختلف مستوياتها العلمية والفنية الى الدول العربية المنتجة للبترول على وجه الخصوص ، ولم تعد قاصرة علـــى ذوي الكفـــاءات العلميـــة المؤهلة تأهيلا عاليا فقط ، وهي في معظمها هجرات فردية تكون لـــدى المهاجر فيها نية العودة الى أرض الوطن مرة اخرى بعد سنوات معدودة من العمل بالخارج .

بالإضافة الى ذلك فإن ظاهرة هجرة المصريين الى المجتمعـــات العربية النفطية أكثر من واضحة ومنتشرة عبر قطاعات وأبعاد المجتمع المصري ، ريف وحضر ، ومستوياته المهنية والتعليمية المختلفة حتـــى أنه يندر أن نجد أسرة مصرية ليست لها عضـــو أو قريـــب هـــاجر أو يستعد للهجرة .

ونتساءل هنا عن الدوافع التي تكمن وراء هجرة العمالة المصرية

الى الخارج ، سواء الى الدول العربيــة ممثلــة فــي الفئــات العماليــة والجامعية القاصرة على درجتي الليسانس والبكالوريوس أو الى الـــدول الأجنبية ممثلة في تلك الفئات مضافا إليها حملة الماجستير والدكتوراه ؟ والإجابة عن هذا التساؤل تستوجب معرفــة العوامــل الطــاردة Puch Factors والعوامل الجاذبة Pull Factors - وهذه العوامل تتفــاوت فــي تحديد حجم واتجاهات تيارات الهجرة . غير أنه أحيانـــا ، قــد تحــدث الهجرة نتيجة لأحد العاملين دون الآخر .

وقد جمع (رشيد الفيل) عوامل الطرد في تعريفه للهجرة ، حيث ذكر أن الهجرة " عملية للحركة والانتقالات من منطقة الى أخــرى إمــا لطلب الرزق أو لتحسين وضع الانسان الاقتصادي أو هروبا من ظروف مناخية سيئة أو من ظواهر طبيعية مدمرة كالزلازل أو البراكين والجفاف أو نتيجة لضغط سياسي أو لاحتلال عسكري ، وربما تحدث نتيجة لعدم الارتياح بسبب الخوف أو شعور الفرد بالعجز عــن توفــير المتطلبــات الضرورية لحياته أو حياة عائلته "

وفي مصر نجد العامل الاقتصادي على رأس عوامــل الطــرد ، فيذكر عطوف يس أن " السبب المباشر لتشجيع الحكومة المصرية للعمل في الخارج يعود الى الضغط السكاني الذي ينفجر ويزداد ، فقد كان عدد السكان في مصر عام ١٩٥٠ لا يزيد عن ١٨ مليــون نســمة ، ويقــدر علماء الاقتصاد وصول هذا العدد الى ٨٠ مليــون عــام ٢٠٠٠ ، وأن الدخل لا يزيد عن ١٢٠ دولار بينما يصل دخل الفرد السنوي في الكويت ١٢٠٠ دولارا ، بمعدل زيادة مائة مرة عما هو في مصر .

ومما سبق يتضح أن انخفاض مستوى المعيشة وضعف الأجـــور والرواتب في مصر من عوامل الطرد ، ما أن زيـــادة السـكان وقلــة الأرض الزراعية بالنسبة لكل من النمو الســكاني والعمرانـــي الــهائلين وعجز الصناعة عن استيعاب كل الأيدي العاملة أحـــد أسـباب هجـرة المصريين الى الخارج .

ومن العوامل المهمة في سفر المصريين الى الخارج هو تشجيـــع الأفراد لبعضهم البعض على تكوين جماعات جديدة في أوطان جديدة .

وقد ساعد على تسهيل الهجرة نص الدستور الدائم للبلاد في مادته رقم (٥٢) عن أن " للمواطنين حق الهجرة الدائمـــة أو الموقوتـــة الـــى الخارج ، وينظم القانون هذا الحق وإجراءات وشروط الهجرة ومغـــادرة البلاد " فهجرة المصريين للخـــارج حـــق دســـتوري متـــاح وممـــارس للمواطنين من خلال العديد من القرارات الجمهورية والوزارية .

فقد ترتب عن هذه الهجرة العديد من الآثار ، وقد اهتمت الـــدول المرسلة والمستقبلة على حد سواء بدراسة الآثار والنتائج المترتبة عـــن الهجرات الدولية والداخلية ، كما تناولتها أدبيـــات التربيـــة بالدراســـة والتحليل ، فتبين دراسة (Jones – عام ١٩٨١) أن نســـبة المـــهاجرين المصريين الى الدول العربية النفطية ازدادت في فترة مـــا بعـــد حـــرب ١٩٧٣ حتى أصبحت مصر وحدها تصدر ما يقـــرب مـــن ٢٠٪ مـــن مجموع العمالة في البلاد العربية ، حتى يندر أن نجد أسرة مصرية ليس لها عضو أو قريب هاجر أو يستعد للهجرة الى مجتمع عربي نفطي .

كما تناولت دراسة (أبو مندور وآخرون عام ١٩٨٩) سلبيات وايجابيات الهجرة الخارجية ، ففي جانب الفوائد : أنها ساهمت في تحسين بناء منازل الفلاحين ودخولهم ، وفي جانب المضار التي تحققت من السفر الى الخارج : ارتفاع الأسعار والزحف العمراني على الأرض الزراعية وبالتالي انخفاض مساحتها وحدوث مشاكل خاصة بتدهور تربية الأولاد .

ويؤكد (اتحاد عمال مصر في دراسته عام ١٩٨٤) أن من سلبيات السفر الى خارج مصر ، إزاحة القيم المعنوية والروحية التي تشكل سمات أصيلة للمجتمع المصري ليحل محلها النفعية ، مما أدى الى خلل بين التوازن الطبقي وسلوكيات أفراده ، بالإضافة الى تفشي روح عدم الترابط الأسري .

كما أثبتت دراسة (عبد الباسط عبد المعطي عام ١٩٨٤) أن الهجرة تلعب دورا رئيسيا في تغيير القيم الاجتماعية ، كما جعلت بعض الأفراد يبتعدون عن مهنتهم الأصلية ، أو بمعنى آخر صاحب الهجرة تهميش للحدود الطبقية بين المجموعات الطبقية داخل القرية .

ويذكر (إيريك جان توما في دراسته عام ١٩٨٥) أن طريق العودة الى الوطن طريق محفوف بالمصاعب والمتاعب من حيث تكيف المهاجر مع أهله مرة أخرى ، وتوافقه مع عمله الجديد .

وقد رصدت دراسة (طبارة عام ١٩٨٥) أهم هذه المتاعب وهي مشاكل التحويلات النقدية ومحاولة الأبناء العائدين الاندماج مع المجتمع ،

ولذلك تحاول الدول المصدرة بذل جهود مكثفة للحفاظ على الهوية الوطنية لأبنائها المهاجرين الى الخارج بما في ذلك تنظيم دروس اللغة والأنشطة الثقافية .

وتؤكد دراسة (جابرييل عام ١٩٨٥) أن كولومبيا بذلت أقصى جهد في توجيه المهاجرين العائدين كأن يمارسوا الأعمال التي كانوا يمارسونها قبل هجرتهم وتتفق مع مؤهلاتهم وخبراتهم ، وعلى صعيد آخر تؤكد (دراسة ألطان عام ١٩٨٠) أن المصريين المهاجرين الى دول غير عربية يعانون من مشكلات تعدد الثقافات ومشكلة التوافق الاجتماعي وهو الأمر الذي اطلقت (دراسة هـ .ريتشموند عام ١٩٨٥) على مثل هذه الحالات مشكلة التكيف الاجتماعي الثقافي والصراع في البلدان المستقبلة للمهاجرين .

ويمكن تناول تأثيرات الهجرة تفصيلا من خلال ما اسفرت عنه الدراسات فيما يلي :

أولا :تأثيرات الهجرة على الوضع الداخلي للأسرة داخل مصر :

- لقد رصدت (دراسة عبد الباسط عبد المعطي عام ١٩٨٤) الدوافع والنواتج لهجرة المصريين الى الدول العربية النفطية فيما يلي :

١- أن أسباب هجرة المصريين ، عدم الرضا عن العمل وأدواته .

٢- تأثير بعض القيم بالهجرة كقيم الانتاج والعمل والتعليم الاستهلاكي .

٣- ظهور بعض المشكلات كالطلاق ، تعثر الأبناء في تعليمهم ، وهن العلاقات الاجتماعية .

٤- أدت الهجرة الى تغيير مهني مستقبلي ، فمعظم العمال لم يعودوا الى

مهنهم التي كانوا يعملون بها قبل سفرهم .

٥- أدت الهجرة الى تباعد توجهات الوعي الاجتماعي للمهاجرين ، فهم يبتعدون عن العمل المنتج وينشغلون بمصالحهم الشخصية ، كما أنهم أثناء السفر يبحثون عن السهل والأكثر ربحا وهم يحتالون على القانون ، قوانين الهجرة والجمارك ، كما أنهم يحاكون النمط الاستهلاكي الغربي ومنهم من على استعداد لتغيير جنسيتهم .

- أشارت (دراسة اتحاد عمال مصر ١٩٨٤) الى ظاهرة السبعينات وما صاحبها من الارتفاع المتوازي للرواتب والاستثمارات في الدول النفطية ، مما شكل دافعا قويا لهجرة العمالة المصرية على نطاق لم يعرف من قبل ، كما أوضحت صعوبة التقدير الكمي لحركة العمالة – حيث انها أقرب الى الجزافية منها الى الأسلوب العلمي أو الإحصائي ، وذلك لغياب الأسلوب التنظيمي ، ثم انتقلت الى ايجابيات وسلبيات انتقال العمالة المصرية الى تحليل تحويلات المصريين العاملين بالخارج والاتجاه الاستثماري لتلك التحويلات ، وما صاحب ذلك من ظهور أنماط استهلاكية زادت من الضغوط التضخمية للقيم تالمعنوية والروحية التي تشكل سمات أصيلة للمجتمع وسلوكيات أفراده ، وذلك التحول البرجوازي القائم على التراكم الرأسمالي بغير الأساليب الانتاجية ونشوء طبقة جديدة تحارب دعم الاقتصاد الوطني عن طريق دفع الضرائب بالإضافة الى تفشي روح عدم الترابط الأسري .

- وفي هذا الإطار توصلت دراسة (جانيت جورج ١٩٨٤) الى :

١- انتشار ظاهرة التفكك الأسري وانتشار بعض الظواهر المرضية

كانحراف الأحداث والطلاق وتعدد الزوجات وفشل الأولاد في المراحل التعليمية .

٢- تفشي شعور قوي من قبل عدد لا يستهان به من المواطنين بعدم الانتماء لهذا البلد . هذا في الوقت نفسه الذي يشعر فيه المهاجرون بالاغتراب مع ما صاحب هذا من خلق ظواهر اجتماعية فاسدة تتسم بالفردية والمادية وعدم الولاء لهذا الوطن .

٣- نقل عادات ومفاهيم جديدة دخيلة على مفاهيمنا وعاداتنا من الممكن أن تؤدي الى انتكاسة حضارية لأنها تغلب قيمة المال على قيمة العمل ، والتضحية بقيمة الانتماء الى الوطن مقابل الانتماء الى خارج الوطن . وتهان كرامة العامل المصري نظرا لاضطرار البعض الى مزاولة بعض الأعمال التي لها طبيعة مغايرة لنوع تخصصهم والتي يأنفون من القيام بها في وطنهم .

٤- إدمان الهجرة ، فبمجرد عودة العامل المصري الى الوطن يفكر في الرجوع مرة أخرى الى الخارج لأنه تعود على مستوى معين من المعيشة لا يتحقق في الداخل .

ثانيا : تأثيرات التوافق الثقافي والاجتماعي للمهاجرين في بلاد المهجر

تعرضت دراسة (غادة عوامات ١٩٨٥) الى مشكلة تعليم أبناء الجاليات العربية التي هاجرت الى الدول الأوربية ، مع التركيز على حجم هذه المشكلة وأبعادها في فرنسا باعتبارها من الدول الصناعية التي استقبلت أعداد مكثفة من المهاجرين العرب وبخاصة من دول المغرب العربي . حيث أشارت في مقدمتها الى حجم هذه الهجرة

وتسارع معدلاتها ، وخاصة في الحقبة اللاحقة لانتهاء الحرب العالمية الثانية ، وحاجة البلدان الصناعية في ذلك الوقت الى اليد العاملة لتنفيذ بناء إعادة البناء والتنمية ، وبالرغم من التوجهات الحالية في بعض البلدان المستقبلة للأيدي العاملة والتي تطالب بالتخلص من هذه الظاهرة والحد منها ، إلا أن الدراسة اشارت الى أن هذه الظاهرة مستمرة ولا يمكن باي حال من الأحوال سد منابعها بشكل سريع باعتبار أن الدول الصناعية ما تزال بحاجة الى اليد العاملة ، بالرغم من الاتجاه نحو الميكنة ، كما أن الوضع الديمغرافي للبلدان المتقدمة ، حيث انخفاض نسب الوفيات والارتفاع النسبي في أعمار السكان المحليين سيؤدي حتما الى استمرار الحاجة الى العمال المهاجرين .

وتجدر الاشارة الى أن هناك معامل ارتباط موجب بين حجم الهجرة والمشاكل التي تعاني منها هذه الفئات ، وأهماه عدم التكيف مع المجتمع المضيف ، ومشاكل الاغتراب الثقافي وضياع الهوية الثقافية ، ومشاكل تعلم اللغة العربية ومشاكل التكيف مع النظام المدرسي للدولة المضيفة ، وأكدت الدراسة على أن هناك ارتباط كبير بين تعلم اللغة العربية والشعور بالانتماء وتأكيد الهوية الثقافية .

وفي هذا الإطار أشارت الدراسة الى أن برامج تعليم اللغة العربية لأبناء المهاجرين سواء تلك التي تم اعتمادها داخل نظام التعليم الفرنسي أو خارجه ما تزال هامشية وتعاني كذلك من مجموعة من المشاكل التي يتوجب التصدي لها ومعالجتها .

ومن ناحية ثانية ، رصدت الدراسة مجموعة من التجارب العربية في إنشاء المدارس العربية الرسمية بجهود فردية في بعض الدول الغربية التي اقامت مدارس تتبع مناهجها وبرامجها الدراسية نظم التعليم في هذه الدول ، ومن بين المدارس التي أشارت إليها الدراسة في باريس المدرسة الليبية والمدرسة العراقية ، غير أن هذه الدراسة أكدت على أنه بالرغم من أن هذه الجهود مهمة باعتبار أنها تساعد في تعليم عدد من أبناء العرب المقيمين في باريس إلا أنها ما تزال مشتتة ولا يوجد أي نوع من التنسيق بين الجهات المتعددة التي تقوم بالإشراف عليها .

وبالرغم من وجود الوعي الكافي لدى المؤسسات والأفراد بأن تعلم أبناء المهاجرين ، وخاصة تعلم اللغة العربية والثقافة العربية يشكل أولوية مهمة باعتبارها من الركائز الأساسية للحفاظ على الهوية الثقافية والحد من ظاهرة الاغتراب الثقافي ، فإن كل هذه الجهود قد تحتاج الى مظلة أكبر للتنسيق ، مثل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . كما يحتاج الأمر الى استحداث جهاز عربي لتعليم ابناء المهاجرين العرب على غرار الجهاز العربي لمحو الامية ، لأن مشكلة الاغتراب الثقافي والانسلاخ عن الهوية الثقافية العربية مشكلة لها آثارها السلبية تهم الأمة العربية بكاملها .

– وعن التحديات التي تواجه المدرسة في البلد المستقبل لأبناء المهاجرين إليها عرضت (دراسة جورج فينو ١٩٨٥) الى أهمية المدرسة في حياة الأبناء وهدفها في إذابة الفوارق بين التلاميذ ، ونظرا لأن أبناء المهاجرين يحملون ثقافات مغايرة ولهجات متباينة ولغات شتى فإن

المدرسة تواجه تحد خطير يصعب عليها إذابة هذه الفوارق بين التلاميذ ، ومن ثم يلاحظ أن تلاميذ المهاجرين يعانون من التأخر الدراسي لوجود عوائق لغوية وثقافية ، وقد أجريت دراسة على ابناء المهاجرين العرب في فرنسا من أجل مساعدتهم على التفهم والتوافق مع المدرسة ولكن هؤلاء التلاميذ ما لبثوا أن شعروا بأن المدرسة مكانا يفرض عليهم القيد ومن ثم فقد نفروا من المدرسة والثقافة الفرنسية .

وبذلك تظهر أهمية اكتساب جميع الأطفال وسائل التعبير اللغوي المتنوعة والحرة ، ولذا يكون تعميم وتطبيق نظام التعليم متعدد الثقافات ، صور للتفكير وتعزيز الظروف ، تؤمن الاحترام والفهم المتبادلين بين الثقافات ووسائل التعبير اللغوي والأدبي والفني .

- تعرفت (أنّا فاسيكيس في دراستها عام ١٩٨٥) على سيكولوجية العمال المهاجرين ، حيث يتشوق المهاجر إلى البلد الذي يحلم بالهجرة إليه من خلال وسائل الإعلام والمغالاة فيما يروي العائدون من الخارج عن عجائب الخارج وبعد أن يهاجر يجد نفسه في غربة من اللغة وواقع أليم وظروف عمل صعبة وقواعد وإجراءات إدارية يتعذر عليه فهمها وقواعد سلوك لم يألفها وقد يشعر بالتمييز العنصري أحيانا ، وتضعف ثقته في نفسه ويخيب أمله وينطوي على ذاته ، وقد يلجأ إلى حيل دفاعية تمكنه من التصدي للصعوبات التي يتعرض لها ، وبعد فترة قد ينجح المهاجر في التغلب على العقبات كمرحلة أولى ليبدأ عملية العبور الثقافي فيلائم بين ثقافته الأصلية وبين الطرائق والأنماط والقيم السائدة في بلد المهجر ، ثم يتعود على العلاقات الاجتماعية ولا سيما العلاقات بين

الرجال والنساء والتي كانت مصدر قلق وحيرة له في بدايـــة هجرتـــه ، وبعد فترة من الوقت يدرك مدى التغير الذي طرأ عليه ، فقد تبنى بعض أنماط السلوك في بلد المهجر ويقع في توازن حرج ، فيتجاذبه من جهـــة انتماء عميق لا شعوري إلى ثقافته الأصلية التي لا يريـــد أن يفقدهـــا أو يخونها وبين مكتسباته الجديدة التي يحس أنها الكفيلة بإنجاح هجرته .

-وعن التوافق الاجتماعي التفاضلي ومشكلة تعدد الثقافات لـــدى أبنـــاء المهاجرين في غرب أوروبا دارت (دراسة الطان جو كـــالب ١٩٨٥) حول الصراع الثقافي الاجتماعي للشباب الذين ولدوا من آباء هـــاجروا إلى بلد المهجر ومن ثم يشعر هؤلاء الأبناء من الشبـــاب بحـــالات مـــن التغريب الاجتماعي ومشاكل التكيف والمشكلات القائمة بيـــن الثقافـــات المتعددة .

ففي المدرسة يتم التعليم بلغة المهجر ، ومن ثم يجد الأبناء صعوبة في الفهم والتعامل مع زملائهم ومدرسيهم مما يـــترتب عليـــه الإخفـــاق الدراسي ، وقد تتغلب المدرسة على هذا بإتاحة فرص تعليمية تعويضية لهؤلاء الأبناء ، ولكن الأبناء يشعرون بالصراع بين إنجازات المدرســـة وبين الحتمية الاجتماعية والاقتصادية في البيئة السرية ، فهناك فرق بين الحياة الاجتماعية التي تعيشها الأسرة وبين الأيدلوجيا التي تنقلها المدرسة

· وقد يرى البعض أن المدرسة في الواقع الفعلي قد ساعدت علـــى التغريب الاجتماعي لكل ما هو غير مطابق للنظام المقرر ، فإنـــها مـــع ذلك تؤدي وظيفة جوهرية في مجال التوافق الاجتماعي في أنها تدمـــج

الأطفال في الفصول المناسبة لأعمارهم ، وتحملهم على اتباع القواعد والسلوكيات وأذواق هذه الفصول بغض النظر عن الخصائص العنصرية والثقافية .

هذا التوافق الاجتماعي غير المباشر وهو توافق فعال للغاية مضافا إليه في الكثير من الأحيان تتعارض تأثيرات التعليم المدرسي مع قواعد وتوقعات ذلك المجال الآخر للتوافق ألا وهو الأسرة ، ومن ثم تترتب على هذه المنازعات والانفصامات من أجل التكيف الديني والثقافي ، فيشعر الناس بالالتباس بين الدين والثقافة والانتماء في الأسرة والمدرسة حيث يهدم الأول ما تبنيه المدرسة وتحاول المدرسة اقتلاع الجذور الاجتماعية والثقافية الأصلية عن الأولى .

ولذا فقد تولد عن عمليات التكيف (التوافق) الفاشلة أنماط معقدة من بناء الهويات الثقافية الجديدة بين ذلك التعصب الديني والنزعة المتطرفة وأنماطا من التكاملية المفرطة وذلك بكبت الأبناء وازدرائهم لثقافتهم الأصلية ، فهذه تأثيرات منحرفة كمثل هذه المواقف الفاشلة والرافضة .

أما عن التكيف الاجتماعي الثقافي والصراع في البلدان المستقبلة للمهاجرين ، فقد أظهرت دراسة (أنتوني جـ ريتشموند ١٩٨٥) أن عمليات التبادل الثقافي والتكامل اقتصادي معقدة حيث يوجد تباين بين المهاجرين ثقافيا واجتماعيا ودينيا حتى بين المهاجرين من بلد واحد .
وتحاول كل مجموعة متشابهة الإقامة سويا ، وقد تعمل على إظهار التماسك الاجتماعي ، فتقيم معاهد ومؤسسات تعليمية مستقلة كرد فعل

للمعاملة القائمة على التفرقة في المجتمع المستقبل لهم .

فالبلاد المرسلة والمستقبلة معرضة لتغيرات اجتماعية سريعة لها اثرها على كل فرد نتيجة للتقدم التكنولوجي والتمرس بالأثر الثقافي ، وعلى أية حال فقد تأثرت عمليات التبادل الثقافي والتكامل الاجتماعي للمهاجرين سواء أولئك الذين عادوا للمهجر او عادوا إلى بلادهم الأصلية ويرى ريتشموند أن التكيف اجتماعي الثقافي للمهاجرين وأبنائهم مرتبط بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في البلاد المستقبلة لهم ، ولذا يقترح بضرورة رسم سياسات اجتماعية وثقافية وتربوية ، تضمن التكامل الناجح في نطاق البيئة المتعددة الأعراض والمجتمع المتعدد الثقافات .

*** تكنولوجيا الاتصالات والذاتية الثقافية :**

لقد أحدثت تكنولوجيا الاتصالات ذوبانا لثقافات كثير من الشعوب غير متماسكة الذاتية ، فالناس يلتقون في حياتهم اليومية بثقافات أخرى ويكتشفون فيها مغايرة ويلاحظون واقع لم يالفونها ويتعرفون بذلك على إنسانية متعددة الوجوه ، فبرامج الإذاعة والتليفزيون والصحافة قد حطمت العزلة الثقافية التي فرضت على كثير من العالم – فلم يعد مفهوم الستار الحديدي والحدود الدولية تجدي في فرض حصار فكري معين داخل دولة من الدول .

لقد أصبح لتكنولوجيا الاتصال دورا في تغيير الثقافات وسياسات الشعوب واقتصادياتها ونسمع عن شعب كان للكاسيت دورا في تغير اتجاه امة بأكملها كما حدث في إيران ، وكذلك شريطة الموسيقى

والأغاني يمكن أن تذيب أو تنمي مفاهيم أمة بأكملها ، فالعلم والتكنولوجيا جزء لا يتجزأ من الثقافة المعاصرة والتي تنعكس بدرجة أو بأخرى على ثقافة المهاجرين .

ومثال آخر يقدمه لنا (فوزي فهمي) يتضح في رهـــان (بونـــابرت) المستور والمرتكز على تصور دوني للآخر ، قد تجلى في محاولة تدمير المنظومة الثقافية المصرية بمجموعة من الممارســـات التـــي تســـتهدف تصفية المركزية الثقافية واجتثاث الجذور وانار قيـــم ومـــبررات حيـــاة المصريين وإحداث القطيعة الكاملة في شتى المجـــالات ، وقلـــب هـــذه المنظومة في مستوياتها المعرفية والاجتماعية والقومية .

هدم بونابرت أبواب الحارات والدروب وكثير من المساجد والآثار وهدم التراكيب المبنية على القبور فحطم بذلك آليات التواصل والتبـــادل والتمفصل وأساليبها الناظمة لعلاقات الفرد مع المجموع وعلاقة المجتمع المصري بالعالم والتاريخ والكون وحاول بذلك خلخلة المنظومة الثقافيـــة وتماسكها والتي ترتبط فيـــها مجموعـــة التقـــاليد والأســـاليب والنظـــام الاجتماعي والحياة الروحية ارتباطا عضويا ، ثم أمر الأهالي والعلماء أن يحملوا على صدورهم شارة الجمهورية الفرنسية ، سعيا لتفتيت الهويـــة المصرية وتقويضها واقتلاع ذاتيتها . ثم استخدم الإبهار ليوظفه في خلق تأثيرات تستهدف الاختراق بتصوير اليأس للناس وتعميق النكوص أمـــام التحديات وذلك بعرض منجزات العلوم الماديـــة للحضـــارة الأوروبيـــة وتقنياتها كإطلاق المناطيد في الميدان العام والفرجة على العتاد من آلات ومستحضرات ومخترعات في علوم الهندسة والكيمياء والفيزياء والطب

إلى آخر ما حدثنا عنه الجبرتي من تراكيب غريبة تدفع لغياب الإنجـــاز إلى أزمة مؤرقة وضاغطة وتطوق الحصار لتتشر عقم وعبث المواجهة وتشتت المقاومة .

المراجع

١- أحمد أبو زيد : الاغتراب ، **عالم الفكر** ، المجلد العاشر ، العدد الأول ، الكويت ، ١٩٧٩ .

٢- أحمد زكي بدوي : **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية** ، مكتبة لبنان ، بيروت د.ت

٣- إدريس عزام : اثر التهجير على الأمة الفلسطينية ، **مجلة العلوم الاجتماعية** ، العدد ٢١ ، ١٩٨٩ .

٤- الاتحاد العام لنقابات عمال مصر : الآثار الاقتصادية الاجتماعية لهجرة العمالة المصرية ، **مؤتمر تنظيم العمالة المصرية بالخارج** ، المنعقد في الفترة ٢٩-٣٠ يناير ، اتحاد جمعيات التنمية الإدارية بالاشتراك مع الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة ، القاهرة ١٩٨٤

٥- الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء : **الكتاب الإحصائي السنوي لجمهورية مصر العربية** ، (١٩٥٢-١٩٨٦) القاهرة ،١٩٨٧ .

٦- السيد عبد المجيد : سفر الأب إلى الخارج وعلاقته ببعض مشكلات الأبناء في مرحلة المراهقة -رسالة ماجستير غير منشورة -كلية التربية -جامعة المنصورة ١٩٨٩ .

٧- اماني مسعود : **هجرة المصريين إلى الدول العربية النفطية** (الأبعاد السياسية) كتاب الأهرام الاقتصادي ، العدد ٥٢ ، يونية ١٩٩٢ .

٨- إميل فهمي حنا : **هجرة الكفاءات العلمية والفنية العربيـــة** ، رؤيـــة معاصرة ، ، دار العلم للطباعة ، القاهرة ١٩٨٣ .

٩- انتوني هـــ. ريتشموند : التكيف الاجتماعي الثقافي والصــــراع فـــي البلدان المستقبلة للمهاجرين ، **المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية** ، العدد ٦٠ ، مركز مطبوعات اليونسكو ، القاهرة ١٩٨٥ .

١٠- إيريك جان فوما : طريق العودة إلى الوطـــــن طريـــق محفـــوف بالمخاطر ، رسالة **اليونسكو** ، العدد ٢٩٢ ، مركز مطبوعات اليونسكو ، القاهرة ١٩٨٥ .

١١- جانيت جورج : آثار هجرة العمالة المصريـــــة علـــى الأوضـــاع الاقتصادية والاجتماعية في مصر ، **مؤتمر تنظيـــم هجرة العمالة للخــارج** المنعقد في الفترة بين ٢٩-٣٠ يناير ، جمعيات التنمية الإدارية بالاشتراك مـــع الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة ، القاهرة ١٩٨٤

١٢- جمهورية مصر العربية : **الدستور الدائم للبلاد والقوانين المكملة له** ، دار الطباعة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٧١

١٣- عبد الباسط عبد المعطي : **الهجرة النفطية والمسالة الاجتماعية** ، دراسة ميدانية على عينة من المصريــــين العـــاملين بالكويت ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

١٤- عبد الباسط عبد المعطي : بعض المصاحبات الاجتماعية لـــهجرة الريفيين إلى الدول العربية النفطية ، **مجلة دراسات سكانية** ، العدد ٦٨ ، القاهرة ١٩٨٤ .

١٥- غادة عوامات : مشاكل وقضايا أبناء المهاجرين العرب إلى أوروبا مع التركيز على فرنسا ، المجلة العربية للتربيـــة ، العدد ٢ ، سبتمبر ١٩٨٧ .

١٦- فوزي فهمي : الثقافة والتجدد ، الهيئة المصرية العامة للكتــاب ، القاهرة ١٩٩٧ .

١٧- مبارك ربيع : وسائل الإعلام الثقافي والإبداع الأدبـي والفنـي ، ورقة عمل ، مجلة الوحدة ، المجلس القومي للثقافة العربية ، المغرب ، العدد ٥٨/٥٩ يوليه/اغسطس ، السنة (٥) ١٩٨٩ .

١٨- محمد أبو مندور : دراسة تحليلية لبعض أوضاع واتجاهات العمال الزراعيين ، مؤتمر تنظيم العمالة المصرية للخارج ، المنعقد في الفترة ٢٩-٣٠ يناير ، القاهرة ،اتحاد جمعيات التنمية الإدارية بـالاشتراك مـع الجـهاز المركزي للتنظيم والإدارة ، القاهرة ١٩٨٩.

١٩- محمد رشيد الفيل : هجرة الكفـاءات العلميـة والعربيـة ، ودور مجلس التعاون في الإفادة منها ، الكويت ، جامعـة الكويت ، كلية الآداب ، العدد (٩) ١٩٨٩ .

1. Kubat, D. Hoffman , H. J., :Migration Towards Anew Parading international Social Science. 1981.
2. - Jones, H.,: A Population Geography, New York, Harper, 1981.

الفصل السابع

العولمة

حوار بين

الثقافة والتربية والإعلام

الخاتمة :

العـــــولمة بين التربية والثقافة والإعلام

اليوم ..

ونحن في نهاية القرن العشرين وعلى مشارف القـــرن الحـادي والعشرين ، وكما تقول (منى أبو سنة) تنطوي العلاقـــة بيـــن الثقافـــة العربية والثقافة الأوربية على إشكالية تدور حول الرغبة فـــي تحديـــث المجتمع ، وتمثل التكنولوجيا باعتبارها منتجا حضاريا ، أبدعته الثقافـــة الغربية من ناحية والاحتفاظ بالهوية القومية العربية كمـــا تتمثـــل فـــي الماضي من جهة أخرى ، وبتعبير آخر .. استهلاك المنتجات الغربيـــة المادية من علم وتكنولوجيا ، وفي نفس الوقت رفض القيم الثقافية التـــي يجسدها العلم والتكنولوجيا من أجل الحفاظ على الاستقلال ، الذي سوف ينتج حتما من عدم حل التناقض حلا عقلانيا وواقعيا ، وهذه الإشكاليـــة مردها إلى الاعتقاد بأن الثقافة العربية تشتمل على كـــل الحلـــول لكـــل المشكلات ، سواء في الماضي أو الحاضر ، أو في المستقبل لأنها هـــي الحقيقة المطلقة .

ويترتب على ذلك الاستبعاد الكامل لحـــوار الثقافـــات والاكتفـــاء بالصرع ومبرر هذا هو ظاهرة الاستعمار واعتبار الغزو الثقافي امتـــداد للاستعمار القديم في شكله العسكري .

إلا أنه في حالة استبعاد أي نقد للعامل الذاتـــي ، أي الثقافـــة العربيـــة ، يصبح الاستقلال مجرد وهـــم ، حيـــث سيســـتمر الاعتمـــاد السياســـي الاقتصادي واقع عيني من قبل الغرب القوي المنتج .

ورغم أنه من المتفق عليه ، أن الثقافات المحلية تنمو وتزدهر باتصالها بالثقافات الأخرى ، فإن التخوف يسود من تعرض بعض الثقافات لخطر فقدان هويتها من خلال استخدام تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة وتنغمس في ثقافات من يملك تلك التكنولوجيا الحديثة وأنه بدلا من التبادل الثقافي الحر هناك محاولات وجهود من قبل الدول الصناعية لفرض هيمنتها الثقافية على الدول النامية ، وهو ما أطلق عليه الاستعمار أو الغزو الثقافي .

إن دور الاتصال والإعلام في هذه العملية بالغ الأهمية ، فهو يساعد على تحديد وتطوير ونشر الأنماط السلوكية -ولذا قد يؤدي إلى التكامل الاجتماعي أو الاغتراب وفقا لكيفية استخدامه -ولاشك أن وسائل الاتصال الحديثة تعتبر أكثر من مجرد قنوات لنقل الثقافات ، فهي تشكل التجارب الثقافية وتخلق ثقافة جديدة وتقربها إلى الجماهير ، ولذلك وجب الاهتمام بالمضمون الثقافي للاتصال - ويرى بعض العلماء ، أنه طالما أن وسائل الإعلام قادرة على تحديد الثقافة الوطنية ، لا تستطيع الثقافة أن تنمو بطريقة مرضية بدون الاستعانة بوسائل الإعلام .

وثمة سؤال يفرض نفسه .. وهو كيف يمكن إقامة حوار بين المجتمعات المتقدمة صناعيا والمجتمعات النامية ، والتي يمثل كل منها مستوى معين من مستويات الحضارة الإنسانية من خلال مواجهة ثقافة كل هذه المجتمعات .

وبعبارة أخرى – هل يمكن أن يتبنى العالم الثالث وبخاصة الوطن

العربي ، تكنولوجيا المجتمعات المتقدمة صناعيا بمعزل عن القيم الثقافية المرتبطة بهذه التكنولوجيا ، وأن يتقدم تقدما حقيقيا بمعنى أن يصبح منتجا وليس مستهلكا للثقافة التكنولوجية .

العولمة وبدايات التحول :

يقول (رايخ Reich 1992) أننا نعيش اليوم مرحلة تحول ينتج عنها إعادة ترتيب سياسات واقتصاديات القرن القادم ، بحيث لا يكون هناك منتجات وطنية أو صناعات وطنية .. وبالتالي لن يكون هناك اقتصاد وطني بمفهومه المعاصر ، ولن يظل باقيا ومستمرا داخل إطار الحدود الوطنية ليس إلا البشر الذين تتكون منهم أمة ما .... وستكون المهمة الأولى لكل أمة أن تتكيف مع مهارات ورؤى مواطنيها وستكون المهمة الرئيسية لكل أمة هي التعامل مع قوى الطرد المركزي للاقتصاد العالمي التي تسعى للقضاء على العلاقات التي تربط المواطنين معا ، وهذه القوي أيضا هي التي تمنح الأكثر مهارة والأكثر بصيرة ثروات أعظم بينما لا تسمح للأقل مهارة بغير مستوى متدن من المعيشة .

العولمة .. والتحديات :

أن العولمة تفتح أمامنا آفاق أوسع –وتتمثل تحدياتها الثلاثة فيما يلي :

- بناء مجتمع منتج
- شعور بالهدف المشترك
- العمل على تنمية وتطوير الفرد

ويتطلب تحقيق هذه التحديات الثلاثة للعولمة والتي في ذات الوقت

أهدافا لها بعدين أساسيين وذلك من خلال نظام التعليم وهما :

البعد الأول : بناء أساس مشترك لجميع الطلاب .

البعد الثاني : تنمية إحساس الطلاب بالالتزام الشخصي نحو التطور المستمر الذي هو لب النظام التعليمي .

ويقول (هاندي 1995...Handy) : نستطيع القول بأن العالم اليوم يكتشف من جديد ، حيث يتولد الإبداع من الفوضى وتبرز تساؤلات : ماذا نفعل ؟ ولماذا نفعل ؟ ومتى نفعله .

- المفاهيم والمصطلحات :

لقد أصبحت العولمة الآن مفهوما شائعا ..

وينتشر على نطاق واسع من الآمال والمخاوف والتي يعبر عنها باستمرار من خلال قنوات الإعلام والدوريات العلمية وتصريحات السياسيين ومديري الشركات والحكومات الوطنية كظاهرة قدمت على أنها حتمية وهناك ثلاث مصطلحات ترتبط بظاهرة العولمة كما يقول (هاندي 1995 Handy) .

-**عالمي** universal : يتضمن بوضوح مفهوما كليا ، إلا أنه يطلق عموما على عالم الأفكار والقيم .

- **دولي** world wide : ويطبق بطريقة مباشرة على الترابط بين مختلف أقاليم العالم مثل تطور التجارة العالمية الذي يرجع إلى القرن السادس عشر .

- **شامل** Global : أطلقه (كولبي) ويقترح فكرة التمام أو الكل ، وقد يكون ذلك اقتصاديا أو بيئيا .

وربما تتصل هذه المصطلحات الثلاثة المستخدمة عموما لتوصيف العولمة .. بمؤسسات المجتمع مثل الكنيسة ، الدولة ، الشركات . ويختلف تأثير تلك المؤسسات الثلاث والمستمر علي حياة الرجال والنساء باختلاف الوقت وعبر المجتمعات .

ويرى (مايكل كارتون ، صبحي الطويل) أن العولمة كذلك بصورة متبادلة ، تسهم في زيادة التباعد والتفاوتات الاقتصادية والتباينات التربوية والفجوات المعرفية وهي كذلك عامل يسهم في احترام الصراعات الإثنية والدينية والقومية ، وفي تمزق المجتمعات والدول وإضعاف روابط التضامن التي من المفروض أن تدعمها الثقافة العالمية في القرية الكونية .

وأبعد من ذلك .. فإن البعض يقول " إن تطور المعلومات وتقنيات الاتصال في عالم العولمة يجعل مؤسسات التعليم بلا فائدة إن لم تكن ضارة ، وبالتالي فإن التربية تواجه تحديا ثنائيا :

التحدي الأول :

هو أن تقترح التربية مشروعات اجتماعية مبنية على القيم مثل السلام والتضامن والتي أضعفتها العولمة بدرجة كبيرة .

التحدي الثاني :

أن تسهم التربية على المدى القريب في حسم المشكلات الملحة والعاجلة .

وقد أثارت (ت. متري) أسئلة هامة .. مثل دور التربية ، رؤية

أوسع كوسيلة لدعم الحوار بين أوربا والعالم العربي ، وكذلـك الإسـلام والمسيحية في منطقة البحر المتوسط ، ويعتبر هذا الحوار أساسا عندمـا يوضع في سياق تناقض العولمة الذي ينتج التجانس والوحدة بينما تزداد حدة الحاجة إلى إعادة التأكيد على الخصوصيات الثقافية ، ويشكل هـذا الحوار الأساس لأي مشروع حضاري جمعي الثقافة ، ويتطلـب إعـادة النظر في كل مفهومنا حول التقدم والأهداف التي تنسـب إلـى العمـل الإنساني وكذلك إلى علاقتنا بالماضي .

وتوجد فلسفة كونية تسعى لتأكيد نفسها على أكثر مـن مسـتوى فعلى المستوى الثقافي ، هناك نزوع لبلورة نسق أخلاقي يتضمن بعـض القيم والمعايير المشتركة للجنس البشري ومن أمثلتـها القيـم الخاصـة بالحفاظ على البيئة والذي تنامي حولها أهمية الحفـاظ عليـها ، وعـي كوني ، ولكن إذا كانت الكونية تسعى إلى إلغاء الخصوصيات الثقافيـة فعلا فأتوقع نجاحا لهذه المحاولة كما يقول (السيد يسين) .

وعلى المستوى الاقتصادي هناك نزعة خصوصية نحـو وحـدة الاقتصاد وأسواق المال والائتمان وتحرير التجارة العالمية على نحو مـا تهدف إليه الجات وتقر من القواعد وعلى المسـتوى السياسـي تتحـدد الكونية كما يراها(السيد يسين) بثلاثة أمور أساسية هي : الديمقراطيـة والتعددية واحترام حقوق الإنسان ، مما يفض على دول الجنوب تحـدي التكيف معها وهو تحد إيجابي لثقافة القهر السياسي ، كما تحاول الكونية تضيق ما يسمى " حق التدخل " كخلق سياسي للمجتمع العالمي المعاصر

ومن منظور عام تقول (كريستيان كوميليان) أنه : بات جليا أن العولمة يحركها أساسا أهداف اقتصادية ، غير أنه من الواضح أيضا أن أثرها يتجاوز نطاق الاقتصـــاد وأنـــها تقـــوم بتغيـــير النـــاس والـــدول والمجتمعات والثقافات والحضارات ، فلم يعد في الإمكان التحدث عـــن التنمية في إقليم معين دون الأخذ في الاعتبار المخاطر والاحتمالات التي تصاحب عملية العولمة في إقليم ما .

- التحديات ونظم التعليم:

إن من ينظرون للعولمة علـــى أنـــها مـــن دواعي القلق وكذلك من ينظرون إليها على أنها تعد بمســـتقبل وردي ، يرون أنه لابد من التغيير ، فـــالإصلاح التعليمـــي ســـواء النظـــري أو التطبيقي كل هدفه وآماله التحسين للمنافسة العالمية .

ولذلك هناك دعوة للكثيرين من التربويين بالاهتمام بـــالتعليم مـــن أجل تحسين إمكانات السلام والعدل العالمي . ومما لاشك فيه أن الموجه الحالية للعولمة كانت لها آثار عميقة ومتشابكة على البنـــى الاقتصاديـــة والسياسية .

وعلى سبيل المثال : ليس هناك دولة الآن لها السيطرة على قيمة عملتها كما أنها لا تستطيع التحكم في تدفق رؤوس الأموال منها وإليها ، وليس هناك دولة تتحكم فيما تصنعه أو تشتريه تحكما كـــاملا ، كمـــا أن الحكومات لم تعد تتحكم في اقتصادها الوطنـــي وأن تنفيـــذ السياســـات الوطنية يعتمد على التعاون مع الشركات والحكومات الأخـــرى ، فمـــن المعروف أن السيادة الوطنية التي كانت الحكومات والدول التـــي تدافـــع

عنها في وقت ما بالقوى العسكرية . أصبحت الآن تعتبر قيدا غير مرغوب فيه على حركات الشركات غير الوطنية .

ونلاحظ اليوم أنه قد أصبح من الضروري أن تفكر القوى العظمى العالمية جيدا في الآثار والنتائج الخطيرة إذا قامت بأعمال عسكرية خارج حدودها وذلك بدون استشارة الدول الأخرى .

فكما يقول (فويل .ف ماكجين) أن الحكومات الآن لا يمكنها أن تغلق حدودها لواجهة الأمراض المعدية أو المخدرات أو الإرهاب ، كما أن القطاع الخاص والإعلام أصبح يتحكم في نظم الدعاية بصورة أكبر من أي نظام شمولي عرف على مر التاريخ .

إن المدى الكبير في التغيرات في الاقتصاد والثقافة يجعلنا نتوقع أن العولمة قد أحدثت تغيرات عميقة في نظم التعليم الوطنية ، ويوجد الآن الكثير من الحديث عن " كيف يجب أن يتغير التعليم ؟ " .

إذ تؤكد بعض المقترحات على زيادة الوعي بالثقافات الأخرى وينادي البعض الأخر بالمعرفة والمهارات التي يمكن أن تجعل الدولة قادرة على المنافسة العالمية .

ويرى (مامادو ندوي) أن العولمة الاقتصادية يقصد بها عادة تداخل اقتصاديات دول العالم وتوحيد الأسواق ومناطق الإنتاج وتدويل معايير الأداء ومفاهيم الإدارة الاقتصادية .

وسهولة انتقال رؤوس الأموال والتكنولوجيا وشبكات المعلومات عبر الحدود السياسية ، ولكن العولمة لا تتم بنفس الصيغة والإيقاع في

جميع اقاليم المعمورة ، بل قد يختلف مضمونها من إقليم لآخر .

وهناك انعكاس لسيطرة اقتصاديات السوق على الفكر والممارسات التربوية ، فيتمثل في الخصخصة والتي يعتبرها البعض دواء لكل داء ، فالهدف الأسمى في هذه الأيام هو خصخصة كل شيء بما فيه التعليم ، حيث ينظر الى التعليم الحكومي على أنه غير شامل لكافة الإمكانات التعليمية التي يجب توفيرها ، كما أنه لا يفي بالاحتياجات التعليمية للأسر ونظرا لآن الدول تواجه صعوبات شديدة وكثيرة في تشغيل مؤسسات التعليم الحكومية ، فإن الحل يكون في خصخصة التعليم ، وهكذا تتقلص مسئوليات الدولة تدريجيا في تحديد المناهج والأهداف التربوية . وهذا بدوره يؤثر سلبا على التعليم الحكومي ، وذلك بتشويه صورته وموقفه الفعلي ، وتنبع خطورة هذا الاتجاه على تقدم المجتمعات وبخاصة الأفريقية من أنه يحدث في بيئة تتسم بسيادة نمط ثقافي واحد ، كما يرتبط بالانفجار الإعلامي الذي راح يغزو كل مجالات المجتمع التي تتنافس ، ليس فقط مع المدرسة ولكن مع الأسرة أيضا فيما يتعلق بالقيم والمعارف التي يجب نشرها في المجتمع ، كما أن المواجهة الحقيقية بين النماذج التربوية التي تسعى المدرسة الى تنميتها وبين ما تبثه أجهزة الإعلام بكثافة غزيرة تقع اساسا داخل المنزل .

هذا ... بالإضافة الى خلق هوة واسعة بين الشمال والجنوب ، بين الدول المتقدمة والدول غير المتقدمة من جراء عولمة الاقتصاد ، وتعزز هذه الهوة رؤيتنا الحالية لعالم اليوم على أنه مجتمع ثنائي التكوين يتألف من شمال يعيش في غنى فاحش ، وجنوب يقبع في فقر مدقع ، مما يكون له انعكاساته المتعددة والبعيدة على التعليم .ومن ثم يرى

(مامادو نوي) أنه لابد من إعادة صياغة السياسات بحيث لا تترك للدولة وحدها أو للدولة بالتعاون مع الهيئات المالية الدولية وإنما ينبغي أيضا أن يشترك فيها المواطن العادي .

إن مشاركة المجتمع في تطوير التعليم تعني أنه يمكنه جمع مواد جديدة للتعليم تعمل على توسيع وتعزيز ما يلي :

١- الحوار من أجل بناء نموذج تعليمي أكثر فعالية وذي علاقة أوثق بالاحتياجات الخاصة بالمجتمع الأفريقي وواقعه المعاصر .

٢- استغلال التراث الثقافي والمكاسب التاريخية والممارسات الاجتماعية الخاصة بالشعوب الأفريقية كمصادر تربوية في تحديد المحتوى والأهداف وعمليات التدريب ، وذلك لضمان الاستمرار التاريخي وتراكم العوامل التنموية .

٣- إتاحة فرص أوسع للتعليم وتحقيق ظروف أفضل بالمدارس .

كما أن التنمية الذاتية تحتم تشجيع الهوية الثقافية ، إذ لا يمكن أن تقوم التنمية الذاتية على أنماط سلوكية وأساليب حياة مستمدة من ثقافة خارجية . وبالتالي فإن التعليم ينبغي أن يعمل على تشجيع الهوية الثقافية والخصوصية الثقافية والتي بدورها سوف تساعد على نمو وتطور السمات الثقافية المميزة للشعوب ، وعندئذ سوف تصبح الدولة جزء لا سيتجزأ من الاقتصاد العالمي ، وسوف يمكنها أن تسهم بشيء خاص وذاتي بحت .

وبالتالي يجب أن نضع في أذهاننا أن العولمة المنشودة ينبغي ألا ننظر إليها باعتبارها مفهوما غير متغير ، ولكن يجب النظر إليها

باعتبارها عملية ينبغي أ، تدعو كافة الأمم والأقـــاليم لبنائــها ، ولكــي يتمكنوا من تحقيق ذلك ، فإنه يتحتم عليهم أن يمهدوا الطريـــق لتحقيــق ذواتهم بأنفسهم وتقع المسئولية في تقدم هذه العملية على التعليم .

*** الهوية الثقافية في مقابل العولمة :**

لقد كثر فــي الآونــة الأخــيرة الحديث عن الاستعمار الثقافي المصاحب للعولمة ، وما ســوف تحققــه العولمة للدول المتقدمة على حساب خصوصية الدول غير المتقدمة ، أو بمعنى آخر سيطرة دول الشمال على دول الجنوب من خلال المفـــردات الثقافية العالمية ، إلا أن تجربة الآسيان في هذا المجال تبيـــن أنـــه فـــي الإمكان دخول الكوكبة والعولمة ونحن قادرون على الحفاظ على هويتنا الثقافية وخصوصيتها وذاتيتها .

فقد كان للانتشار السريع للبث التلفزيوني المباشر عــبر الأقمـــار الصناعية في سماء آسيا أثره البالغ في الحديث عن هذا الاستعمار الثقافي الذي يهدد الهوية الثقافية للدول الآسيوية ، مما أفسح المجال لإعادة النظر في وجود استراتيجيات إعلامية جديدة تنشط وتقوي الثقافات المحليـــة ، ومثال ذلك النموذج السنغافوري فـــي اهميـــة توجهـــه الإقليمـــي فـــي لاستراتيجية إعلامية تقود تيارا يؤكد على أهمية وجود منظور آســـيوي في الساحة الكونية .

وبالطبع لا يمكن تجاهل الحاجة الملحة الى وجود هـــذا النمـــوذج الذي يتمركز حول القيم الآسيوية في وسائل الاعلام وخاصة مع الانتشار الهائل للبث المباشر العابر للحدود والذي لا يعترف بالحدود الجغرافية أو

الثقافية أو السياسية بالإضافة الى المواد الأجنبية التي تنقلها المؤسسات الاعلامية العالمية .

لذلك ... فقد بدأت الحكومات الآسيوية الى تبني استراتيجيات إعلامية مضادة للهيمنة لأنها تؤكد على وتنمي الرؤية الآسيوية في الإعلام .

ولا شك أن الاستراتيجية الإعلامية الإيجابية والفعالة هي التعامل مع الإعلام الغربي بنفس أسلوبه وليس بالاصطدام معه ، وذلك بتقديم المصادر البديلة للأخبار عن المنطقة بمنظور آسيوي .

ويعتمد النموذج السنغافوري (بما هو معروف عن سنغافورة بقوانينها وسياستها الصارمة) على إرساء هذه الاستراتيجية الجديدة نحو إعادة صياغة جدول الأعمال الآسيوي في المنطقة ، وبالإتجاه نحو الإقليمية وذلك بالتقليل من الاعتماد على المصادر الإعلامية الغربية وتوفير المنظور الآسيوي البديل عن الأحداث للجمهور الآسيوي ، الى جانب تقديم سنغافورة قراءة جديدة آسيوية لآسيا ، وقد اتخذت مؤخرا خطوة جريئة نحو تصدير الثقافة السنغافورية عبر الأقمار الصناعية . الأمر الذي يستلزم من العرب إعادة النظر في سياساتها الإعلامية والخروج الى نطاق العالمية بثقافة عربية خالصة عبر الأقمار الصناعية لتضع هذه الثقافة في فلك العالمية من منطق التعامل مع الاعلام والثقافة الغربية وليس بمنطق الاصطدام معه .

مراجع الفصل السابع :

١-ألفت حسن الأغا : البث المباشر والهوية الثقافية ، تجربة دول الآسيان ، مجلة الدراسات الاعلامية ، القاهرة ، العدد (٧٩) ، ابريل / مايو ، ١٩٩٥.

٢- السيد يسين : البعد المعرفي / المستقبلي للماضي : الأهرام ١٩٩٨/٢/١٣.

٣- جابر محمد الجزار : ماستريخت والاقتصاد المصري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة الألف كتاب ، العدد ١٤٦، القاهرة ، ١٩٩٤.

٤- فيليب هوجز : (ترجمة : نهى عبد الكريم) : التعليم والعمل ، حوار بين عالمين ، مستقبليات ، مجلة فصلية للتربية المقارنة ، المجلد (٢٧) العدد (١) مارس ١٩٩٧ ، مكتب التربية الدولي ، جنيف .

٥- كريستيان كوميليان : (ترجمة : نادية جمال الدين) : تحديات العولمة ، مستقبليات ، مجلة فصلية للتربية المقارنة ، المجلد (٢٧) العدد (١) مارس ١٩٩٧ ، مكتب التربية الدولي ، جنيف .

٦- مامادو ندوي : (ترجمة محمد العقدة) : العولمة وعلاقتها بالتنمية الذاتية والتعليم في افريقيا ، مستقبليات ، مجلة فصلية للتربية المقارنة ، المجلد (٢٧) العدد (١) مارس ١٩٩٧ ، مكتب التربية الدولي ، جنيف .

٧- مايكل كارتون ،صبحي الطويل : مدخل الى الملف المفتوح ، ، مستقبليات ، مجلة فصلية للتربية المقارنة ، المجلد (٢٧) العدد (١) مارس ١٩٩٧ ، مكتب التربية الدولي ، جنيف .

٨- منى أبو سنة : النسق الثقافي في النظام العالمي الجديد بين المحلية والعالمية ، ندوة " مؤتمر التربية والنظام العالمي الجديد " ، كلية التربية ، جامعة عين شمس ، ٢٠-٢٢ يناير ١٩٩٥، جـ١ .

٩- نويل .ف.ماكجين : (ترجمة مجدي مهدي علي) : أثر العولمة على نظم التعليم الوطنية ، مستقبليات ، مجلة فصلية للتربية المقارنة ، المجلد (٢٧) العدد (١) مارس ١٩٩٧ ، مكتب التربية الدولي ، جنيف .

10- Handy .C.: The empty raicoat, London, Arrow Books, 1995.

مصطلحات تربوية

ABEd	بكالوريوس آداب في التربية	ability, learning	القدرة على التعلم
abilities, group	القدرة الطائفية	ability- learning interaction	التفاعل القدري التعلمي
Ability (n.)	قدرة : مهارة	ability, potential	قدرة كامنة
ability, academic	قدرة راسية	ability, primary mental	القدرة العقلية الأولية
ability, acquired	قدرة مكتسبة	ability, problem - solving	قدرة حل المشكلات
ability, arithmetic	قدرة حسابية	ability, reading	القدرة القراءية
ability, artistic	قدرة فنية	ability, scholastic	القدرة الدراسية
ability, average	(١) قدرة متوسطة (٢) متوسط القدرة	ability, social	القدرة الاجتماعية
ability, cognitive	قدرة معرفية ، قدرة عقلية معرفية	Abnegation (n.)	نكران الذات
ability, concept	مفهوم القدرة	Abnormal (adj.)	شاذ ، غير سوي
ability, creative	قدرة ابتكاريه .	abnormality	شذوذ ، شيء شاذ
ability, general	القدرة العامة	abnormal psychology	علم نفس الشواذ
ability, general mental	القدرة العقلية العامة	abreact (Vt.)	يحرر من عقدة نفسية
ability, grouping	التجميع القدري	Abreaction (n.)	إزالة العقدة
absence, pupil	غياب التلاميذ	Acceptance, region of (star.)	منطقة القبول
Absentee (n.)	غائب ، متغيب	acceptance, social	القبول الاجتماعي
Absolute (adj.)	مطلق	Accommodation (n.)	تكيف
absolute accuracy	الدقة المطلقة	accomplishment age = AA	العمر التحصيلي
absolute deviation	الفرق المطلق ، الانحراف	accountability	القابلية للتفسير
absolute error	الخطأ المطلق	accountability, teacher	مسئولية المعلم
absolute	معرفة مطلقة	accuracy, intrinsic	الدقة الداخلية

knowledge			
abstract learning	التعلم المجرد	accuracy of perception	دقة الإدراك(الحسي)
abstract man	الإنسان المجرد	accuracy of reasoning	دقة الاستدلال
abstract reasoning	التفكير التجريدي	Achieve (v.)	ينجز ، يبلغ الهدف
abstract thinking	التفكير المجرد	Achievement (n.)	إنجاز
abuse, child	سوء معاملة الأطفال	achievement age = AA	العمر التحصيلي
academic achievement	التحصيل الدراسي	achievement motivation	الدافعية إلى التحصيل
academician	عضو الأكاديمية	achievement motive	دافع التحصيل
academic self-concept	مفهوم الذات الدراسي	Action (n.)	أداء ، تصرف
academic standards	المعايير العلمية	action, community	عمل جماعي
Academy (n.)	أكاديمية أفلاطون	action, integrative	عمل منسق
Accent (n.)	لهجة .	action learning	التعلم بالعمل
Acceptability (n.)	مقبولية	Active variable	المتغير النشيط
acceptability , social	قبول اجتماعي	Activities, allied	نشاطات مصاحبة
acceptance of hypothesis	قبول الفرضية	Activities, out -of-school	نشاطات لا مدرسية
Activities, school – life	أنشطة الحياة المدرسية	Administrative organization	التنظيم الإداري
Activities, youth	نشاطات الشبيبة	Administrative responsibility	المسئولية الإدارية
Activity , after – school	نشاط بعد المدرسة	Administrator (n.)	الإداري
Activity , curricular	نشاط منهجي	Administrator , educational	المدير التربوي
Activity , curriculum	منهج النشاط	Administrator , school	الإداري المدرسي
Activity ,education	نشاط تربوي	Adolescence (n.)	المراهقة
Activity ,free-play	نشاط اللعب الحر	Adolescence, early	المراهقة المبكرة

English	Arabic
Activity ,mental	نشاط عقلي
Administration, central	إدارة مركزية
Administration, centralized	إدارة ممركزة
Administration, decentralized	إدارة لا مركزية
Administration, educational	إدارة تربوية
Administration, school	إدارة المدرسة
Administration, social	إدارة اجتماعية
Administration, test	تطبيق الاختبار
Administrative (adj.)	إداري
Administrative council	مجلس إداري
Administrative delegation	التفويض الإداري
Administrative effectiveness	الكفاءة الإدارية
Affective outcome	ناتج وجداني
Affectivity (n.)	انفعالية ، وجدانية
Age, achievement	العمر التعليمي
Age , basic	العمر الأساسي
Age, education- al = EA	العمر التربوي ، العمر التحصيلي
Age, intelligence	العمر العقلي
Aggression , theory of	نظرية العدوان
Aids , auto-instructional	وسائل التعليم الذاتي
Aids, instructional	وسائل تعليمية
Aids, teaching	الوسائل التعليمية

English	Arabic
Adolescence, late	المراهقة المتأخرة
Adolescence, problems of	مشكلات المراهقة
Adolescence, theories of	نظريات المراهقة
Adolescent (n., adj.)	المراهقة
Adolescent literature	أدب المراهقين
Adolescent psychology	علم نفس المراهقين
Adolescent unit	وحدة المراهقين
Adult illiteracy	أمية الكبار
Advanced reading	قراءة متقدمة
Adviser , class	مرشد الفصل
Affective learning	التعلم الوجداني
Affective objectives	الأهداف الانفعالية
Analysis, input – out put	تحليل المدخلات والمخرجات
Analysis, instructional	التحليل التعليمي
Analysis, content	تحليل المحتوى
Analysis, content	المستوى التحليلي
Analysis, system	تحليل النظم
Analysis, task	تحليل المطالب
Analysis, value	تحليل القيم
Analyst (n.)	محلل نفسي
Analytic behavior	السلوك التحليلي
Analytic method of	الأسلوب التحليلي

		selection	في الاختبار
Aid ,student	معونة طلابية	Analytic psychology	علم النفس التحليلي
All- age school	مدرسة جميع الأعمار	Anarchic theory of intelligence	النظرية الفوضوية في الذكاء
All – day school	مدرسة اليوم الكامل	Anthropological approach	الطريقة الأنثروبولوجية
Allied activities	النشاطات المصاحبة للمنهج	Anthropology , social	علم الإنسان الاجتماعي
Analogy test	اختبار القياس	Antisocial behavior	سلوك معاد للمجتمع
Analysis, harmonic	التحليل التوافقي	Anxiety , hysteria	قلق هستيري
Analysis, information	تحليل المعلومات	A posteriori (adj., adv.)	استدلالي ، بعدي
Applied individual psychology	علم النفس الفردي التطبيقي	Attendance record	سجل الحضور
Approach , analytic	الأسلوب التحليلي	Attention (n.)	انتباه
Approach – avoidance conflict	صراع الإقدام والإحجام	Attitude, parental	اتجاه الوالدين
Approach, whole – class	طريقة الصف الكامل	Attitude, scientific	الاتجاه العلمي
Aptitude, scholastic	الاستعداد الدراسي	Audio- visual education	التعليم السمعي البصري
Aptitude, test	اختبار الاستعداد	Audio- visual techniques	الأساليب السمعية البصرية
Aristotelian method	الطريقة الأرسطووية	Authoritarian leadership	القيادة التسلطية
Asocial (adj.)	لا اجتماعي	Authoritarian teacher	معلم متسلط
Asocial child	طفل غير اجتماعي	Authorities, educational	السلطات التربوية
Aspiration (n.)	طموح	Average intelligence	الذكاء المتوسط

English	العربية
Aspiration , level of	مستوى الطموح
Aspiration , vocational	الطموح المهني
Assessment, educational	التقييم التربوي
Assessment, school	التقييم المدرسي
Assignment (n.)	واجب مدرسي
Attainment (n.)	إحراز ، تحصيل
Attendance, compulsory	الحضور الإلزامي (للمدرسة)
Attendance, pupil	حضور التلاميذ
Beginning pupil	تلميذ مبتدئ
Beginning reading	القراءة الأولية
Behavior, affective	سلوك انفعالي
Behavior, cooperative	سلوك تعاوني
Behavior, human	سلوك إنساني
Behavior, teacher	سلوك المعلم
Belonging (n.)	الانتماء
Belonging, need for	الحجة للانتماء
Board of examinations	لجنة الامتحانات
Books, set	الكتب المقررة
Brain drain	هجرة العلماء
BSc in Educ = Bach. Of Sc. In Educ.	بكالوريوس علوم في التربية
Center, adult education	مركز تعليم الكبار
Central education authority	السلطة التربوية
Axiology (Phil.)	علم القيم
Baby hood (n.)	الطفولة الأولى
Bachelor of education =BEd	بكالوريوس تربية
Basic education	التربية الأساسية
Basic education, adult	التربية الأساسية للكبار
Basic teaching	التعليم الأساسي
Beginners' class	صف مبتدئ
Child, primary	طفل ابتدائي
Child, rapid-learning	طفل سريع التعلم
Choice, educational	الاختيار التربوي
Behavior, cognitive	سلوك معرفي
Class management	إدارة الصف
Class organization	جماعة الفصل
Classroom administration	إدارة غرفة الصف
Cluster , school	مجمع مدرسي
Cognitive development	النمو المعرفي
Cognitive domain	المجال المعرفي
Cognitive level	المستوى المعرفي
College of education	كلية التربية
College, teachers'	دار المعلمين
Commitment, moral	التزام أخلاقي
Communication (n.)	اتصال

	المركزية
Child- centered curriculum	منهج الطفل
Child- centered education	التربية المتوقفة على الطفل
Child- centered school	المدرسة الممركزة حول الطفل
Comparative education	التربية المقارنة
Comparative study	دراسة مقارنة
Comprehensive education	التربية الشاملة .
Compulsory education	التعليم الإجباري
Compulsory school age	سن التعليم
Concept (n.)	مفهوم
Concept attainment	اكتساب المفهوم
Concept, psychological self	مفهوم الذات النفسي
Concomitant learning	التعلم المصاحب
Configuration, cultural	تشكيل ثقافي
Conflict, culture	صراع ثقافي
Contact, culture	الاتصال الثقافي
Contemporary trends	الاتجاهات المعاصرة
Content, educational	المحتوى التربوي
Content of educational	محتوى التربية

Communication, mass	الاتصال الجماهيري
Communication, means of	وسائل الاتصال
Community development	تنمية المجتمع
Community education	تربية مشتركة
Cosmopolitan education	التربية العالمية
Counseling, educational	إرشاد تربوي
Creative education	التربية الخلاقة
Crisis of identity	أزمة الانتماء
Cross-cultural education	تربية متعددة الثقافات
Cultural challenge	التحدي الحضاري
Cultural configuration	التشكيل الثقافي
Cultural convergence	الالتقاء الثقافي
Cultural demands	المطالب الثقافية
Cultural deprivation	الحرمان الثقافي
Cultural determinism	الحتمية الحضارية
Cultural differences	الفروق الثقافية
Cultural discontinuity	الفجوة الثقافية
Cultural diversity	التنوع الثقافي
Cultural education	التربية الثقافية

Continuing education	التربية المستمرة	Cultural environment	البيئة الثقافية
Control, quality	ضبط النوعية	Cultural exchange	تبادل ثقافي
Correspondence school	مدرسة التعليم بالمراسلة	Cultural handicap	العائق الثقافي
Culturalization (n.)	تثقيف	Cultural lag	التخلف الحضاري
Cultural revolution	الثورة الثقافية	Cultural, mass	ثقافة جماهيرية
Cultural shift	الانتقال الثقافي	Culturology (n.)	علم الثقافة
Cultural transfer	التحول الثقافي	Cumulative average	المعدل التراكمي
Cultural universals	العموميات الثقافية		
Curve, ball-shaped	المنحنى الجرسي	Direct instruction	التعليم المباشر
Cycle, primary	المرحلة الابتدائية	Direct teaching	التعليم المباشر
Cycle, secondary	المرحلة الثانوية	Disability, primary reading	العجز القرائي الرئيسي
Day, integrated	اليوم المتكامل	Disability, reading	العجز القرائي
Decentralized administration	الإدارة اللامركزية	Disadvantaged, culturally	محروم ثقافيا
Decision (n.)	القرار	Disadvantaged, socially	محروم اجتماعيا
Decision making	اتخاذ القرار	Disequilibrium, ecological	عدم التوازن البيئي
Defective socialization	توافق اجتماعي	Distance education	التربية من بعد
Demonstration school	مدرسة نموذجية	Diversity, cultural	التنوع الثقافي
Department of education	قسم التربية	Documentation, educational	التوثيق التربوي
Deschooling (n.)	اللامدرسية	Drive, activity	الدافع إلى النشاط
Developmental reading	القراءة التطويرية	Drive, cognitive	دافع معرفي
Development, cognitive	النمو المعرفي	Dropout (n.)	المتسرب
Development research	البحث التنموي	Dropout rate	معدل التسرب
Development, resource	تنمية الموارد	Dualism, child-curriculum	ثنائية الطفل والمنهج

English	العربية
Development, self-concept	نمو مفهوم الذات
Development, theories of	نظريات النمو
Development, value	نمو القيم
Devil teacher	المعلم الشرير
Directed reading	القراءة الموجهة
Economic education	التربية الاقتصادية
Economic return	العائد الاقتصادي
Economics of education	اقتصاديات التربية
EdD ; Ed.D.	دكتور في التربية
EdM; Ed.M.	ماجستير في التربية
Educated man	الإنسان المثقف
Education, adult	تعليم الكبار
Education, adult basic	التربية الأساسية للكبار
Educational history	التاريخ التربوي
Educational impact	الأثر التربوي
Educational implication	المتضمن التربوي
Educational innovation	التجديد التربوي
Educational ladder	السلم التعليمي
Educational management	الإدارة التربوية
Educational media	الوسائل التعليمية
Educational	الوسيلة التعليمية
Dualistic ethics	أخلاق مزدوجة
Educational age	العمر التربوي
Early childhood education	تربية الطفولة المبكرة
Early leaning	التعلم المبكر
Early maturity	النضوج المبكر
Educational output	المنتج التربوي
Educational philosophy	فلسفة التربية
Educational planning	التخطيط التربوي
Educational planning process	عملية التخطيط التربوي
Educational policy	السياسة التربوية
Educational predictions	التنبؤات التربوية
Educational priorities	الأولويات التربوية
Educational process	العملية التربوية
Educational psychology	علم النفس التربوي
Educational reform	الإصلاح التربوي
Education, development	التربية التنموية
Education, elementary	التعليم الابتدائي
Education, family	التربية لأسرية
Education, formal	التعليم الرسمي
Education, general	الثقافة العامة
Education, political	التربية السياسية

medium	
Educational needs	الحاجات التربوية
Educational objectives	الأهداف التربوية
Educational options	الاختيارات التربوية ،
Educational science	علم التربية
Educational supervision	الإشراف التربوي
Educational theory	النظرية التربوية
Education, college of	كلية التربية
Education, comprehensive	التربية الشاملة
Education, compulsory	التعليم الإجباري
Education, continuing	التربية المستمرة
Education, cost of	تكلفة التربية
Education creative	التربية الإبداعية
Education, cross-cultural	التربية متعددة الثقافات
Education, cultural	التربية الثقافية
Experimental methodology	المنهجية التجريبية
Extension education	التربية الامتدادية
Failure (n.)	الرسوب ، الفشل
Feedback, immediate	التغذية الراجعة الفورية
Financing (n.)	التمويل
Flunking (n.)	الرسوب

Education, politics of	سياسة التربية
Education, recurrent	التربية المستمرة
Education, recurrent of	عائدات التربية
Education, special	التعليم الخاص
Education, universal	التربية العالمية
Efficiency, didactic	الكفاءة التعليمية
Environment, cultural	البيئة الثقافية
Epistemology (Phil.)	نظرية المعرفة
Ethical obligation	الالتزام الأخلاقي
Evaluative criteria	معايير التقييم
Evolution, cultural	تطور ثقافي
Experiences, learning	خبرات تعليمية
Experiences, out-of-school	خبرات خارج المدرسة
Experimentalism (n.)	المذهب التجريبي

رقم الإيداع بدار الكتب ١٤٩٨١/١٩٩٨
I.S.B.N ٩٧٧/ ١٩ / ٧٣٢٨ / ٢

تم الطبع بمركز الإسراء للكمبيوتر والطباعة
السرو - مجمع السلام التجاري
دمياط ☎ ٨٨٠١٢٣ / ٠٥٧

التربية بين الثقافة و الإعلام

الثلاثية العصرية :   الثقافة - الإعلام - التربية

الناشر : دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع

المنصورة : شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١ - ص. ب : ٢٣٠

تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN

الطبعة الأولى : ١٩٩٨ ، ٣٢٠ صفحة